شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية العدد (٣) ١٥/١/٢٠٠٣

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- قوى المعارضة السعودية: اتحاد الخطاب الاحتجاجي
- المزيد من العنف مؤشر لإنكسار الدولة
- قراءة نقدية للخطاب الديني الرسمي
- الحلول خارجية حين تفشل الدولة في اصلاح ذاتها
- احتلال الحجاز: مرحلة مؤقته، أم استمرار لدولة راسخة؟

من ينقذ آثار المسلمين في الحجاز؟



اليماني يندد بتدمير الآثار الاسلامية ويدعو لحماية ما تبقى منها

نبش قبور آل البيت فظاعة، ومخطط التدمير لم ينته

في هذا العدد

لماذا يتكاثر الامنتمون للدولة؟	١
الحلول خارجية حين تفشل الدولة في إصلاح ذاتها	٢
باحثة غربية: المعارضة متحدة في خطابها الإحتجاجي	٤
إعادة المعاني المسروقة الى المفاهيم الوطنية	٧
العنف مؤشر لانكسار الدولة	٨
قراءة نقدية في الخطاب الديني الرسمي	١٢
الأجندة الأميركية: فرض الإصلاحات السياسية	١٦
ماذا أبقى الوهابيون من تراث المسلمين في الحجاز	١٧
اليماني: نبش قبور آل البيت فظاعة والمؤامرة مستمرة	١٨
دار الرسول تتحول الى سوق للبهائم وأخرى للمراحيض	٢٠
الوهابية تدمّر الآثار الإسلامية وتحرق الكتب	٢١
إحتلال الحجاز: مرحلة مؤقتة أم استمرار لدولة راسخة	٢٤
العائلة المالكة ومعركة الإعلام	٢٦
طلال: خطابان متعارضان في الإصلاح	٢٧
رؤية الجناح الأميركي المتطرف: السعودية بحاجة لصدمة	٣٠
الرأي العام: الحجاز مجلة متميّزة	٣٢
الصحافة السعودية	٣٨
وجه	٤٣

(الدولة) السعودية متوحشة تميل الى (إنتاج) المختلف وتبث الكراهية بين مواطنيها

لماذا يتكاثر اللامنتمون للدولة؟

ندرك تماماً الاسباب التي تجعل وشائج بعض الجماعات بالدولة ضعيفة، فالشيعة في المنطقة الشرقية والمنطقة الجنوبية الذين شعروا بالحرمان والتمييز على قاعدة مذهبية، وقبائل العجمان وشمر وغيرهما على قاعدة قبلية، ومناطق الغرب الشمال والجنوب على قاعدة مناطقية، كل هؤلاء يمثّلون نقاط ضعف في بنية الدولة السعودية، اذ فيها يضعف إحساس الافراد بالانتماء للدولة.

ضعف، وربما انعدام، الاحساس بالانتماء للدولة يردّه البعض الى التكوين الايديولوجي والاجتماعي او التنشئة العائلية، ولكن الامر ليس دائماً كذلك. فهناك من الامثلة المضادة ما يثبت عكس اتجاه التحليل السائد، بل هناك من يحمّل الدولة مسئولية زرع وتنمية مشاعر الانتماء، كما يحمّلها مسئولية اقتلاع تلك المشاعر وتحطيمها.

الفريق القائل بمسئولية الدولة في تنمية مشاعر الولاء او البراء من الدولة يرى بأنه لا يمكن تصوّر جماعات يُقدح رسمياً في عقائدها (الشيعة مثالاً) ويهمّش تمثيلها السياسي (العجمان وآل الرشيد مثالاً) ويقلل من شأنها (الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية)، أن تقدّم فروض الطاعة لدولة قررت منذ البدء الاصطدام بهذه الاطراف ونبذها، وكأن علاقتها بهم مؤقتة ستنتهي ريثما تستكمل غايتها منهم.

فالادبيات الدينية، مثلاً، والتي شاع انتشارها وسط جنود إبن سعود وحليفه الديني كانت تحمل رسالة "توحيد" من نوع آخر، الا وهو توحيد عقيدة المجتمع، أي بمعنى آخر "توهيب" الدولة وبناء مجتمع وهابي في المناطق التي جرى اخضاعها بالقوة وألحقت بالمركز النجدي، ولذلك بقيت النزوعات الايديولوجية وآمال الدعاة الاوائل على حالها حتى الآن، فهم يتصرفون وكأن الدولة يجب ان تسير بتكسير هذه الجماعة وعزل تلك المنطقة وتهميش تلك القبيلة، أملاً في اقامة دولة متوحدة مذهبياً. ولكن هذا لم يحصل بل الادلة تتكاثر على استحالة حصوله في المستقبل ايضاً، ولكن الخطاب ظل كما هو لم يتغير، خطاب يتجاوز واقع التعددية المذهبية والاجتماعية والمناطقية والايديولوجية كميزة أصيلة ومترسخة في هذا البلد.

ما حصل ايضاً أن تدابير الدولة قادت تدريجياً الى تصنيف الغالبية العظمى من السكان في خانة غير الموالين للدولة، ثم جاءت حقائق لاحقة ومبررات اضافية كيما تفصل قطاعات اخرى عن مركز الدولة. فالتدهور المتواصل في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الماثل في الخدمات التعليمية والصحية ونسبة البطالة وزيادة الضرائب والرسوم، وهي محك اختبار كفاءة الدولة، أقنع كثيرين بعدم جدارتها في البقاء، وخصوصاً بالنسبة لأولئك الذين لم يشهدوا أيام الطفرة، ولم يمسهم بعض ما كان يوصف حينها بـ "جميل الدولة"، فهؤلاء في حلّ من كل ارتباط سابق ووشيجة جميل لم يكن بامكانهم التحرّر منها.

في حقيقة الأمر، لو قدّر لأحدنا اختبار نسبة ولاء السكان للدولة منذ قيامها وحتى وقتنا الحاضر، لوجد بأن هناك انخفاضاً حاداً في ولاء السكان. وتفسير ذلك واضح، فسياسات الدولة وأجهزتها وسلوكها العام وتدابيرها لا يمكن الا أن تُخرج من أسوارها أكثر مما تُدخل. فالذين لم يجرِ تمثيلهم سياسياً في مؤسسة الحكم، والذين لم تحترم حقوقهم الدينية والاجتماعية، والذين لم ترع خصوصياتهم التاريخية والثقافية، والذين حوربوا في رزقهم وحقهم في العيش حياة كريمة.. كل هؤلاء لا مكان للدولة في قلوبهم، وإن التزموا الصمت لفترة من الوقت.

وبصراحة أكبر، لم تلزم الدولة السعودية جماعة خارج منطقة الامتياز، أي منطقة نجد، بجميل صنع فعلته بحيث يستوجب رد الجميل، ولكن هناك من المتضررين من سكان هذا البلد ممن صودرت اموالهم وممتلكاتهم وحاول بعض الامراء مقاسمة بعضهم في "حلاله ومحاله"، فيما تحولت أوقاف وأراضي ومراكز الى أسماء بعض الأمراء دون وجه حق، كما جرى في ارجاء الحجاز، سيما مكة المكرمة والمدينة المنورة.

مشاريع التحديث، أو خطط التنمية الخمسية، التي شهدتها البلاد كانت كفيلة بإعادة دمج المجتمع وادخاله ضمن العملية التنموية العامة، وبالتالي كانت الدولة في سنوات الطفرة أمام فرصة ذهبية من أجل كسب ولاء السكان وتشكيل الهوية الوطنية الجامعة، وتشييد مؤسسات الدولة الوطنية الحقيقية.. ولكن كل هذا لم يحصل، وانتهت سنوات الطفرة ودخلت الدولة في سنوات عجاف وليس لديها ما تستند عليه في محنتها الراهنة. فالذين خسروا في زمن الطفرة ليسوا على استعداد للتضحية في زمن المحنة. والذين لم تنجح الدولة في تحويلهم الى موالين في زمن الرخاء ليسوا على استعداد لعرض ولائهم في زمن الشدّة.

فالدولة لدينا فتحت معركة مع رعاياها خارج نجد وربما بداخلها أيضاً، فلم تتحول الى الدولة الرحيمة كما يصفها جمال الدين الافغاني التي تحنو على رعاياها وتشيع بينهم مشاعر المحبة والرحمة، بل كانت دولة متوحشة، تميل الى (إنتاج) المختلفين أكثر من (المتوافقين)، وتبث الكراهية بين مواطنيها أكثر مما تبعث المحبة والرحمة بينهم، وقد اقتفت هذا السياسة حتى في أحلك مراحلها، ولاتزال سياستها اليوم خير شاهد على ذلك.

فالدولة حالياً تعيش أسوأ ظروفها، إذ يكثر المنسحبون عنها، وتتربصها المشاكل في مركز قوتها، داخل نجد التي بدأ بعض أهلها يشعر بعبء الانتماء لهذه الدولة. لم يمنع هؤلاء انتماؤهم التقليدي للمنطقة والمذهب والقبيلة التي تشاركهم فيها العائلة المالكة، من التعبير عن سخطهم من الاخيرة. فحين تجف مصادر الولاء التي فبركتها الدولة لحلفائها، لم يبق هناك ما يربط الدولة بهؤلاء إلا إعادة الروح لتلك المصادر.

من فشلت الدولة في تحويلهم الى موالين وقت الرخاء، لن يكونوا على استعداد لعرض ولائهم لها في زمن الشدّة

شراء الولاء غير ممكن في ظل انخفاض "كمية النقود" المتوفرة في أيدي الحكام، وهذا ما يجعل تعداد اللامنتمين للدولة في تزايد مستمر، أما المتضررون فقد حسموا أمرهم وباتوا ينتظرون مرحلة تكون فيها مكانة الدولة شاغرة.

الأنظار ترمق ما يجري في "الخارج" كي يصطلح حال "الداخل"

حين تفشل الدولة في إصلاح ذاتها

الالحاح المتواصل على تحييد متغيرات الخارج على الداخل يترجم عقيدة السلطة الرافضة للتغيير. فالتأثيرات السياسية الخارجية على الداخل كانت تجبه بالاهمال المتعمد او القمع، وكأن هناك في داخل الدولة من يريد ايصال رسالة ضمنية مفادها: أننا ضد التغيير.
ولكن ماذا يحصل بعد ذلك؟

أكثر من عقد مرّ على اعلان الانظمة الثلاثة أي منذ مارس عام ١٩٩٢ وحتى يناير ٢٠٠٣، وهي فترة يمكن وصفها بأعقد مراحل الدولة السعودية وأشدها خطورة، فالاشتقاقات الناشئة عن ازمة الدولة والمجتمع باتت واضحة المعالم.. هناك خطا سير منفصلين: أحدهما يحث سالكوه الخطى نحو التغيير وهو خط المجتمع، والآخر يصر سالكوه على ايقاف دولاب الزمن وعقارب ساعة التغيير، وهو خط العائلة المالكة أو الغالبية من اعضائها.

الدولة السعودية في مرحلة إنعدام الوزن، وأشكال العقاب المتمثلة بآثار الأزمة الإقتصادية تسقط تأثير العقوبات الأمنية

الفجوة الواسعة التي أظهرتها ردود الفعل الموحدة على الانظمة الثلاثة، والتي جاءت دون مستوى التوقعات الشعبية، تزايدت ولم يعد هناك ما يمكن فعله لتجسير الفجوة. مواد النظام الاساسي سيما الخاص منها بالحقوق المدنية على محدوديتها وغموض عباراتها وعموميتها لم تدخل حيز التنفيذ، فقد سجّلت الحكومة سلسلة مخالفات في مجال حقوق الانسان لم تكن مسبوقة قبل اعلان النظام الاساسي.

ثلاث دورات من مجلس الشورى لم يتغير فيها سوى الجانب الكمي في عدد الأعضاء: ٦٠ ـ ٩٠ ـ ١٢٠، فيما بقي المضمون متخلفاً بل هناك من يرغب وبشدة في ابقائه كذلك، والانكى حين يعتبره البعض صيغة متقدمة من الصيغ الديمقراطية. القراءات التي قدّمت عن المجلس وآخرها قراءة ديكميجيان كانت يائسة من هيكل لا يمكن ان تبعث الروح فيه الا بوقف حركته واستبداله.

مجالس المناطق، رغم أنه لم يقصد منها سوى نقل السلطات من اليد اليمنى الى اليد اليسرى، أي من الملك الى ابنائه وابناء اخوته، ظلت هي الاخرى فقيرة الى سلطة قرار تتخذه في ما يفترض أنها وليت عليه من مصالح عمومية.

أقول، بعد عقد من الزمن، هل أنهت الانظمة الثلاثة الأزمة المتفاقمة بين الدولة والمجتمع، أي، بكلمات اخرى، هل وضعت الدولة أسس حل لمشكلات غير قابلة للترحيل، اذ أن ترحيلها لا يعني اكثر من زيادة حجم الأزمة وان بدا في ذلك اطالة لعمر الدولة.

ردود مدوّية جاءت كرد فعل على الانظمة الثلاثة بدأت بتفجيرات العليا عام ١٩٩٥ والخبر عام ١٩٩٦ وتلتها سلسلة تفجيرات متفرقة وحوادث شغب واختطافات، وصولاً الى انعدام وزن الدولة بالكامل. فالسكان لم يعد يتحركوا الآن بناء على شعورهم بضرورة الالتزام بقوانين الدولة او حتى الخشية من عقابها، فأشكال العقاب الحالية ممثلة في البطالة ونقص الخدمات الصحية والتعليمية كافية لأن تسقط تأثير أي اشكال اخرى غير متوقعة من العقاب.

الدولة المسلوبة

حتى وقت قريب، كان هناك ما يأمله الناس من الدولة للقيام به من اجل اصلاح اوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية، وكانت هناك مواعيد للناس ينتظرونها كيما تعلن فيها الدولة قراراتها المصيرية، كما هو موعد الميزانية السنوية التي ظل الأمل معقوداً عليها لتخفيف أعباء محلية ضاغطة، ونقل جزء كبير من التخصيصات المالية المفرطة للقطاع العسكري للقطاعات الحيوية مثل التعليم والصحة وهو ما لم يحصل. أقول هناك مواعيد كان السكان يترقبونها من اجل وضع حد عاجل لمشكلات طاحنة، ولكن الآمال المعقودة على تلك المواعيد تبددت او في طريقها للتبدد.

العائلة المالكة تدرك استحالة خلق اصطفاف شعبي أو صناعة إجماع وطني وراءها حتى داخل محيطها النجدي ـ الوهابي

وماذا كانت النتيجة؟

ان الانظار ترمق ما يجري في الخارج كي يصطلح حال الداخل، فلا الدولة نجحت في اقناع رعاياها بجدارتها في توفير فرص حياة أفضل، ونظام سياسي كفوء، وأوضاع اقتصادية ومعيشية محتشمة، ولا خلقت آليات قابلة للاستعمال من اجل تطوير ما هو قائم.

في أوضاع مماثلة لأوضاع أزمة الثاني من اغسطس عام ١٩٩١، تشهد منطقة الخليج اجواء حرب يتزايد قرع طبولها مع تدفق طوابير الجنود

الاميركيين وينسب اقل البريطانيين على سواحل المنطقة، وتتزايد التصريحات حول توقيت ومكان انطلاق الحرب، هناك ـ في اجواء كهذه ـ ترمق الانظار الوافد مع المتغير في العراق.

للحكومة ومتوالياتها (شبكة تحالفاتها المناطقية والقبلية والدينية) قضية تشغلها وهي مصيرها المهدد فيما لو أطيح بحاكم بغداد، وللشعب قضية اخرى تشغله، وهي تغيير هذه الاوضاع الكالحة السواد التي عاش ضنكها واستهلكته حد الانهاك.

الحكومة تفتش عن أنصار وحلفاء لمواجهة المجهول الذي سيولد مع أوضاع ما بعد نظام الرئيس صدام حسين، ولكن الشعب لا يعنيه ما يشغل بال الحكومة، وبنظره ان الاخيرة لم ترعه في أزمته وبالتالي فهي لا تثير فيه احساساً بالمسئولية تجاهها، بل هناك من يرى ان زوالها ضروري.

حين تتقطع السبل الداخلية بالسكان، يتحوّل الخارج الى أمل ومخرج وربما حل لمشكلاتهم، وهو ما تخشاه الحكومة التي تحفر الصخر من اجل اخماد تأثيرات المتغيرات الخارجية عليها.

الحكومة تدرك أن اجهزة التأثير لديها قد ضعفت، وأن صناعة توافق عام داخلي، أو خلق اصطفاف شعبي وراءها بات الآن مستحيلاً، ليس خارج نجد فحسب بل حتى بداخلها، فحلفاء الامس من التيار الديني يتربصون بها الدوائر لا بالتعاون مع الولايات المتحدة، بل باستعمال ذريعة التحالف الاميركي السعودي لشن الحرب عليها. وهذا ربما يفسر جنوح بعض اقطاب الجناح السديري الى اعادة ترميم العلاقة مع التيار السلفي كما الحال بالنسبة للعلاقة المتنامية بين الامير نايف وزير الداخلية واقطاب التيار ذاك.

المتضررون كثر في هذا البلد، والناقمون يتكاثرون، وفي حقيقة الامر أن في ذلك ترجمة لفشل الدولة منذ تكوينها في صناعة اجماع وطني حولها بسبب سياسات تقسيمية بدأت بهويتها ذات المكونات الضيقة، ثم امتدت الى سياساتها وهيكلها الاداري وتوزيع الخدمات والوظائف فيها. وكنتيجة، هناك قطاع كبير يرى نفسه غير معني بالدولة، فلا هي التي احترمت خصوصياته ولا هي التي منحته فرصاً متساوية كما هو الحال مع غيره، ولذلك قد يرحب بأي اتجاه تغيير سواء كان داخلياً او خارجياً طالما ان ذلك سينهي معاناته.

فشلت الدولة في إقناع رعاياها بجدارتها في توفير حياة أفضل لهم، كما فشلت في خلق آليات قابلة للإستعمال من أجل تطوير ما هو قائم

تقطعت سبل الإصلاح الداخلية بالمواطنين فتحول الخارج الى أمل ومخرج لمشكلاتهم

متى "الخارج"؟

الادبيات الحزبية والسياسية العربية وربما العالمية تمتليء بكل المواقف الخصامية مع كل ما هو خارجي حين يتعلق الامر بالنضال السياسي، وخصوصاً المتصل منه بالقوى الاستعمارية. يكفي لاعتقال او حتى اعدام شخص ما، اتهامه بالتخطيط او التخابر مع قوى خارجية او أجنبية. فهناك اذن ما يبرر نبذ "الخارج" سواء كان دولة جارة او أجهزة استخبارات دولية، او قوى استعمارية وفي الغالب غربية.

هذا "الخارج" المنبوذ نظرياً كان سلاحاً بيد الدولة السعودية المرتبطة تكوينياً بالخارج، وكانت الخشية الدائمة ان ينشأ بداخلها جنين ينافسها، مستقبلاً، في هذا "الخارج".

ولعل النظام العراقي الحالي من اكثر الانظمة المفرطة في استعمال سلاح "الخارج" في تقويض خصومه، الذين سقطوا ضحايا بالملايين على جبهات الحرب بأسلحة خارجية، وأميركية حصراً خلال حرب الثمان سنوات، يضاف الى ذلك مئات الآلاف من ضحايا الرأي والتعبير في سجون العراق، وكثير منهم لم يغادروا تراب العراق وهواء العراق، ولم يعرفوا هذا "الخارج" الا عن طريق ادوات تعذيبه وعسفه واعدامه التي كان يحملها جلادو العراق.

"الخارج" الآن لم يقرره العراقيون بل قرره النظام العراقي نفسه الذي أفقر نفسه من خيار التفاهم مع شعبه، وخيار اصلاح نفسه. فأفق الثقة المعدوم بين الحكومة والرعايا يفتح الطريق امام قوى من خارجهما للتدخل.

في حقيقة الامر، أن "الخارج" مرشح الآن للتدخل في كل بلدان الشرق الاوسط، وان "مبادرة الشراكة الشرق الاوسطية" التي أعلنها كولين باول في الثاني عشر من ديسمبر الماضي هي احدى تعبيرات التدخل. وهذا "الخارج" يلقى درجات قبول متفاوتة، فبالنسبة للعراق بات "الخارج" على مشارف حدود هذا البلد، وهناك بلدان اخرى بما في ذلك السعودية ينتظر ان يكون فيها لـ "الخارج" دور في شؤونها الداخلية، وتستوعب القائمة دولاً اخرى شرق اوسطية.

خلفية المبادرة الاميركية مثيرة للجدل حقاً، وهي تعكس الى حد كبير منطق الوصاية ونظام القطبية الاحادية في العالم. توحي تصريحات وزير الخارجية الاميركي كولين باول بأن فشل حكومات الشرق الاوسطية في لجم مصادر العنف وتطوير اجهزتها الادارية وتحقيق الاصلاح السياسي القادم بالاستقرار المحلي والضامن لتدفق منتظم للنفط للاسواق الاميركية والعالمية قد تطلب صياغة مبادرة تلزم هذه الدول باتباع منهج محدد في الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ومهما يكن، فإن الانزياح نحو "خارج" حقيقي او متوهم يترجم عطالة الدولة عن الاضطلاع بدور في التغيير، والاخطر في هذا الانزياح هو ما يسفر عنه من انحلال بقايا الروابط التقليدية والضرورية بين المجتمع والدولة.

العائلة المالكة تفتش عن أنصار وحلفاء لمواجهة المجهول القادم من عراق ما بعد صدام حسين، والشعب يتلذذ بقلقها انتظاراً لزوالها

الباحثة جوين اوكرهليك:

قوى المعارضة في السعودية متحدة في خطابها الاحتجاجي

العائلة المالكة: عجز في استثمار مصادر مشروعيتها

"فهم المعارضة السياسية في العربية السعودية" بحث قدمته استاذة العلوم السياسية في جامعة اركانساس الاميركية جوين اوكرهليك وهو عبارة عن خلاصة دراسة ميدانية قامت بها الباحثة في السعودية نشرتها الجامعة في الرابع والعشرين من اكتوبر عام ٢٠٠١. أهمية البحث تنبع من كون المؤلفة، وهي بالمناسبة متخصصة بدراسة التنمية والمعارضة في السعودية، بذلت جهداً كبيراً في اقتفاء الجذور الاجتماعية للمعارضة السياسية والعوامل الضالعة في تشجيع نشاطات احتجاجية ذات أبعاد دولية احياناً.

في دراستها تنطلق الباحثة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر كنقطة بداية لتأسيس فهم أولي للمعارضة السياسية في السعودية، حيث تشير الى أن المتهمين بضلوعهم في هجمات الحادي عشر من سبتمبر ينتمون الى منطقة عسير الجبلية في جنوب غرب المملكة. وأن الهجمات تأتي ضمن خط عمليات تبدأ بالمدمرة كول وتمر بعمليات كينيا وتنزانيا والرياض والخبر والصومال وبيروت. وتنفي الكاتبة أن تكون هذه الهجمات جاءت للتعبير عن حرب بين الاديان. فالدين، حسب الباحثة، جرى توظيفه كوسيلة من اجل الافصاح بصورة واضحة عن المظالم السياسية، كما هو الحال بالنسبة للمعارضين السعوديين والمتعاطفين معهم في الاوساط السكانية المحلية. فعلى المستوى المحلي، فان المظالم تتصل بالتسلط والقهر وسوء توزيع الثروة وعدم المساواة وغياب التمثيل في النظام السياسي. اما على المستوى الخارجي، فإن المظالم تتمحور حول القواعد الاميركية في الاراضي السعودية، والدعم الاميركي لاسرائيل، وسياسة الحصار الاميركية المفروضة على العراق، والاسناد الاميركي للانظمة القهرية في المنطقة، وتحديداً العربية السعودية ومصر والجزائر والاردن. فالعلاقات القوية مع الولايات المتحدة في سياق الازمة الراهنة ستغذي فحسب المعارضة المحلية، حالة كانت قد انخفضت الى حد كبير قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وبسبب تزايد الربط الشديد بين هذه المظالم فإن العائلة المالكة تخشى من نتيجة ارتباطها بالولايات المتحدة. فالعلاقات السعودية الاميركية عميقة، وقوية وذات وجوه متعددة، ولكن القواعد العسكرية الاميركية في المملكة هي نقاط الضوء التي تثير المتطرفين، على حد قول الباحثة اوكرهليك.

على أن الباحثة لا ترى بأن تصوير السياسة المحلية بوصفها مواجهة بين "معتدلين" متحالفين مع الولايات المتحدة وطهرانيين وهابيين، فهذا التصوير يعتبر في نظر جوين تبسيط شديد لموضوع

> **الدين استخدم للإفصاح عن مظالم سياسية كالتسلّط والقهر وسوء توزيع الثروة وعدم المساواة وغياب التمثيل السياسي**

المعارضة. كما هو الحال بالنسبة للقائمة المشتملة على عرض بخيارين: ملكية مطلقة متحالفة مع الغرب او نظام ثوري اسلامي معادٍ للغرب. فالتنافس الداخلي والخيارات هي اشد تعقيداً مما يحاول هذا التصوير الساذج تقديمه. فهما نابعان من ثلاث ازمات سياسية معقدة والتي تلزم العائلة بالرد على كل واحدة منها وهي: اتفاق المعارضة على المظالم الرئيسية، وتعدد المرجعيات الدينية، والمعاناة الاقتصادية الاجتماعية.

تحت عنوان "الحكم التسلطي والمقاومة المتقطعة" تعتقد الباحثة جوين بأن السخط من سوء استعمال سلطة الدولة ظل ثاوياً تحت السطح في السعودية، ولكن تاريخياً كان النظام يتعرض للنقد ولكن بصورة خاصة أي غير علنية. ونادراً ما كان النقد يتفجر في مواجهة علنية. وتسوق الباحثة مثال حركة جهيمان العتيبي عام ١٩٧٩ والتي استطاعت السيطرة عن طريق القوة على المسجد الحرام بمكة المكرمة في محاولة لاسقاط العائلة المالكة. على أن جهيمان فشل في كسب التأييد الشعبي كونه، حسب الباحثة، اختار موقعاً مقدساً وليس قصراً، ولكن الحدث في حد ذاته كشف هشاشة النظام. وهذا الحادث قاد الى تشديد الرقابة على السكان فيما منح النظام صلاحية اضافية للمطاوعة أو رجال هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تم فرض قيود جديدة على التعبير والحركة وفي نفس الوقت قدّمت وعود بالاصلاح السياسي.

وترى الكاتبة بأن النظام التعليمي الديني خلال الثمانينات ساهم بتنشئة جيل جديد من المشايخ والاساتذة والطلاب. فالصحوة الاسلامية تسللت الى البلاد، ولكن لم تكن موجهة ضد النظام،

وكثير من الجماعات بدأت تجذّر نفسها شعبياً خلال هذه الفترة. وهي تعتقد بأن المجاهدين الأفغان العرب هم من حمل لواء التبشير بالصحوة، حيث يقدر عدد السعوديين الذين ذهبوا الى افغانستان بنحو ١٢ ألف شاباً، من بينهم خمسة آلاف تدربوا وشاركوا في عمليات عسكرية.

وتعتقد الباحثة جوين بأن الخاطفين السعوديين في أحداث سبتمبر كانوا صغار السن خلال الجهاد في افغانستان، ولذلك فإن الحدث التكويني المحتمل بالنسبة لهؤلاء كان حرب الخليج، حين دعت الحكومة السعودية القوات العسكرية الاميركية للمملكة لدرء اجتياح عراقي آخر.

في شرحها للازمات الثلاث التي أشارت الباحثة اليها سابقاً، تبدأ جوين بتسليط الضوء على توحد مطالب المعارضة. تقول بأن التسعينيات كانت عقداً صعباً في العربية السعودية، فالغضب المتنامي تفجّر بصورة فجائية مع حرب الخليج عام ١٩٩٠-١٩٩١. فتموقع القوات الاميركية في السعودية قد حوّل الهوية البدائية للصحوة الاسلامية في هذا البلد الى حركة معارضة منظمة. والنقد السياسي قد أصبح الآن علنياً. وكثير من المكتوب، والموقع عليه والموثق منه صار في عرائض مقدّمة للملك فهد. وهذه العرائض قد دعت فيما دعت اليه تأسيس مجلس شورى، ونظام قضائي مستقل، وتوزيع عادل للثروة النفطية، اضافة الى قيود على المسؤولين المعروفين بالفساد. وقد تحوّلت خطب الجمعة الى مناسبات من اجل النقد السياسي، وقد جرى اعتقال عدد من المشايخ المعروفين بسبب المضامين النقدية لهذه الخطب. المظاهرات التي يصعب السماع بها في ظل نظام تسلطي كالذي في السعودية، تفجرت للمطالبة باطلاق سراح المشايخ، وأبرز هذه التظاهرات ما حدث في بريدة، مركز الامداد الشعبي للعائلة المالكة.

فالتوحد بين قوى المعارضة السياسية المحلية على المظالم والخارق لحلقات الخلاف الداخلي: المنطقة، النوع، الطبقة، المذهب، الاثنية، الايديولوجيا، والخلفيات المدنية القروية.. بدأ يعبر عن نفسه في دعوات مثل اعادة توزيع الثروة، والعدالة الاجتماعية الاجرائية، ومحاسبة النظام، والتي تعني في جوهرها حكم القانون. فالجماهير أصبحت مدركة للحكم الشخصي العشوائي، وبسبب هذا التوحد فإن الدولة لم تعد قادرة على اللجوء الى الاستراتيجية المفضلة لديها وهو تأليب الاطراف ضد بعضها. فتجار القطاع الخاص والبيروقراطيون، والصناعيون واصحاب المحال التجارية، والسنة والشيعة والرجال والنساء يتقاسمون نفس المظالم الرئيسية. رد الفعل المتزايد من قبل الملك فهد للمعارضة الشعبية فشلت في استرضاء أحد. ففي عام ١٩٩٢، عيّن الملك فهد مجلساً غير استشاري واعطى بعض الصلاحية للسلطات المحلية، حيث يتولى أفراد العائلة المالكة ادارتها. فـ "الاصلاحات" كما تقول جوين خيّبت آمال البعض وأغضبت بعضاً آخر. وكان من تأثيراتها تعزيز مركزية العائلة المالكة في الحياة السياسية، اكثر من كونها وسّعت مشاركة ذات معنى.

فميا يتصل بأزمة "المرجعيات الدينية المتعددة" تشدد الباحثة على أن الحكم السعودي يتقاسم مصيراً مشتركاً وفي الوقت نفسه صعباً مع العلماء. فالعلاقة التي يعود تاريخها الى تحالف عام ١٧٤٤ بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود كان أشبه ما يكون بعملية مصاهرة بين المشروعية الدينية والقوة العسكرية. فالمتحدرون من الشيخ بن عبد الوهاب مازالوا يسيطرون على المؤسسات الدينية الرسمية التابعة للدولة. كما يصدر العلماء بانتظام فتاوى لتبرير سياسات آل سعود بلغة اسلامية، حتى وان كانت هذه السياسات لا تحظى بقبول الشعب، كما في مثال فتوى تبرير حضور القوات الاميركية خلال ازمة الخليج.

توحّد المعارضة ناتج من أن السنة والشيعة والرجال والنساء والبيرقراطيين والتجار يتقاسمون نفس المظالم، ولذا لا تستطيع العائلة المالكة تأليب طرف على آخر

ويبقى الاسلام، على حد قول الباحثة، سيفاً ذا حدين بالنسبة لآل سعود. فهو يمنحهم الشرعية كمنافحين عن العقيدة، ولكنه في ذات الوقت يفرض قيوداً على سلوكهم بما يتوافق مع القانون الديني. فحين ينحرف بعض اعضاء الاسرة المالكة عن الصراط السوّي، فهم معرضون للنقد اذ ان زعم النظام بـ "حقه في الحكم" يستند اساساً على التحالف مع العائلة الوهابية. واليوم يتعرض "التحالف" بين النظام والمؤسسة الدينية الرسمية الى تحدٍ من قبل المعارضين وذلك لأن الاطراف (المشاركة في التحالف) لم يعد يمارسوا مهامهم في تعضيد وتحسين اداء كل منهم الآخر.

ومع اندلاع حرب الخليج، فإن العلماء المعينين من قبل السلطة، جرى تصنيع بدائل شعبية عنهم اكثر تحرراً وصراحة في معارضتها للسلطة. فالانقسام بين السلطات الدينية الرسمية والقيادات الاسلامية الشعبية بات عظيماً. وبحسب احد المعارضين "فالعلماء القدامى يعتقدون بأن الحاكم هو نائب عن الله في الارض. وان النصيحة لا يمكن تقديمها الا في السر. اما العلماء الجدد فهم يرفضون فكرة النيابة، بل يرون أن واجب العلماء هو نقد الحاكم والعمل من اجل التغيير. فالعلماء البدائل كتبوا فتاوى خلال حرب الخليج والتي تعارض فتوى العلماء الرسميين وتقدّم أسباباً لمنع تموقع القوات الاميركية في الاراضي السعودية. الفتاوى البديلة اكتسبت دعماً شعبياً واسعاً اكثر من الفتوى الرسمية".

والتاريخ يعيد نفسه، فظهور علماء منافسين يجعل آراءهم معروفة. فالشيخ الشعيبي وآخرين نشروا فتاوى أعربوا فيها عن تمديد فكرة الجهاد من محاربة الكفار الاجانب الى محاربة الحكومات المحلية والتي تصوّر باعتبارها حكومات غير عادلة. التعليقات الاضافية الخطيرة للشعيبي على فكرة الجهاد يمكن تفسيرها بأنها تستهدف النظام السعودي.

اما الازمة الثالثة، أي المعاناة الاجتماعية ـ الاقتصادية.. فإن الباحثة جوين ترى بأن الايدولوجية الاسلامية باتت تستعمل كلغة التعبير عن بيئة المعاناة الاقتصادية والاجتماعية.

فالملك فهد فقد القدرة منذ الجلطة التي أصابته عام ١٩٩٥ حيث هزّت العائلة صراعات الاستخلاف. ومنذ الأيام الذهبية للثروة النفطية، فإن الدخل السنوي قد تضاعف الى نحو الثلثين. اما معدل المواليد فقد ارتفع الى نسبة ٣-٣.٥٪، وأن غالبية السكان هم دون الخامس عشرة سنة. فهؤلاء الشباب اليافعون سيفرضون عملياً مطالبهم في التعليم، والوظائف، والسكن في وقت واحد. ولكن البنية الاساسية المشيّدة دفعة واحدة خلال سنوات الطفرة بدأت بالتعثر والتراجع والتدهور وبخاصة المدارس والمستشفيات. فالبطالة وسط خريجي الجامعات وصلت الى ٣٠ بالمئة وربما أكثر. ومع ذلك، تبقى السعودية معتمدة بصورة كبيرة على العمال الأجانب، والذين يمثلون ٩٠ بالمئة من القطاع الخاص و٧٠ بالمئة من قوة العمل في القطاع العام. وفيما يبدو فإن المعايير الاجتماعية تقلل من تقارير المشاكل الإجتماعية من قبيل السلاح، والمخدرات والجريمة. هذه جميعها تهيىء حقلاً خصباً للمعارضة.

الاصوات الخلافية تصاعدت أيضاً بسبب أن التركيبة الاستثنائية للحكومة لا تعكس اختلاف السكان. فخلافاً للتصويرات الشعبية، فإن العربية السعودية ليست دولة منسجمة في الجوانب الاثنية والدينية والايديولوجية. فالمذاهب الدينية المختلفة بما في ذلك الارثوذكسية الوهابية، والتيار السني العام، والاقلية الشيعية، والمذاهب الصوفية في الحجاز، والاهم حركة المعارضة السنية السلفية ينادون باصلاح الدولة. الحركة السلفية تعارض اعتماد العلماء الرسميين على العائلة المالكة، وحكمها التسلطي، فيما ينادي الراديكاليون منهم اليوم بالجهاد، اما الاصلاحيون فيفضّلون الانتظار حتى يحين الزمان والمبررات المناسبة.

خلافاً للتصورات المتداولة، السعودية ليست دولة منسجمة في الجوانب الأثنية والدينية والإيديولوجية، أي أنها دولة متعددة الهويات

الحركة الاسلامية، الشيعية والسنية على حد سواء، هي ممثلة خارجياً عن طريق عدد من التنظيمات الاصلاحية في كل من لندن والولايات المتحدة. جماعات اخرى متطرفة في الخارج مثل القاعدة تناصر خيار العنف كوسيلة مناسبة لتحقيق أهدافها. وبينما لا يزال هناك ادانة لمآسي الحادي عشر من سبتمبر داخل السعودية، فإن المظالم المفصح عنها من قبل حركة اسلامية خارجية تتردد اصداؤها بقوة وسط معظم أجزاء المجتمع.

والاهم من أي تنظيم خارجي هي تلك الشبكات السرية غير المحددة الشكل من الجماعات الدراسية داخل السعودية والتي يمكن ان تنشط في اللحظة المناسبة. فحين جرى اعتقال عدد من المشايخ بسبب خطب في المعارضة، فإن السخط الشعبي كان عارماً. وبعد اطلاق سراحهم من المعتقل عام ١٩٩٩، فإن الحركة الاسلامية أصبحت أكثر ميلاً للتهدئة. ولي العهد الامير عبد الله، بدأ الاستجابة للمظالم الداخلية والخارجية، فأطلق سراح المشايخ، وفرض قيوداً على النشاط التجاري، والاستعمال المجاني للهاتف، والطائرات والماء من قبل الامراء، فيما سمح ببعض الحرية للصحافة وعارض بصورة علنية سياسة اميركا الشرق أوسطية، وإن كان يبدو بطيئاً في مسائل أخرى.

في خط مضاد لسير البحث السابق، تعالج الباحثة جوين قضية هامة أطلقت عليها اسم "الصمت الواضح". تشرح أهمية هذه القضية ومدخليتها في موضوعها الرئيسي بالقول "عوامل أخرى تعمّق الصمت الواضح للعائلة المالكة في حرب الولايات المتحدة على الارهاب. فهناك عدد كبير من اعضاء العائلة المالكة وأفراد من العوائل البارزة في القطاع الخاص يحتفظون بروابط قوية مع بن لادن. وفي واقع الامر، فإن الولايات المتحدة كانت تعلم لسنوات عديدة عن انتقال الاموال من السعودية الى القاعدة. فالتنافس العائلي كان يمنع من وجود موقف صلب. ورغم أن ولي العهد الامير عبد الله يدير البلاد بصورة فاعلة فيما يتواصل تدهور صحة الملك، فإن مسألة خلافة الملك مازالت مورد صراع وتنافس وسط بعض الأمراء الاقوياء".

شرعية النظام السعودي اليوم أقلّ إقناعاً للشعب، فالعنف الحكومي ولد سخطاً، ومداخيل النفط تقلّصت، والوهابية لا تعكس الواقع التعددي السعودي، ولا تمنح كامل الشرعية لآل سعود

وتضيف بأنه يجب على السعودية، بحكم موقعها كحارس للاماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وكمستضيف سنوي للحج، المساهمة في الجمعيات الخيرية الاسلامية. فهذا الدور القيادي يفوّض آل سعود بالنيابة عن البلد تمويل المنظمات عبر العالم الاسلامي. الواجب الاسلامي في الزكاة يفرض الأخذ من أموال الاغنياء واعطائها للفقراء، فهذا هو واجب ديني لا خيار فيه. وحين طلبت الولايات المتحدة الاميركية من النظام السعودي تجميد كل الجمعيات الخيرية الاسلامية، فإن الطلب وضع آل سعود في موقف هزيل. ربما كان مقبولاً تجميد حسابات شركات واستثمارات بن لادن، ولكن تجميد الجمعيات الخيرية الاسلامية فهذا من القضايا اللا مفكر فيها بالنسبة لنظام ترتبط مشروعيته بصورة حميمية بالاسلام. وكما هو الحال بالنسبة لجورج دبليو بوش، كان على آل سعود ان يقدّموا اجابات لمواطنيهم اولاً واخيراً.

الباحثة جوين حاولت ان تعيد تأسيس الجدل على أرضية منطقية من خلال افراد جانب من البحث حول ما أسمته "أرضية وسطى واسعة"، تحاول فيه قراءة التكوين الايديولوجي والسياسي للنظام السلالي السعودي. تقول جوين بأن آل سعود أسسوا حكمهم على الفتح، والاحتواء عن طريق مصدرين: الاول توزيع المداخيل النفطية والثاني الوهابية.

وهذه المصادر التاريخية للمشروعية هي اقل اقناعاً، فالعسف خلق استياءً شعبياً، ومداخيل النفط قد تقلصت بصورة دراماتيكية، والوهابية لم تعكس البتة الواقع التعددي للسعودية. والآن يبحث السعوديون عن حكومة تمثيلية اندماجية. فالسكان يريدون حرية التعبير وحرية

الاجتماع، ويريدون المشاركة في تنمية بلادهم، وبخاصة في تحقيق الحاجات الخاصة بالتعليم، والصحة والتوظيف والبنية الاساسية بالنسبة لسكان يتكاثرون عدداً. السعوديون لا يريدون اهدار المصادر الوطنية على شراء الاسلحة من الولايات المتحدة من خلال صفقات ليس لديهم سلطة عليها او قدرة على ادارتها.

حين يتحدث السعوديون عن التغيير، تقول الباحثة، فإنهم يقصدون بذلك "حرية الصحافة، التعددية، حرية التعبير، ورفع الرقابة على الهاتف". وبالنسبة لكثير من السعوديين فإن تحقيق آمال واحلام الاصلاحيين يتطلب من الولايات المتحدة تشجيع الامير عبد الله على مواصلة الاصلاحات الاقتصادية والسياسية وبذلك يحافظ على العلاقات السعودية الاميركية التي تمثل ذات فائدة مشتركة. وبالنسبة للامير عبد الله فإن هذا يعني "استجابة لمطالب الاصلاحيين الاسلاميين وملايين السعوديين غير المصنّفين باعتبارهم ناشطين في الاسلام المليشيائي".

إن عمق العسف الملكي قد عنى بأن الاصوات البديلة قد سمح لها بالازدهار. واليوم ليس هناك بديلاً حيوياً لدى العائلة المالكة يمكنها من توحيد الاجزاء المتباينة من البلاد، بل قد يعزز ذلك خيار بن لادن. ولكن ما يتحدث عنه كثير من السعوديين اليوم لا يمثل ديمقراطية كاملة كما لا يمثل ملكية مطلقة، بل هو صوت في الحكم، وحكم القانون. وأن التحدي الذي يواجه ولي العهد الامير عبد الله هو تطوير اصلاحات محلية تستوعب حقيقة اختلاف السكان وتباينهم. فصوته الوطني القوي يمكن استعماله لمقاومة قوة الحركة الراديكالية، والارضية الوسطى الواسعة بين ثورية بن لادن والعائلة المالكة التسلطية تتطلب مزيداً من الحرث.

أخيراً، فإن جوين تعتقد بأن انجذاب الاسلامويين الى الخيار الراديكالي او التطرف يعود الى افتقارهم لخيارات اخرى. وتصر الباحثة على أن الدين ليس سبب التطرف ولكنه صوت التغيير. وأن السبيل الوحيد لإضعاف صوت الاسلام الراديكالي هو في معالجة مشكلة العزل السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تقوم به السلطة.

حلال على السلطة حرام على غيرها!

إعادة المعاني المسروقة الى المفاهيم الوطنية

كل أدوات التقسيم باتت محتكرة بيد الدولة من الهوية الى الايديولوجيا الى التركيبة الادارية والى الاضابير القانونية. ولكن ليس هناك من يجرؤ على اتهامها بأنها دولة تحمل نزعات انفصالية.. كيف وقد وحّد مؤسسها أجزاء واسعة من الجزيرة العربية تحت سلطة موحدة، ولكن مع ذلك كل أدوات الدولة تشجّع على تقسيم المجتمع. ولكن الدولة بهذه الادوات التقسيمية تقدّم نفسها في أرقى صور الوطنية، بل وتدخل في مجابهة مع كل الشرفاء والوطنيين كيما تزايد عليهم في الوطنية، بل وتصمهم بالانفصالية وتهديد الوحدة الوطنية حين يطالبون بحق المساواة كعنصر أصيل في مفهوم المواطنة، وحينئذ تتحول المساواة الى دعوة انفصالية أو تقسيمية، لأنها ليست جزءا من خطاب الدولة ولا في قائمة أدواتها.

أنت إذ تطالب بالتمثيل العادل في السلطة، والمشاركة السياسية، والتعددية الحزبية، وحرية الصحافة والتعبير، واحترام حق المرأة السياسي.. تكون متهماً في ولائك للدولة، وربما تتهم لاحقاً بكونك "فاسد المعتقد" وقد تدور عليك دوائر أهل الحكم وأهل العلم (الشرعي طبعاً) فتصبح في قائمة المنسيين شنقاً أو رمياً بالرصاص.

الدولة تواجه رعاياها بقيم مستعارة، فهي تستعمل كل المبادىء الكبرى: المواطنة، الوطنية، العقيدة السمحة، التقدم، التنمية، الانفتاح، والشورى.. طالما أنها مبادىء لن يتم اختبار صلة القرابة بينها وبين الدولة لدينا، وطالما انها لن تخضع للفحص والرد من قبل الرعايا. صعوبة الامر تكمن فيما لو برز من بين الرعايا من يضع الاشياء في أماكنها الصحيحة، فيعيد المعاني المسروقة الى تلك المفاهيم.. وحينئذ تصبح المفاهيم ملتحمة بمصاديقها، وليس كما قرر معانيها أهل الحكم.

الحكومة ترفع شعارات الوطنية والمواطنة وتمارس أفعالاً معاكسة، وحين يرفعهما دعاة الإصلاح يصبحون (خونة) ويتعرضون للقمع

بلا شك فإن المواطنة، على سبيل المثال، في عرف أهل الحكم لدينا لا تعدو اكثر من الامتثال لقوانين الدولة وإظهار الولاء للسلطة، والبراء من خصومها الداخليين والخارجيين. ولكن حين يتم تعريف المواطنة تعريفاً علمياً صحيحاً يتعارض مع النزوع التسلطي لدى أهل الحكم، تصبح المواطنة كمضمون نقيضاً موضوعياً لتكوين السلطة وأساسها الايديولوجي. فالمواطنة كما تعرّفها المراجع العلمية تفترض: المساواة في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، واخيراً الواجبات المتبادلة بين الحاكم والمحكوم. وبلا شك فإن تعريفاً كهذا ليس مرفوضاً فحسب، بل ومحارب أيضاً.. والانكى اشتراك طائفتين في هذه الحرب على مضمون كهذا للمواطنة وهما: الامراء والعلماء.

نفهم خلفية معارضة العلماء للمواطنة باعتبارها مناقضة مضموناً لتكوينهم الايديولوجي ورؤيتهم الدينية، ولكن معارضة الامراء تبدو ممقوتة خصوصاً حين يرددوا هذا المصطلح ويشهرونه أحياناً كسلاح في وجه من أرادوا تسقيطه أو نبذه أو معاقبته.

فأن تخالف الدولة كل شروط المواطنة، وأن تضع عملياً محددات مفبركة للمواطن الصالح والمواطن الفاسد أو اللامواطن بناءً على عقيدة رجال الدولة في تصنيف الرعايا، الاقرب فالأقرب، فهذا الأمر يعتبر جائزاً في عرف الدولة وأجهزتها، ولكن ان يرفع دعاة الاصلاح مطالب بإرساء مبدأ المواطنة بصورة صحيحة والغاء تلك القيود والشروط المفروضة على مواطنة السكان، فحينئذ تنقدح كل مبررات القمع ضد هؤلاء الاصلاحيين.

ليس هناك اختلاف بين الحكومة والمعارضة على العناوين العريضة، ولكن الاختلاف يكمن ويتزايد في المضامين والمصاديق، حيث تنشق مساحة واسعة بين الطرفين في المناظرة حول ماذا يعني هذا المفهوم وماذا يشتمل ويتضمن ذاك المفهوم. للحكومة مقاصدها من تلك المفاهيم وللمعارضة خلافها، وفي كل الاحوال يبقى الحكَمُ في مدى إقتراب كل فهم وغرض من المعايير العلمية.

ولأن الحكومة تحتكر وسائل القوة والقدرة من اعلام وجيش ومؤسسة أمنية، فإنها تراهن على استعمال هذه الوسائل في فرض مفاهيمها الخاصة، وإن جاءت تحت عناوين ومثل عليا، ولكن حين تأتي لحظة اختبار مصداقية تبني الدولة، تفقد المفاهيم حضورها لحساب السلطة التي تصبح وحدها القيمة العليا.

حتمية الإصلاح السياسي لا تعني القبول الملكي به أو المضي باتجاهه

مؤشرات إنكسار "الدولة": إستجابة للتغيير بالمزيد من العنف

حتمية التغيير والإصلاح السياسي في المملكة العربية السعودية مقولة تكرّرت لعقود طويلة من قبل باحثين محليين وأجانب. فالمعطيات العلمية والإحصائية التي كانت بين يديهم تشير الى تلك الحتمية، ولكنّ شيئاً جديراً منها لم يقع ولم يحدث. فهل كانت تلك الدراسات مجرد تخرصات لم تبنَ على معطيات واقعية، وأن العائلة المالكة التي تمسك بزمام الأمر كانت ولاتزال أكثر إدراكاً لطبيعة مجتمعها الذي تحكمه، وأكثر وعياً بمفاعيل التغيير التي قد تكون استعصت على فهم الباحثين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم؟

الآن وقد تكررت ذات العبارة "حتمية التغيير".. فإن التاريخ يعيد الى الأذهان كيف أن العائلة المالكة في السعودية نجحت حتى الآن في الخروج من كل المآزق التي مرّت بها، واستطاعت بأساليبها إحباطها المرة تلو الأخرى دون أن تحدث مضاعفات كان يعتقد المحللون بحتمية وقوعها. وأمراء العائلة المالكة يشيرون بين الفينة والأخرى بطرف خفي الى حقيقة لا يمكن نكرانها وهي أن نظام الحكم السعودي تجاوز كل المآزق السياسية الداخلية والخارجية دون أن يقدّم تنازلاً في ثوابته وفي مقدمتها أن السياسة والحكم شأن خاص بالعائلة المالكة وحدها، وأن لا حقّ لأحدٍ أيّ كان خارج إطارها من تعاطيها أو إقحام نفسه في أتونها.

لنستعرض بعض الأزمات التي مرّت بها العائلة المالكة في عقودها الخمسة الماضية لنرَ حدود التأثير الذي صنعته لدى قواعد الحكم في المملكة. تمثلت الأزمة الأولى في غياب الرمز التاريخي الذي صنع الوحدة، وهو الملك عبد العزيز، فقد كان متوقعاً أن تنهار مملكته، ويتشاجر أبناؤه على السلطة فتتبدّد وتنهار الدولة. جاءت وفاة الملك المؤسس بعد عام من قيام الثورة المصرية، وفي ظل عداء مستحكم بين الهاشميين في العراق والأردن وبين العائلة السعودية، وقد كان الهاشميون - خاصة في العراق - ينتظرون بفارغ الصبر نهاية الأسطورة السعودية التي أخرجتهم من الحجاز، ليعودوا إليه.

لم يكن الملك سعود قادراً على ملء كرسي والده، واستطاعت العائلة المالكة تجاوز خلافاتها على مضض شديد، الأمر الذي جعل مسألة الخلافة تمضي بيسر الى حين.. ومما ساعد في الأمر خاصة في السنوات الأولى لحكم الملك سعود، أن القوى الإجتماعية والسياسية كانت مهيضة الجناح، ضعيفة مشتتة لم يكن بإمكانها حشد أيّ مقاومة تستهدف نظام الحكم أو تتمكن من إعادة مكوناته المناطقية الى سابق عهدها. بيد أن المشاكل تصاعدت بين الأمراء (جناحي الملك سعود وأخيه فيصل ولي العهد) ابتداءً من عام ١٩٥٦، ولم تهدأ إلاّ بالإطاحة بالملك سعود في عام ١٩٦٤. وخلال هذه الفترة ظهر تهديد جدّي قادم من مصر تحالفت معه المملكة ابتداءً (في مقاومة الهاشميين الذين تبنّوا حلف بغداد) وفي مقاومة الإستعمار البريطاني حيث دخلت المملكة تجربة فريدة من نوعها في صراعها مع بريطانيا أدّت الى قطع العلاقات بسبب أزمة البريمي. لكن العائلة المالكة ما لبث أن شعرت بأن نظاماً ثورياً مصرياً لا بدّ وأن يأتي على قواعد النظام بالتدمير، خاصة بعد سقوط الهاشميين في العراق عبر ثورة ١٩٥٨ وتزايد الحركات المعارضة وتصاعد تمردات الجيش الى حدّ الخروج من الثكنات مردّدين: باقي إثنين.. واحد وحسين (أي لم يبق سوى الملك سعود والملك حسين). هنا انقلبت العائلة المالكة في سياساتها ضد مصر وتبنّت مشروعاً أميركياً (الحلف الإسلامي) وحاولت اغتيال عبد الناصر (قصة عبد الحميد السراج) كما حاولت دقّ أسفين في الوحدة المصرية السورية.. وجاءت الثورة اليمنية ومن بعدها الحرب لتجعل خيار السعودية يميل الى الحرب الشاملة داخلياً وخارجياً للدفاع عن نفسها.

> **الهاشميون ينتظرون بفارغ الصبر نهاية الأسطورة السعودية كي يعودوا الى بلدهم الأصلي: الحجاز**

لم تكن التهديدات الداخلية والخارجية في مجملها تستهدف (إصلاحاً) تدريجياً بقدر ما كانت تميل الى إسقاط النظام السياسي نفسه. شيئاً من هذا لم يحصل. فالذي حصل - ربما نتيجة هذه التهديدات - هو محاولة تدعيم أجهزة الدولة وتقويتها في جوانبها العسكرية والأمنية والى حدّ ما الإقتصادية (مع تذبذب في هذا الأمر) إضافة الى تنشيط السياسة الخارجية السعودية وتوثيق التحالف مع الولايات المتحدة والإندماج شبه الكامل في سياساتها واستراتيجياتها في الشرق الأوسط ضمن ما سمي بـ (الحلف الإسلامي) و (مكافحة الشيوعية).

رافقت الأزمة الخارجية للمملكة والدافعة باتجاه إسقاط النظام والمدعومة بامتدادات تنظيمية داخلية (بعضها مسلحة)، أزمة أكثر خطورة وتمثلت في الصراع المرير والذي استمرّ قرابة سبع سنوات بين ولي العهد فيصل وأخيه الملك سعود حيث امتدت بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤. تلك الأزمة كان من المفترض أن تفضي الى إصلاحات داخلية تؤسس الى تغيير تدريجي في نظام الحكم. لكن الغالبية الساحقة من الأمراء كانت ترفض الإصلاح السياسي لسببين:

الأول: أنها لا تعتقد بأحقيّة أحدٍ من الشعب في المشاركة في الحكم.

والثاني: لم تكن العائلة المالكة في وضع نفسي لأن تظهر ضعيفة أمام الضغوط المحلية والخارجية فتستجيب لدعوات الإصلاح السياسي والتي لم تتعزّز إلا بوجود أنصار لها بين الأمراء أنفسهم.

قاد الأمير طلال دعوة التغيير ابتداءً لصالح فيصل في مارس ١٩٥٨ مستفيداً من أخطاء الملك: محاولة اغتيال عبد الناصر والوحدة، واستعداء إخوته وإزاحتهم عن مناصبهم وتعيين من يريد من أبنائه في الوزارات والعسكر، خاصة بعد محاولة الإنقلاب عام ١٩٥٦ حيث أسس الحرس الملكي وأنشأ الجيش الأبيض (الحرس الوطني فيما بعد) وعهده لأحد أبنائه (خالد). اتفق عشرة من الأمراء في ٢٢ مارس ١٩٥٨ على أن يتولى الأمير فيصل دفة السلطة وتعديل نظام مجلس الوزراء، كما اتفقوا على اقتراح (مشعل وطلال وبدر) بوضع دستور للبلاد، وتفعيل مجلس شورى الحجاز القديم ليكون مجلساً تشريعياً حقيقياً لكل المملكة، إضافة الى وضع نظام للمقاطعات. ورضخ سعود وتعيّن فيصل رئيساً للوزراء بصلاحيات كبيرة فأدار البلاد لمدة عامين تقريباً بشكل أفضل، لكن طلال عاد مرة أخرى ودعم الملك سعود لإستعادة صلاحياته ضد فيصل لأن الأخير لم ينفذ ما اتفق بشأنه في مجال الدستور ومجلس الشورى الأمر الذي أدى الى إقالة فيصل من الوزارة في ٢١ ديسمبر ١٩٦٠، وتأسيس وزارة جديدة سميت بوزارة الشباب تولى طلال فيها وزارة المالية والطريقي وزارة النفط وإبراهيم السويل وزارة الخارجية (كانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي يتولّى وزارة سيادية شخص من العامّة).

تبع هذا تشكيل لجنة وضعت دستوراً مكوناً من ٢٢٠ مادة، ونظام مقاطعات، ولكن الملك سعود عاد وتنكّر للإصلاحات، فانهارت وزارة الشباب بعد ثلاثة أشهر من تشكيلها وعاد فيصل الى موقعه كرئيس للوزراء من جديد، فقذف بالطريقي الى خارج الحدود، وأقام طلال في الخارج محاولاً تشكيل جبهة وطنية ضد ولي العهد فيصل الذي أعاد تشكيل الوزارة بشكل يناسبه، فيما كان الملك سعود يتنقل من بلد الى آخر من أجل النقاهة والإستشفاء، وما أن يعود حتى يطالب من جديد بالحكم ويقصي فيصل ليعود هذا الأخير مرة أخرى ليحجم الملك ويشكل وزارة أخرى في سبتمبر ١٩٦٢. وهكذا دواليك.

لم يحسم الأمر إلاّ في عام ١٩٦٢ حيث قررت العائلة المالكة مدعومة برجال المؤسسة الدينية أن يكون الملك سعود ملكاً إسمياً بدون سلطات، وأن يتولى فيصل كل شؤون الدولة. كانت فتوى العلماء في ٢٩ مارس ١٩٦٤ ووقع عليها المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعدد من كبار العلماء بينهم مشايخ من آل الشيخ إضافة الى الشيخ ابن باز ومحمد الحركان وعبد الرحمن بن فارس وسليمان بن عبيد وعبد العزيز بن صالح.

بعد هذا تم تجريد الملك سعود من كل صلاحياته وقواه العسكرية حيث تمّ حل الحرس الملكي وسحب من قصر الناصرية الذي يقيم فيه سعود، وسحب الحرس غير النظامي من القصور الملكية، وخفضت مخصصات الملك وعائلته من ١٧٠ مليون ريال سنوياً الى ٢٤ مليون ريال فحسب. ولكن الأمور لم تحسم الصراع فكان لا بدّ من عزل الملك سعود بدعم من المشايخ وبإجماع من العائلة المالكة تقريباً وذلك في نوفمبر ١٩٦٤.

المعارضة السعودية اتجهت لاقتلاع النظام وليس الى إصلاحه، ولم تكن مهيئة لاستثمار ضعفه لفرض مطالب الشارع

لم تكن المعارضة الداخلية لتحصل على فرصة أفضل من تلك لفرض رأيها وشروطها على العائلة المالكة لتقوم ببعض الإصلاحات، لكنها فيما يبدو كانت ضعيفة، أو أنها في الحقيقة كانت تتجه الى العمل السري المدعوم من الخارج (النظم الثورية في العراق ومصر وسوريا) الذي يستهدف إسقاط النظام على الأرجح عبر انقلاب عسكري. ربما كان يدور بخلد المعارضين أن الإصلاح بالتحالف مع أمراء العائلة المالكة (الأمراء الأحرار) غير كافٍ أو لا يمكن أن يتمّ اختياراً بدون ضغط عنفي أو شعبي على الأمراء. التجربة تلك برهنت على حقيقة أن العائلة المالكة في السعودية أكثر من أي عائلة ملكية أخرى، أشدّ تمسّكاً بما تعتبره حقها المطلق في الحكم وبدون أن يكون هناك أدنى مساهمة من الشعب فيه. أيضاً برهنت أحداث تلك الفترة أن الصراع بين أمراء العائلة المالكة وفي ظل تهديدات خارجية إقليمية لم يكن كافياً لإجبار الأمراء على قبول التغيير، لأنه جاء في سياق التهديد بإسقاط النظام وضمن امتداد إقليمي أمكن مقاومته بتحالف أقوى بين العائلة المالكة والولايات المتحدة الأميركية التي تعهدت بحماية النظام السياسي السعودي.

ما أثمرت عنه مرحلة الصراع تلك المزيد من تطور أداء جهاز الدولة وتضخم في الجهاز الأمني والعسكري، وإشراكاً ملحوظاً لعدد أكبر من العامّة في الجهاز الإداري في أرفع مستوياته كوزراء ووكلاء وزارات، حيث تم توسيع مجلس الوزراء وإضافة وزارات جديدة.

بعد تولي فيصل الملك، أجبر سعود على قضاء ما تبقى من عمره في المنفى (أربع سنوات) قضى أكثرها في اليونان وحاول أثناءها استعادة حكمه بالتعاون مع جمال عبد الناصر قبل أن تنكب

الأخير نكسة حزيران ١٩٦٧، حسبما أفصح عن ذلك رئيس الإستخبارات المصرية آنئذ صلاح نصر في مذكراته التي نشرت عام ١٩٨٦.

امتدّ حكم الملك فيصل بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٥ عاشت خلالها المملكة حقبة مضنية من القمع المنظم والحادّ لكل القوى المعارضة في الداخل. كان النظام مستقراً، ولم يكن متوقعاً والحال هذه أن يقدم على أية إصلاحات سياسية. على العكس من ذلك، فقد جرى تجريد الصحافة المحلية من هامش الحرية الذي كانت تتمتع به في عهد الملك سعود، وتمت تصفية المعارضة بدموية قلّ نظيرها تحت غطاء محاربة الشيوعية الداخلية. تلك المعارضة حاولت عابثة تصفية النظام نفسه عبر محاولات انقلابية كان أهمها انقلاب القوات الجوية عام ١٩٦٩م الفاشل.

النهاية التي آل إليها الملك فيصل، إغتيالاً بالرصاص في مكتبه وعلى يد أحد أبناء أخيه في مارس ١٩٧٥م، اعتبر مؤشراً لبداية مرحلة انفتاح. غير أن الحقيقة هي أن المعارضة الداخلية المنظمّة لم تكن قادرة على استثمار الوضع، في حين كانت فلولها في الخارج (العراق وسوريا) تنتظر بفارغ الصبر صدور قرار عفو يعيدها الى وطنها بعد طول تشرّد. الأمير فهد (الملك الحالي) وقد أصبح الرجل القوي الأول في الدولة، تولّى تسويق وعود الشورى والإصلاح السياسي والدستور التي كان (الفيصل الراحل!) يزمع اتخاذها. ثم توالت التصريحات ولكن شيئاً لم يحدث. في الحقيقة، المملكة كانت قد بدأت حينها سنيّ ما سمي بالطفرة الإقتصادية بسبب ارتفاع مداخيل النفط، فكانت النخبة مشغولة عن الإصلاح السياسي بالتعويض الإقتصادي أو المالي، وقد أدّت الوفرة الإقتصادية

انشغلت النخب أيام الطفرة النفطية بالمكاسب الشخصية، فأجّلت الوفرة الإقتصادية الإصلاحات السياسية وأعاقتها

الطاغية ـ كما كان مخططاً لها ـ الى تأجيل الإصلاحات السياسية وترحيلها الى المستقبل، لأن ضغطاً حقيقياً من الشارع باتجاهها كان شبه معدوم بحيث لم يكن كافياً لإجبار العائلة المالكة على التقدم باتجاهها ولو كان بخطوة صغيرة. أكثر من هذا فإن الضغط السعودي آنئذ كان واحداً من الأسباب التي أدت الى انهاء التجربة الديمقراطية الوليدة في البحرين عام ١٩٧٦م، وكان لدى الأمراء السعوديين متسعٌ من الوقت لبذل المزيد من الضغط على الكويت لتحقيق ذات الغرض.

في نوفمبر ١٩٧٩م حدث اقتحام المسجد الحرام عسكرياً من قبل جهيمان وجماعة الإخوان، وقامت في نفس الوقت انتفاضة جماهيرية حادّة ساخطة في المنطقة الشرقية، وكان النظام في وضع شديد السوء، وكعادته في كلّ مرّة قدّم بعض الوعود بالإصلاح السياسي التي درج على دغدغة العواطف بهما كلّما تعرّض لهزّة من نوع ما، وقد تكررت الوعود في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٠ وعلى لسان أعلى المسؤولين. ثم وفي صيف عام ١٩٨٢م، بعيد وفاة الملك خالد، عادت الوعود من جديد وجرى تجاوزها كسابقاتها، وهكذا ايضاً تكررت الوعود خلال عقد الثمانينات في مناسبات مختلفة الى أن وقع غزو العراق للكويت، فكان للأزمة الداخلية السعودية طعمٌ آخر.

اضطرت العائلة المالكة بفعل الأزمة السياسية الداخلية والتي دخل اللاعب السلفي فيها معارضاً لأول مرّة، إضافة الى الأزمة الإقتصادية التي بدت آثارها تعمّ كل شرائح المجتمع، ونمو أنوية الديمقراطية في أكثر الدول العربية المجاورة.. اضطرت الى إطلاق الوعود ولم تستطع التنصّل منها، فأعلنت في مارس ١٩٩٢ أنظمة الحكم الثلاثة (نظام مجلس الشورى، ونظام المناطق، والنظام الأساسي). وتشكل على أثر ذلك مجلس الشورى بالتعيين، وكذلك مجالس مناطق. بعد عشر سنوات من هذه الخطوات صار واضحاً لدى الجميع بأن شيئاً لم يتغيّر في المملكة من الناحية السياسية والإدارية. الإستبداد السياسي

تعاظم دور المؤسسة الأمنية، وظهور نايف كملك غير متوج، مؤشر الى مستقبل سعودي قاتم

متواصل والشعب مغيّب عن صناعة القرار، والأزمة الإقتصادية تسير من سيء الى أسوأ.

لقد نجحت العائلة المالكة فعلاً في الإلتفاف على مطالب التغيير، وهذا ما يجعلها جديرة بالإدّعاء أنها مرّت بأزمات سابقة استطاعت التغلّب عليها. فقط يلزم الأمر شيءٌ من الصبر بالنسبة للقيادة كما قال الأمير نايف لجريدة السياسة.

ولذا فإنّ ما يعتقد أنه حتميّ الوقوع اليوم قد لا يقع فعلاً، حسب بعض التحليلات والحسابات التي يطبخها مطبخ العائلة المالكة. فما الذي يجعل من التغيير السياسي في الظروف الراهنة أمراً حتمياً؟

ترى النخبة المثقفة في المملكة أن الضغوط الداخلية الشعبية اليوم باتجاه الإصلاح (معززة بوعي الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية وأجهزة الإتصال الحديثة) هي أقوى مما كانت عليه في أي فترة سابقة من عمر الدولة السعودية القصير. ويتوقع أن يكون تصاعد الأزمة الإقتصادية التي لا يبدو أنها ستحل خلال عقد من الزمان، الوقود المستمر المحفّز للضغط، ليس بأشكاله السلمية، بل قد يبدأ بالعنف ولا ينتهي بالضرورة بالإصلاح بل بإنهاء الدولة نفسها.

ويرى هؤلاء أن العائلة المالكة كانت تتحصّن ضد الإصلاح بالترس الأميركي، في حين أنها اليوم واقعة تحت الضغوط الأميركية بعد أن استنفذت معظم أغراضها منها، وستكون مساهمتها في إنهاء الحكم في العراق الغرض النهائي المطلوب منها تأديته قبل أن يتحول كامل الضغط باتجاهها. فالإصلاح السياسي الداخلي لم يعد هدفاً شعبياً بل أميركياً أيضاً.

يضيف هؤلاء أيضاً أن نظام الحكم

في المملكة والرؤية التي يحملها (دينية وسياسية) أصبحا العنصر الشاذ في مجمل المنطقة الخليجية وربما العربية أيضاً.. العنصر المتميّز بالتخلف والتعالي والكثير من الرعونة، ومثل هذا النموذج لا يمكنه المقاومة بل مصيره الكسر إن عاجلاً أم آجلاً.

مسألة أخرى يضيفها المثقفون السعوديون الى تحليلهم وهي حقيقة أن المملكة مهددة إما بإصلاح نظامها السياسي أو أن تتمزّق الى دول متعددة. والجميع يعلم أن دوافع الإنفصال موجودة وربما تكون حادّة في بعض المناطق، وإذا ما تبيّن سواء لدى الغربيين أو للقوى المحلية ذات النغمة الوطنية أن الإصلاح غير قابل للتنفيذ في المستقبل القريب والقريب جداً، فإنها ستعمد الى خيار التقسيم وقد يكون بأسرع مما تتوقعه العائلة المالكة، مدعوماً في ذلك بدفع خارجي يجد صداه عند نفوس توّاقة إليه ولكنها تبحث عن المزيد من المبررات حتى تشرع بالدعوة والعمل العلني لتحقيقه.

هذا المأزق الحادّ الكامن في خيارات صعبة، يعطي تصوراً بأن العائلة المالكة ـ وكأي حكومة تملك شيئاً من الوعي بالمخاطر وتدرك محدودية الخيارات ـ لا بد وأن تستجيب للمطالب الشعبية التي هي واضحة كل الوضوح ويجري التعبير عنها بصور شتى في الصحافة المحلية باستخدام مفردات غير ملتوية: الإصلاح السياسي، مجلس الشورى المنتخب، تعزيز الهوية الوطنية، ترسيخ مبدأ المساواة والمواطنة وإلغاء التمييز، احترام حق المرأة، مكافحة الفساد، وضع نظم وقوانين جديدة، الحدّ من دور الوهابية في مؤسسات الدولة، إصلاح القضاء..الخ.

بيد أن العائلة المالكة، ورغم مرور

قدم آل سعود إشارات القمع أكثر من إشارات النية في الإنفتاح، وبذا غامروا ببقاء الدولة بديلا عن الإقدام على الإصلاحات

أكثر من عام على زلزال سبتمبر، قدّمت من إشارات القمع أكثر منها إشارات الإنفتاح، وقدمت التضحية بالدولة على قيامها بالإصلاح. وإذا كان التغيير صار ناضجاً وحتمياً، فإن السؤال هو: تغيير ماذا؟ وما هو الثمن؟ هل هو تغيير النظام السياسي عبر الإصلاح المتدرّج، الذي لايزال مرفوضاً، أم هو الإعصار الذي يزيل الدولة السعودية من الوجود؟

البوادر غير مشجّعة حتى الآن.. فلم يظهر تصريح واحد من كبار الأمراء يعد بإجراء إنتخابات لمجلس الشورى أو المناطق، أو إصلاح الدستور وتفعيله، أو يلمّح مجرد تلميح الى إشراك المرأة في الشأن العام، أو ينتقد وضع القضاء، أو يعترف بعمق الأزمة الإقتصادية، أو يقدم على خطوة واحدة باتجاه مكافحة الفساد ومعاقبة المفسدين ولو من باب ذرّ الرماد في العيون. الذي نراه في السلوك السياسي السعودي يشير الى الأسوأ والى مستقبل قاتم.

فبدلاً من تقليص دور القمع وبالضرورة دور وزارة الداخلية ووزيرها، نرى عكس ذلك تماماً فجوازات سفر دعاة الإصلاح والمثقفين تُسحب منعاً لهم من السفر، والأوامر الصادرة من وزير الداخلية وجهاز المباحث التابع لها تعمّم على الجميع محذرة من الحديث الى القنوات الفضائية (وليس قناة الجزيرة فحسب) وسواء كان في موضوع يخص السعودية أو غيرها. وطوابير من أساتذة الجامعات مُنعوا من التدريس لنشر دراسة او اعتراض على مسلك غير وطني كان آخرهم: أستاذ العلوم السياسية المقارنة في جامعة الملك سعود الدكتور متروك الفالح، والدكتور محمد الحسن الذي مُنع قبل ذلك من الكتابة في الصحافة المحلية. هذا غير المعتقلين الذين تستضيفهم السجون، والتحقيق في وزارة الداخلية وجهاز المباحث والتي طالت أكثر الكتاب والواجهات الوطنية.

لقد أصبح وزير الداخلية الرجل الأقوى في النظام، فهو يتدخل في كل أمرٍ تقريباً، بما في ذلك القضاء والإعلام والحج والأوقاف والدعوة والتعليم

إذا تبيّن أن الإصلاح السياسي مستحيل الحدوث، فإن القوى المحلية مدعومة من الخارج ستعلن دعوتها بفرض خيار التقسيم

والعمالة، إضافة الى السياسة الخارجية حيث افتعل وزير الداخلية أزمات مع أطراف خارجية لتغطية سوءات وزارته وفشلها الداخلي (مثل هجومه العنيف على الإخوان المسلمين، ودفعه لبعض كتاب وزارته بالمزيد من الهجوم على قطر، وضد المعارضة العراقية بمختلف فصائلها، بل وتشديد النكير أحياناً ويلحن طائفي ضد الشيعة داخل المملكة) وهذا لا يشير الى تقدّم نحو الإصلاح، بل الى تصلّب وعنف. والمؤسسة الدينية بما فيها الجناح السلفي المتشدد، مُنحت صلاحيات خلال العام الماضي في الإعلام وغيره وتضخمت بما يفيد أن التوجّه الغالب في الدولة حتى الآن يميل لصالح التشدد ليس إلاّ.

يأتي هذا كله في غياب أي تصور لوضع البلاد الإقتصادي والسياسي، وعدم وضوح في العلاقة مع أميركا، وفي ظل صراع مزمن بين أجنحة الحكم، وبدل أن تلتحم هذه الأجنحة لمواجهة الأزمة، بحيث يمكن القول أن في المملكة حكومات متعددة وليست حكومة واحدة، والقرار لم يعد مركزياً، ولم يعد باستطاعة ولي العهد ـ حتى وإن أراد ـ أن يغيّر من مسار السفينة المتجهة الى أعماق المحيط بربابنة متنازعين.

آمال الإصلاح لاتزال قائمة، بل هي مؤكدة الوقوع، شاء الأمراء السعوديون أم أبوا. والعنف لن يؤخر الإصلاح أو يعيقه بقدر ما يكون محفّزاً له، ومغيّراً لاتجاهاته السلمية الى العنف المضاد. كما أن تأخير الإصلاحات لن يفيد في تناسيها، بل هو يكرر تجربة الإتحاد السوفياتي، فحين ضاعت فرصة خرتشوف، جاءت إصلاحات غورباتشوف المتأخرة لتنهار الدولة أمام تحدياتها.

الوهابية كتلة ملتهبة قذفها السعوديون ضد "الآخر"

قراءة نقدية في الخطاب الديني الرسمي

هناك، بلا ريب، ما يبرر الفزع لدى القيادة السعودية، وهناك ايضاً ما يبرر المنافحة امام الهجمة الاعلامية الاميركية والتي قد تنطوي على اهداف تتجاوز حدود المأزق الافغاني وتنظيم القاعدة بقيادة اسامة بن لادن، وحتى التيار السلفي الراديكالي، وهناك ايضاً ما يبرر كثافة التواصل بين القيادتين السياسية والدينية في المملكة. فالسعودية التي انطفأت أضواء الاعلام الغربي فيها بعد حرب تحرير الكويت في فبراير ١٩٩١، وجدت نفسها الآن في مركز الاهتمام الاعلامي الغربي وعلى وجه خاص من الحليف الاستراتيجي الذي طالما لجأت اليه لمواجهة تهديدات المجاورين.

اللقاء المحموم بين قادة الاخوان والملك عبد العزيز بعد استكمال اجراءات اخضاع منطقة الحجاز في العام ١٩٢٦ لخص مجمل الازمة العميقة بين العلماء والامراء. فبينما حسم الامير ابن سعود موقفه بالامتثال لقوانين السياسة الدولية والقبول بالحدود الدولية المرسومة من قبل القوى الكبرى، كان قادة الاخوان يرون بوقف ابن سعود لمشروع "نشر الدعوة" في الآفاق خيانة للمثل الدينية التي قامت عليها حركة الدعوة الوهابية.

هذه الازمة العميقة بين رجال الدعوة ورجال الحكم رغم تواريها الظاهري خلف سطوة الدولة والتدابير المتواصلة لترسيخ اسس السلطة الجديدة في المناطق "المفتوحة" ظلت دائماً حاضرة، ولعل تخصيص جزء كبير من المخزون الدعوي لهذه المناطق بغية اخضاعها لمذهب الدولة الرسمي كان مقرراً له ان يمتص جزءا من النزعة شديدة الضراوة "لنشر الدعوة" عبر ممارسات هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقرار تدريس المعتقدات الدينية وفق المنظور الوهابي في المدارس الحكومية، وتشجيع بناء المساجد وطباعة كتب الدعوة على المستويين المحلي والدولي.

وكان توفر فرص خارجية في افريقيا وشرق آسيا وافغانستان واخيراً جمهوريات آسيا الوسطى قد يحقق بلا شك بعض ما يختزن الخطاب الدعوي الوهابي من رغبة جارفة في "تصدير" الوهابية الى الخارج، الأمر الذي عبر عنه أمين عام رابطة العالم الاسلامي عبد الله بن عبد المحسن التركي بقوله: "كان الملك عبدالعزيز وكانت السياسة السعودية المتزنة دائما تتابع وتحرص على خدمة القضايا العربية والإسلامية".

فتصميم جيش المسلمين ـ الوصف المتكرر في تغطية ابن بشر وابن غنام لحملات جيوش نجد على المناطق الاخرى في الجزيرة العربية ـ على غزو ديار المشركين واستيعابهم في مشروع "اعتناق الاسلام"، قد وفر دائماً قابلية مفتوحة لدى جحفل الدعاة الوهابيين في تحقيق المنجز الدعوي في ارجاء المعمورة.

النشاطات الدعوية سواء الداخلية او الخارجية لم تسر دائماً في خط مواز او متناغم مع التوجهات السياسية للدولة بل في كثير من الاحيان تسببت هذه النشاطات في مشاكل كبيرة في المناطق التي تمت فيها، ويكفي قراءة كتابات الاستاذ فهمي هويدي مثل "ثقوب في الوعي الديني"، "أزمة الوعي الديني" و"حتى لا تكون فتنة" وكتابات المرحوم الشيخ محمد الغزالي واهمها "السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث" و"ليس من الاسلام" و"دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين".. وكذلك كتابات الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي "السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي" وغيرها من الكتابات، عبرت عن مواقف اعتراضية على المنهج الدعوي الوهابي والارتدادات السلبية التي خلقتها هذه النشاطات. ولربما كان القادة السياسيون في المملكة يضربون صفحاً عن تجاوزات رجال الدعوة سواء في الداخل أو الخارج طالما ان هذه التجاوزات محتملة أو أنها لا تؤول الى خسائر سياسية داخلية او حتى دولية.

يختزن الخطاب الدعوي الوهابي رغبة جارفة في تصدير الوهابية الى الخارج، لم تكن دوماً في خط موازٍ مع التوجهات السياسية للدولة

تفجيرات نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر وجّهت الى الخطاب الديني السعودي الرسمي ضربة قاسية فور توجيه اصابع الاتهام الى ١٥ سعودي من اصل ١٩ متهما في التفجيرات وما لحق ذلك من حملة اعلامية مكثفة تقودها كبريات الصحف ومحطات التلفزة الاميركية، والتي تحمل التعليم الديني في المملكة مسئولية نمو مشاعر الكراهية ونزعة العنف بين السعوديين تجاه غير المسلمين باعتبارهم كفاراً. هذه الصحف والمحطات سلطت ضوءاً كثيفاً على المواد الدينية المقررة في المدارس والجامعات الحكومية في المملكة، وتوصلت الى نتيجة ان هذه المواد من شأنها اشاعة روح الكراهية ضد غير المسلمين.

بكلمة.. ان ثمة أزمة سياسية بين

حكومة المملكة والولايات المتحدة استعلنت نفسها على نحو غير مسبوق وربما بارادة اميركية، وكانت ايذاناً بمرحلة حرجة شهدتها العلاقات بين البلدين، عبر عنها ولي العهد الامير عبد الله ضمنياً بقوله ان بلاده تعيش "اياماً عصيبة تتطلب الحكمة والوعي في الحديث والخطاب والتصرف".

اتساع الحملة الاعلامية الغربية والاميركية تحديداً على السعودية، وبخاصة على نظام التعليم الديني فيها والذي حمّل مسئولية تشجيع العنف والارهاب، دفع بقيادة المملكة الى اعتماد مبدأ الشفافية في عرض القضايا والتعامل معها وان تطلب احياناً تسليط الضوء على اخفاقات مسكوت عنها في هذا البلد، كما في زيارة ولي العهد الامير عبد الله لحي الشميسي بالرياض، والذي مثل إقراراً ضمنياً بمشكلة فقر مدقع أصابت ملايين من المواطنين في بلد يختزن أعلى احتياطي نفطي في العالم.

الشفافية السعودية بدأت ملامحها مع خطاب الامير عبد الله في الرابع عشر من نوفمبر عام ٢٠٠١ أمام رؤساء أجهزة المؤسسة الدينية الرسمية الممثلة في هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والافتاء، ومجلس القضاء الاعلى، وهيئة التمييز والمحاكم، وديوان المظالم، وهيئة التحقيق والادعاء العام، واللجنة الدائمة للافتاء، وهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووزارة العدل ووزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد. وهذا الخطاب جاء بعد يومين من تفكك بنية حكومة طالبان وبدء الترتيبات لاقامة حكومة جديدة في كابول، وانتصار الولايات المتحدة وبريطانيا في الحرب ضدها، وكان من المؤكد أن هذا الانتصار سيبقي باب النقد مفتوحاً على السعودية التي باتت تشعر بأنها الهدف التالي للتحالف الدولي، حيث صنّفت الوهابية بأنها مصدر للعنف والارهاب للقاعدة ولطالبان. في رد فعل على هذه الاتهامات، سارعت القيادة السعودية لمواجهة التطورات المتسارعة بابداء التعاون مع قادة التحالف في الحملة على الارهاب واستباق اي تطورات قد تؤثر سلبياً عليها.

مسؤولية الدولة

سؤال يفرض نفسه دائماً: اين دور الحكومة مما جرى؟ وهل ان خطابها الديني يصاغ من خارجها او بالاصح دون علمها؟. كانت حاجة السلطة السياسية للغطاء الديني والمعنى الشرعي شديدة الالحاح منذ تقررت المصاهرة بين الدين والدولة والتي بموجبها تصبح ممارسة السلطة مشروعة ومستكملة للشروط الضرورية الواجب تحققها في الحاكم الشرعي.

وبمقدار ما أفادت المؤسسة الدينية من دعم الدولة اللامنقطع في تحقيق ما تراه من تطلعات، وفي رأسها نشر الدعوة وبالتالي اتساع رقعة سلطانها الروحي والرمزي، فإن الدولة هي الاخرى وظفت المؤسسة الدينية بكافة فروعها ورموزها الكبار في دعم سياساتها وتحقيق اهداف سياسية لم يكن بالامكان انجازها بدون الرموز الدينيين. فمنذ نشاة الدولة كانت المؤسسة الدينية العاضدة الاساسية لمشاريعها والخصم اللدود لمنافسيها المفترضين والمحارب العنيد لاعدائها في الداخل والخارج. فبيانات وزارة الداخلية المشفوعة بحكم هيئة كبار العلماء القاضي بتهمة "الافساد في الارض" والتي تشمل طيفاً واسعاً يبدأ بمهربي المخدرات ويمر بمروجي عقائد مخالفة للعقيدة الرسمية للدولة، وانتهاءً بمعارضيها السياسيين، تقدم دليلاً غير قابل للكسر على التنسيق المباشر بين أهل الحكم وأهل الدعوة. كانت الفتاوى تصدر برغبة الدولة، وكان العلماء قادرين على تبرير انتكاستهم واستضعافهم بل وقادرين على تمرير المفاسد الصغيرة بحسب "اجتهادهم الشرعي" لدرء مفاسد كبيرة، ولهذا السبب سقط بعض الابرياء بسلاح الدولة وبفتوى رموز الشرع، وكان هناك ما يكفي لتبرير أخطاء المجتهد فكيف اذا كانت في مسائل مرتبطة بمن تصفنهم المؤسسة الدينية الرسمية ضمن قائمة "فاسد المعتقد" وهو وصف مفتوح لغير المنتمين للمعتقد الديني الرسمي.

ضرب آل سعود صفحاً عن تجاوزات دعاتهم في الخارج طالما لم تنعكس عليهم سلباً في الداخل، وطالما كان المؤشر العام في صالحهم

على أنه لا يجب تحميل المؤسسة الدينية المسئولية كاملة في التداعيات السلبية للحركة السلفية او سياسة تصدير الدعوة. فقد يرى بعض المتضررين من غلواء المؤسسة الدينية في نصائح الامير عبد الله في نوفمبر ٢٠٠١ لرموز المؤسسة بالتأني والتحري وتحمل أمانة الكلمة واللجوء الى "الكلمة الطيبة".. محاولة لتسوية ازمة سياسية عاجلة بين الحكومة السعودية والولايات المتحدة، ولعل ذلك واضح من تعقيبه "اننا نحن الان في موقف يتطلب منا الحكمة ويتطلب منا الوعي"، او قوله "آمل منكم أن تقدروا هذه المسؤولية أمام الله جل جلاله وأمام شعبكم والمسؤولين لكي لا نكون في موقف حرج"، فيما قد يرى البعض الآخر بأن ثمة ارادة عليا لتخفيض دور المؤسسة الدينية ونفوذها في الحقلين الاجتماعي والسياسي من خلال ترديده "فلا غلو في الدين، لا غلو في الدين، لا غلو في الدين".

في حقيقة الامر، أن المؤسسة الدينية وان بدت لاعباً ثانوياً في العملية السياسية، الا أن اضبارة الفتاوى الداعمة للسياسة وللمواقف الرسمية السعودية تعكس الاهمية المركزية للمؤسسة الدينية، اذ بدون تلك الفتاوى ستكون تلك المواقف والسياسات عارية عن الشرعية.

المضمون الاحترابي في العقيدة السلفية

ثمة مواجهة حتمية بين اهل الخير واهل الشر، والتاريخ يسير بالبشرية الى حتفها حيث المنازلة الكبرى بين معسكرين، معسكر الايمان ومعسكر الكفر أو معسكر اهل التوحيد ومعسكر أهل الشرك، وعند آخرين معسكر اهل الحق ومعسكر أهل الباطل. هذا البعد الاسكاتولوجي شديد الحضور في الادبيات السلفية ينبىء عن التعبئة النفسية المتصلة لمرحلة يلتحم فيها المعسكران، ليسفر عن انتصار حتمي لأهل الحق ممثلاً في الغرباء المتحدرين من مدرسة السلف.

هكذا يبدأ التأسيس الايديولوجي للمواجهة التاريخية المرتقبة، فالاسلام، كما في الاثر النبوي قد بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبي للغرباء، حيث ينزع التفسير السلفي الى تشريع العزلة الاجتماعية والنفسية ابتداء عن المحيط التي علقت بهم الغرباء، ليدخلوا في دورة تطهيرية من

أدران الماضي والحاضر الذي نشأوا فيها استعداداً ليوم موعود. فالغربة الايمانية تمثل بالنسبة لأولئك انذاراً بقرب المواجهة، فبحسب التصوير السلفي فإن الإسلام يكون في ادبار والكفر في إقبال، وهذا في ذاته مؤشر على اقتراب الساعة ووقوعها. بطبيعة الحال فإن عقيدة كهذه تفترض انزواء تام للغرباء، اذ لا مجال لتغيير القدر وتغيير مسار التاريخ، ولا فائدة ترجى من الاصلاح. فقد جاء في صحيح البخاري ان أنس بن مالك روى عن رسول الله (ص) قوله: "لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه"، وهو يلخص الانحطاط البشري منذ عهد الرسالة الاول وحتى اللحظة التي ينتهي عندها التاريخ. على أن هذه العقيدة السلبية جرى تطويرها لاحقاً بالاستناد على أحاديث أخرى وزخمها بمعاني تليق بالدور التاريخي للغرباء الذين سيصحلون ما فسد من سنة رسول الله، كما نقل في حديث نبوي عن وصف الغرباء.

فالديناميات السلفية تكتسب طاقتها من سلسلة الاحاديث الواردة في المصادر الدينية مثل حديث أحمد والترمذي: "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أو آخره". وحديث أحمد وابن حبان والحاكم: "بشر هذه الأمة بالسناء والدين، والرفعة والنصر، والتمكين في الأرض..". وحديث أحمد وابن حبان: "ليبلغن هذا الأمر – أي الدين– ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر". فهذه الاحاديث الخاضعة لتفسيرات منزوعة السياق ومسقطة على واقع حقيقي او متوهم، يرسم للغرباء خطين: واحد في الاصلاح وآخر في المواجهة، وفي كل الاحوال تشحن نزعة الفداء لدى الغرباء كونهم ينتظرون مكافأة الانتصار المضمون سلفاً.

فالغرباء الناصبون أنفسهم أوصياء شرعيين على اصلاح ما فسد في الارض، يمثلون الوراث الشرعي والتاريخي للمجددين الذين يبزغون تباعاً على رأس كل قرن يبعثون ما اندثر من سنن الاولين ويجددون سنة رسول رب العالمين.

من يكتب لوزارة الشؤون الاسلامية؟!

صنّفت وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد في موقعها الاكتروني www.isalmicdawah.org خمس عشرة فرقة من فرق المسلمين في قائمة الفرق الضالة، وفي قراءة مضامين الموضوعات العقدية والفقهية، ثمة حكم نهائي يطال كافة الفرق والطوائف بل والمسلمين عامة باستثناء "أهل السنة والجماعة" وهو المعادل الديني لأتباع مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يرمي كل من سواهم خارج اسوار الدين الحنيف.

وفي كتاب صادر عن الوزارة بعنوان "الولاء والبراء في الإسلام" يثير دهشة القارىء واستغرابة وخاصة حين يكون ضمن اصدارات وزارة تابعة لدولة تواجه حملة اتهامات واسعة، وها هي تقدّم دليلاً اضافياً على تبنيها لفكر راديكالي يشجّع اتباعه على ممارسة العنف ضد الآخر المختلف معه عقدياً. كتاب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في "الولاء والبراء في الاسلام" يأتي ضمن سلسلة كتابات تحريضية أعدها المؤلف، فكتابه "التوحيد" قدّم مثالاً شديد الاضرار بسمعة الحكومة السعودية ان لم يكن بالاسلام كدين التسامح والاعتقاد الحر. ففي "التوحيد" يؤسس الشيخ الفوزان للرؤية العقدية التي تصنّف كل سكان المعمورة في قائمة الكفار وتستبقي بعضاً منهم (وهم أهل السنة والجماعة = أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الفرقة الناجية التي ستضطلع بمهمة اصلاح الكون واعادة أهل المعمورة الى الصراط المستقيم. اما في "الولاء والبراء في الاسلام" فإن الشيخ الفوزان يصيغ الموقف العملي من الكفار وأهل الضلال. وللتذكير فحسب فإن الكتابين تم طباعتهما في مطابع الحكومة، وادخلا ضمن منهج التعليم الديني. على أن كتاب "التوحيد" تم الغاؤه من منهج التعليم الديني ولكن لم ينتقص ذلك من حظه الوافر في التداول الشعبي بل وضمن حركة المنشورات التبشيرية الداخلية والخارجية.

استفادت الوهابية من عربة الدولة ودعمها في توسيع سلطانها الروحي والرمزي، مثلما استفادت العائلة المالكة منها في توظيفها لصالح سياساتها الداخلية والخارجية

نحن اذن امام نص مثير للجدل، لا تحتمل عباراته معانٍ اضافية بل هو معنى واحد ورسالة واحدة تحمل بداخلها مجموعة املاءات يراد من المسلم الامتثال لها وتنفيذها بحذافيرها. بمعنى آخر ان الكتاب ذو سطوة جبّارة فهو لا يترك لقارئه فسحة التفكير في الاساس الاستدلالي لقائمة الاحكام الصادرة عن مؤلفه.

فالموالاة كما تنبىء عبارات الفوزان لا تقف عند حدود المعنى الديني الحصري للكلمة بل تنضاف اليها ابعاد اخرى منزوعة من الواقع اكثر منها من النص الديني، ويزداد الامر بلاء حين لا يكف المؤلف عن التفتيش في خبايا الاشياء ليصيغ حكماً محكماً ينزله منزلة الوحي، سيما حين تذّيل الاحكام بالذكر الحكيم. وتنفث فكرة الموالاة لدى الفوزان كراهية بين الاقارب قبل الاباعد، فإن الايمان لدى الفوزان يعني كره الآخر المخالف كرهاً نفسياً لا عقدياً. فهو يقبل من هذا المصنّف كافراً كل منتجه التكنولوجي ولكنه يصرّ بالحاح على نبذ ما اعتبره هذا الكافر شأناً خاصاً كالأكل واللباس. والمثير للسخرية أن الفوزان يحرّم ما يصفه بـ "الرطانة بلغتهم إلا عند الحاجة"، ويعدّ ذلك من باب التمثل أو التشبّه بالكافر.

وفي حين تجد كثيراً من الجاليات المسلمة المهاجرة في الغرب فرّت بدينها بل ومصيرها الى بلاد "الكفار"، فإن الشيخ الفوزان يقلب المعادلة رأساً على عقب ويلزم هذه الجاليات بعدم الاقامة في بلاد الكفّار والانتقال الى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين. ونسي ان الحريات الدينية وضمانها في بلاد "الكفار" صارت مكفولة اكثر منها بمرات ومرات في بلاد المسلمين. ولأن الشيخ الفوزان كما يوحي فحوى كتابه لم يخطو خارج حدود "دياره الاسلامية" فإنه بلا شك يجهل ما يقوم به أهل دعوته في "ديار الكفر" حيث عمارة المساجد وانتشار الدعاة بما يفوق قدرة تحمل دولته. فقد جاء أهل دعوته الى الغرب الكافر في عقيدته ونشروا رسالتهم وسط الجاليات المهاجرة وغيرها، بل وخرجوا على قوانين الدول التي نشطوا فيها، فهل الاقامة في بلاد الكفر كانت

"تدل على موالاة الكافرين" حتى يصدر الفوزان حكمه بحرمة "إقامة المسلم بين الكفار إذا كان يقدر على الهجرة"، أو لم يعلم بأن هجرة أولئك الملايين من المسلمين الى ديار الغرب كانت بسبب استضعافهم في أوطانهم من قبل حكامهم والماسكين ـ زعماً ـ بمفاتيح الجنة والنار.

فالهجرة، أي الانتقال من بلاد الكفار الى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين لم تعد متحققة في الواقع، بل ما يجري في زماننا هو عكس ذلك تماماً، فالهجرة الى بلاد الكافرين كما يصفهم الفوزان هو واجب للفرار بالدين، ولكن ليس الدين الطقسي بل الدين النضالي التغييري. ما يزيد الامر غرابة، أن السعي في مناكب الارض والأكل من رزق الله بات خاضعاً لمنطق الولاء والبراء، وشمل ذلك حتى السفر "لغرض النزهة ومتعة النفس". فالسفر الى "بلاد الكفار مُحرَّم" الا عند الضرورة، فاذا ارتفعت لزم المباشرة بالرجوع الى بلاد المسلمين. ولا ندري في أي زمان تصدر هذه الاحكام؟. ولكن الشيخ الفوزان المستحضر لتجربة الرسالة الاولى يصر على انتاج احكام لتجربة مضت من اجل تكرار ماضي تليد لن يقع ولذلك فهو يستثني الراحلين الى نشر الدعوة في بلاد الكفر من قائمة المحظور سفرهم اليها.

ونقطة الفصل في الموالاة تكون حين تصطدم الرؤية العقدية مع الموقف الايديولوجي، فمن تمظهرات الموالاة الاستعانة بالكفار "والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين" وكنا نأمل أن واضع هذا النص قد تريث قليلاً قبل نشره او أن رقيباً مقرّباً من الاسرة المالكة قد اطّلع عليه وأدرك معناه، فهو بلا شك نص صادم لكل المنضوين داخل الفلك الرسمي ديناً ودولة. ولا نحتاج للتذكير بموقف الدولة السعودية خلال أزمة الخليج الثانية منذ قدوم القوات الاميركية والغربية الكافرة من كل اصقاع الارض، الى اتخاذ مقر وزارة الدفاع السعودية مقراً للقيادة العسكرية الاميركية الى القرارات العسكرية والسياسية والامنية اللاحقة.

فالاطلاع على احوال المسلمين (في السعودية) واسرارهم لم يكن بحاجة لكل هذه الفذلكات والتأسيسات الفقهية الاجترارية والمتهالكة، فالكافر في عقيدة الشيخ الفوزان يطلع منذ نشأة الدولة السعودية على اسرارها وخباياها وهذا ما فرضه منطق اتفاقيات الحماية، أي حماية العرش السعودي التي وقعت مع الادارة الاميركية وقبلها البريطانية منذ عقود.

ومن بين ما أثاره الشيخ الفوزان في كتابه عن الولاء والبراء في الاسلام هو تعريضه بما وصفه بـ "العمالة الكافرة" وهي العمالة التي ساهمت بصورة فاعلة في تشييد البنية التحتية لدولته من بناء المطارات والشوارع والمجاري والمدارس والمستشفيات ومراكز التسوق والتسلية، وكان حرياً به ان يسجّل هذا المعروف لمن وصفها بالعمالة الكافرة، وهو وصف كفيل بالغاء كل حق انساني وديني لأفراد هذه الفئة. سأترك النص كيما يتحدث عن نفسه: "ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين – بلاد الحرمين الشريفين – وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين، ومربين في البيوت وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم". فالى من يشير ومن يحمّل الذنب؟ هل هو ذنب العمالة الكافرة التي جاءت لخدمة مواطنيه ام ذنب مواطنيه الذين لجأوا لهذه العمالة، ام ذنب الحكومة التي فتحت باب السفر للعمالة الاجنبية الكافرة بطبيعة الحال في عقيدة الفوزان الى ديار المسلمين.

يلفت استنكار الفوزان مشاركة المسلمين اعياد أهل الكتاب او حتى مساعدتهم في اقامتها او تهنئتهم بمناسبتها أو حضور اقامتها.. الى حقيقة العزلة الحضارية والجغرافية التي شهدتها نجد والتي ترفض التفاعل مع حضارات مجاورة لها، ولذلك جاء المذهب نتاج جغرافية محددة، فقد ولد مطابقاً للبيئة الثقافية المعزولة، ولذلك يرفض الاعتراف للآخر بحقه في الاعتقاد والعيش، بل ويحظر على من يجاوروه التفاعل معه وان بالايجاب.

يسلب الفوزان من قارئه مشاعره وانسانيته، فهو يحظر عليه ألمه وسروره لنظرائه في الخلق، ويمنعهم من اسداء النصح لهم بل ومحبة الخير لهم.. لماذا كل ذلك؟ وهل الدين الا الحب كما في حديث شريف. ثم الا يجوز لي كمسلم ان احترم شركائي في الانسانية بتوقير كبيرهم والعطف على صغيرهم، كل ذلك لأنهم اعتنقوا ديناً غير ديني، فهل اختلاف الاديان مبرر العدوان والكراهية، وهل كونهم من أتباع دين آخر يحرم اعانتهم حال العسر والشدة.. فهل ذلك من قيم الاسلام واخلاقه ورسول الله (ص) يقول: "انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق". وهل من اخلاق الاسلام الغلظة والنفور والنبذ والعداء لبني آدم، وانتقاص حقوقهم.

وزارة الشؤون الإسلامية ومؤسسات الدولة الأخرى تصنّف أكثرية السعوديين والمسلمين ضمن الفرق الضالّة وتتبنّى نشر الآراء المتطرّفة والتحريضية علناً

ولكن بالنسبة للفوزان هكذا يجب ان يكون الموقف الايديولوجي، فحتى الاعجاب بحضارتهم بات محظوراً وان اضطر المسلمون للأخذ عنهم من الابرة الى الدبابة، على أن ينشغل المسلمون بتهديم "عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد" وهي عقائد قد نبذوا أكثرها وهو دين لم يعد يعتنقوه.

وحتى يبدي الفوزان مرونة مصطنعة يترك للمسلمين فرصة الأخذ بـ "أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية بل ذلك مطلوب"، فهذه "المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين"، يستدل بذلك على آيات مباركات مقطوعة من سياقها التاريخي. ولكن لم يجب الفوزان عن السؤال الافتراضي: كيف سيتعلم المسلمون الصناعات وهي كلها في ديار الكفار، وهل التعلم كالبيع والشراء ينتهي العقد حال انتقال البضاعة الى المشتري والثمن الى البائع، ام أن التعلم أشد تعقيداً منه ويمس بصورة مباشرة المنظومة الفكرية والقيمية للمجتمعات. فليست العملية كما يصوّرها الفوزان مجرد استيراد بضائع واستفادة من خبرات ومخترعات، ولو كان الامر كذلك لتحولت السعودية بأموالها الى دولة صناعية من الطراز الأول، ولما كانت نمور آسيا نموراً.

خلاصة قراءة الكتاب تقدّم وثيقة ادانة ضد حكومة المملكة ممثلة في إحدى وزاراتها الهامة حيث تعبىء مشاعر الكراهية ضد قطاع واسع من المسلمين وأتباع الديانات السماوية الاخرى، وهو أمر يجب الفات نظر المسؤولين اليه من اجل ايقاف تدفق تلك الثقافة التي ترجمت نفسها في الحادي عشر من سبتمبر.

الاجندة الاميركية: فرض الاصلاحات السياسية

اعلنت الادارة الاميركية في الثاني عشر من ديسمبر الماضي برنامجاً شاملاً لتطوير الديمقراطية والتنمية الاقتصادية في الشرق الاوسط. هذا البرنامج الذي اطلق عليه "مبادرة الشراكة الشرق أوسطية" سيلتزم ابتداءً بتقديم ٢٩ مليون دولار لتمويل عدة مشاريع اصلاحية، وستقدم الادارة الاميركية تمويلاً اضافياً للمباردة من الكونغرس في السنة اللاحقة.

الوزير باول علّق قائلاً بأنه "حان الوقت لوضع أساس قوي للأمل"، خلال اعلانه عن الخطة في لجنة التفكير التابعة لمؤسسة التراث بواشنطن في الثاني عشر من ديسمبر. وأضاف بأن المبادرة "ستضع الولايات المتحدة وبقوة الى جانب التغيير، والاصلاح والمستقبل الحديث للشرق الاوسط".

في القسم الاول من خطابه، قدم باول توصيفاً للأوضاع السياسية والاقتصادية الحالية في الشرق الاوسط، والمشاكل الراهنة التي تعيق دول المنطقة من تحقيق تطلعاتها، كما قدم إحالات عدة في هذا الصدد الى تقرير التنمية البشرية في العالم العربي لعام ٢٠٠٢ الصادر عن هيئة الامم المتحدة والذي أعده علماء عرب بارزون.

نتائج التقرير، حسب قول باول، قادت الخبراء العرب الذين أعدّوا التقرير الى طرح خيار رئيسي بالنسبة لشعوب وقادة المنطقة، بأنهم إما أن يقبلوا الجمود والعطالة وإما أن يعتنقوا مبدأ "الانبعاث العربي الذي سيبني مستقبلاً مزهراً لكل العرب" حسب قوله.

عدد من المستمعين لخطاب باول كانوا سفراء كل من مصر ولبنان وتونس والجزائر والممثل الرسمي الفلسطيني في واشنطن، ينضاف اليهم عدد من المسئولين في الكونغرس الاميركي، وقد أصغى الجميع بانتباه فيما كان باول يقدّم ما وصفها بـ "إحدى التعهدات الهامة التي نقوم نحن واصدقاؤنا باتخاذها".

إذن فالاصلاحات السياسية من وجهة النظر الاميركية جاءت في صيغة خطة شاملة اقتصادية واجتماعية وثقافية. إذ تعهد باول خلال مقابلة مع جريدة القدس العربي في الثاني عشر من ديسمبر بأن مساعدة أكبر ستكون متوفرة لدول عربية معينة في مجالات المجتمع المدني، التعليم والتنمية الاقتصادية.

وقال كولن باول عقب اعلان ما عرف بمبادرة الشراكة الشرق أوسطية في الثاني عشر من ديسمبر الماضي أنه سيقوم باجراء اتصلات مكثفة مع المسئولين في الحكومات العربية من اجل التعرف على وجهات نظر حيال المبادرات الجارية والمستقبلية. وفي تأكيده على الحاجة لاصلاحات ديمقراطية في المنطقة، وصف مبادرته بأنها "لمساعدة الشعوب والحكومات التي تميل نحو التغيير". وأضاف "بالنسبة لأصدقائنا في المنطقة، فلكل منهم نظامه الخاص به، وهو المسئول عن تقييم وضعه فيما اذا كان يود التغيير ومدى السرعة التي سيتغيّر خلالها، ونتمنى بأن نكون قادرين على التأثير فيهم بخصوص توقيت وطريقة التغيير واشكاله".

وحين سئل باول عن ماهية الاصلاحات السياسية في السعودية التي يتوقع لها ان تتم حيث لا برلمان منتخب يمكن الانطلاق منه، كما لا توجد أحزاب سياسية، وان النساء لا يسمح لهن بقيادة السيارة.. دع عنك ممارسة أي دور في الحياة السياسية.. رد قائلاً: "إنني أدرك ذلك، وقد كنت في نقاشات صريحة مع القادة السعوديين في الماضي. إنني أحترم ثقافتهم وتراثهم وتقاليدهم، ولكنني اعتقد بأن عليهم الآن حيث يسيرون للامام البدء باعادة النظر في تلك التقاليد والممارسات لمعرفة امكانية التغيير". واستدرك قائلاً: "ليس من مهمات الولايات المتحدة املاء التغيير، وانما الدخول في نقاشات مع اصدقائنا". ولكن بخصوص مبادرة الشراكة سابقة الذكر، وفي بعدي التعليم والتنمية الاقتصادية تحديداً، قال بأن السعودية معنية بها، ولكنه علّق قائلاً: "ان ذلك راجع للسعودية في أن تقرر كيف ستسير في عملية تحويل مجتمعها من اجل الاستعداد لتحديات القرن الحادي والعشرين".

وعاد باول وأكد مجدداً بان الادارة الاميركية لم تقصّر في الحديث مع السعوديين او أي طرف آخر في المنطقة، ولكن لكل دولة أن تقرر بطريقتها الخاصة كيف ستتصرف وعلى أية قاعدة. فهناك دول اخرى في المنطقة لديها سياسات مماثلة (كالتي لدى السعودية) ولكن بُدء في تغييرها، كما في البحرين والكويت وقطر والمغرب. وحتى وان تطلب التغيير بعض الوقت، ولكن متى شعرت بالحاجة للتغييرات فلا بد من اتباع خطوات في الاتجاه نفسه، أي اتجاه التغيير.

عاد مراسل القدس العربي خالد الشامي بالسؤال عن الاصلاحات السياسية في السعودية، وهل ان السيد باول يتطلع لأن تتبع السعودية نفس المنهج الذي اتبعته البحرين وقطر من خلال برلمانات منتخبة وحرية التعبير على سبيل المثال؟ رد باول قائلاً: "ذلك راجع لقرار القيادة السعودية. فكما تعلم فإن نموذجنا في السياسة هو استيعاب كل افراد المجتمع، فالجميع يجب أن يمثّلوا. هذه هي طبيعة الديمقراطية. بالنسبة للسعودية فإن عليها ان تحسم خيارها ونهجها، ولا أعلم ما اذا كانت ستقتفي طريقاً كالذي اتبعته دول المنطقة او ما اذا كانت ستصمم طريقاً فريداً بها".

ما أراد باول تلخيصه في الحديث عن الاصلاحات السياسية في السعودية: "نحن لا نملي على أحد، نحن لا نخبرهم كيف يجب ان يتصرفوا، وما هو النموذج الذي يجب أن يتبعوا، فنحن أصدقاؤهم، ولدينا مصالح مشتركة، وسنساعدهم بأية طريقة ممكنة، ونعتقد أن بإمكاننا المساهمة في التفكير بصورة جماعية حين يقررون كيف يجب التعامل مع التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي يواجهونها".

وفي السؤال حول ردود الفعل المتوقعة من جانب الانظمة المعنية بمبادرة الشراكة الشرق أوسطية، وما اذا اعتبرت المبادرة كتدخل في شؤونها الداخلية فهل سيكون تغيير الانظمة خياراً مطروحاً كما الحال في العراق؟ اجاب باول بأن العراق حالة منفصلة، أما "أصدقاؤنا في المنطقة، فليس هناك اقتراح محدد لتغيير النظام، على النقيض من ذلك فإن هذه المبادرة لمساعدة الشعوب والحكومات التي تميل الى التغيير. واذا استطعنا مساعدتهم في التفكير في هذه المشكلة وتقديم المساعدة لهم كيما يقوموا هم بمساعدة شعوبهم، فهذا أمر حسن، فالبحرين تتجه الآن بوتيرة ما، والمغرب بوتيرة اخرى، وقطر بوتيرة ثالثة وهكذا الكويت، ونحن بدورنا هناك لتقديم المساعدة لأصدقائنا"

مسألة الثقافة السياسية

يحاول القادة السعوديون دائماً أن يزرعوا فكرة لدى المسئولين في الدوائر الاميركية بأن الديمقراطية ستفضي الى زعزعة الاستقرار الداخلي واثارة عاصفة من الاضطرابات التي بدورها ستضر كثيراً بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة. فالضغط المتزايد من اجل حركات ديمقراطية في الشرق الاوسط بعد أزمة الخليج الثانية أثارت سؤالاً غير محايد حول علاقة الاسلام بالديمقراطية، ومدى قدرتهما على التعايش في مكان وبيئة واحدة.

في زاوية واحدة على الاقل من الاصلاحات السياسية المنشودة في السعودية يمكن القول بأن هذه الاصلاحات خارج الجدول، وانها ستمهّد الطريق من اجل اصلاحات اخرى وحريات أكبر. ومن جهة ثانية، فإن الاصلاحات الدستورية في السعودية يراد منها ان تكون متوافقة زعماً مع التقاليد السعودية وهكذا مع الشريعة. فالنظام السياسي في السعودية يواجه مأزق الاستجابة الى المطالب المتزايدة من اجل الديمقراطية بدون اضعاف سلطة التقاليد.

يضعف كثير من الباحثين الاسس النظرية التي يستند عليها القادة السعوديون في نبذ الديمقراطية باعتبارها غير متوافقة مع الاسلام. فالتاريخ حسب جون اسبوسيتو يكشف بأن الشعوب والتقاليد الدينية كانت قادرة على انتاج تفسيرات وتوجيهات ايديولوجية رئيسية متنوعة. وحتى الثقافة في بلد ما وإن كانت في لحظة تاريخية معينة عائقاً امام الديمقراطية، فتاريخياً كانت الثقافات دائماً ديناميكية اكثر من كونها سلبية. فالاعتقادات والمسالك السائدة في المجتمع تخضع للتغيير المتواصل. وفيما تظل هناك حاجة للاحتفاظ على عناصر للاستمرار، فإن الثقافة السائدة في مجتمع ما قد تختلف بصورة ملحوظة عما كانت عليه قبل جيل او جيلين سابقين على حد قول صموئيل هنتنغتون.

ماذا أبقى الوهابيون من تراث المسلمين في الحجاز؟

لا يمكن أن تكون الوهابية ممثلاً ـ فضلاً عن (الممثل) ـ صادقاً للإسلام ولتراث المسلمين في الحجاز.. دعك من حقيقة أن من يكفّر المسلم الآخر لا يمكن أن يكون ممثلاً له، بل هو قاص مجحف بحقّه، فما بالك إذا ما أعلن عليه الحرب قولاً وفعلاً، واستباح دمه وماله وعرضه؟ ما فعله الوهابيون بتراث المسلمين وآثار الإسلام في الديار المقدّسة من تدمير وإزالة يصعب حصره، وكأن هناك مخططاً من أعداء هذه الإمّة لإزالة كل مواقع العزّة والرفعة التي تجعل من تاريخ المسلمين حيّاً في قلوب وعقول الأجيال المعاصرة.

أول ما فعله هؤلاء هو تدمير آلاف من قبور الصحابة من المهاجرين والأنصار (تصل الى عشرة آلاف) وغيرهم من آل البيت والتابعين والشهداء في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، وإزالة القبب، حتى أنه لا يمكن التعرّف اليوم إلا على بضعة قبور منها، وجاء ذلك بناء على فتوى الشيخ عبد الله بن بلهيد وبإدّعاء عبادة المسلمين لهذه القبور من دون الله. وفعلوا نفس الشيء في مقبرة المعلّى بمكة المكرمة، فدمّر قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وقبر أبي طالب، وقبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها.

ترافق مع احتلال المدينة المنورة من قبل آل سعود.. تهجير لسكانها بحيث لم يبق من بين ٧٠-٨٠ ألفاً سوى ستة آلاف، بعد خمسة عشر شهراً من الحصار السعودي لها، وقد وصفت المدينة فور سقوطها بأن "الشوارع والأزقّة فارغة والبيوت مهدّمة، وملامح الإعياء بادية ظاهرة وكأن الزلزال أصابها". ووصف أحدهم البقيع فور تدميره أواخر ١٩٢٥، وبداية ١٩٢٦م: "حين دخلتُ إليه وجدتُ منظره منظر بلدة قد خربت عن آخرها. لم يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يشاهد سوى أحجار مبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، وقطع من الخشب.. كان ذلك أشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها.. كان كل شيء عبارة عن طرق وعرة تتخللها مواد الأبنية المهدمة وشواهد القبور المبعثرة. لم يحدث هذا بفعل الزمن وعوارض الطبيعة، بل صنعته يد الإنسان عن عمد وتقصد".

وفي المدينة المنورة أيضاً، تم تدمير قبر الحمزة سيد الشهداء، والمسجد المشاد عليه، كما تمّ تدمير قبور شهداء أحد، كما تعرضت قبة المسجد النبوي الشريف للقصف المدفعي. أما في مكة المكرمة، فكتب وفد جمعية الخلافة الهندي الذي كان حاضراً فيها يقول: "دمرت في مكة مقبرة المعلّى، والبيت الذي ولد فيه الرسول". وفي مايو ١٩٢٦ قابل وفد من مسلمي الهند بمجرد وصوله جدة ممثل مشايخ الوهابية عبد العزيز العتيقي "فأكد الأخبار التي سمعناها وقال بأنهم اعتبروا القبب وغيرها بدعة وكفراً، وأنهم في هذا الأمر لا يهتمون بالرأي العام الإسلامي، أو أن المسلمين يعجبهم ذلك أم لا؟". وأبرق الوفد لممثلي المسلمين في الهند: "إننا نشعر بالحزن لإبلاغكم بأن مثل مكة المعظمة ومساجد المدينة المنورة لم تحفظ حرمتها، وأن مثل قبب المساجد قد أزيلت نهائياً: مثل مسجد فاطمة، ومسجد الثنايا، ومسجد المنارتين، ومسجد المائدة ومسجد الإجابة". وأزال الوهابيون بجهلهم موضع ولادة الرسول، وهدموا منزل السيدة خديجة ومنزل أبي بكر رضي الله عنهما.

إن مصيبة المسلمين لم تكن فقط بهدم القباب والقبور، بل كل الآثار الإسلامية الأخرى، كمنازل الصحابة وبني هاشم، فإذا كان عذر الوهابيين أن القبور تعبد من دون الله، فهل هدم بيت رسول الله في المدينة ومنزل الزهراء، وخديجة، ومنزل الحمزة، وسقيفة بني ساعدة، ودار الأرقم بن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي في بدر.. هل هدم مثل هذه الأماكن يمكن تبريرها بمثل ما برر الوهابيون؟ قال فيلبي مستشار إبن سعود وصديقه والذي ادّعى الإسلام وحجّ سنة ١٩٣١ بأن ما قام به الوهابيون من تدمير للأماكن الأثرية "سيجعل الأجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بها".

إن ممارسات الوهابيين بدعم من آل سعود بالغة الإيذاء وشملت كل شيء تقريباً. فإضافة الى فرض تدريس مذهبهم في الحرمين الشريفين، ومن ثمّ منع الآخرين من أتباع المذاهب الإسلامية من إلغاء حلقات دروسهم.. استمرت الضغوط على الحجاج وسكان الحرم لترويضهم ولقبول المذهب الرسمي، عبر الإيذاء والتحرّش والإستخفاف بالمشاعر والمعتقدات والإعتداء بالجلد والضرب والشتم لكل من يخالفهم من رواد الديار المقدسة من داخل البلاد وخارجها، وهو أول ما يلحظه المعتمرون والحجاج حتى اليوم.. الأمر الذي اضطرّ طلبة العلم الشرعي وعلماء الحجاز الى الفرار خارج الحجاز أو الإنزواء في بيوتهم، بعد أن مُنعوا قسراً من التدريس في الحرم، وقليل منهم ـ وعلى وجل ـ فتح باب منزله لإلقاء دروسه فيه.

وكان الوهابيون قد صادروا المدارس المالكية والشافعية والحنفية وغيروا مناهجها، واستولوا على أموال الأوقاف المخصصة لها، بأوامر الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، الذي ضيّق بوجه خاص على المدارس الحنفية في المدينة المنورة (المدرسة النظامية) التي رفضت تدريس كتاب التوحيد المعتمد الأصل للفكر الوهابي فكان سبباً في إغلاقها في أغسطس ١٩٣١.

زد على ذلك، الحقد الغريب على كل ما يمتّ للتراث الإسلامي حتى شمل الشجر وآبار المياه. فقد قطعوا جميع الأشجار التي في المسجد النبوي، وطمروا بئر الماء الموجودة فيه عام ١٩٢٧م.. والأكثر فظاعة ما جرى للمكتبات الإسلامية العامة في الحجاز خاصة في مكة المكرمة، إذ بمجرد أن احتلّ السعوديون المدينتين المقدستين اختفت مجموعات ثمينة من الكتب والمخطوطات ولم يعرف لها أثر. قيل ان المكتبة الوحيدة التي سلمت هي مكتبة السلطان محمود الكائنة بجوار باب السلام، ولكن تبين فيما بعد أن الوهابيين أغلقوها، أما مكتبة بشير آغا الشهيرة، ومكتبات الشفاء والسلطان عبد الحميد وعمر أفندي فلم يعد لها وجود في المدينة المنورة، وقد نُهبت معظم كتبها، وأحرق الوهابيون الكتب والمخطوطات التي لم تعجبهم منها، وباعوا قسماً آخر نظير المال. أما مكتبة عارف حكمت، فكانت آخر المكتبات العامة التي أغلقت وصودرت كتبها، وهناك من يقول بأنها خسرت هي الأخرى نحو عشرين ألف مخطوطة صادرها المشايخ الوهابيون وأتلفوها حرقاً!

كل هذا كان يجري والعالم الإسلامي لم يكن صامتاً، ولكن الوهابيين وآل سعود المدعومين من الإنجليز أولاً ومن الأميركيين تالياً، لا يعيرون بالاً فيما يعتقدونه واجبٌ ديني. الغريب أن آثار خيبر (اليهودية في جملتها) هي التي تقف اليوم شاهدة على تسامح الوهابيين! فلماذا؟ في حين أنهم يريدون تدمير القبة التي على قبر النبي، وإخراج قبره عليه الصلاة والسلام من مسجده، وهو ما يعتزم الوهابيون فعله في اللحظة التي تتيحها الظروف لهم بحيث لا تكون هناك ردّة فعل غير متوقّعة يكون ضررها على الوهابية وآل سعود أكبر من المنافع المذهبية الضيّقة التي يرونها.

اليماني يندد بتدمير الآثار الإسلامية في الحجاز ويدعو لحماية ما تبقى منها

نبش قبور آل البيت فظاعة، ومخطط التدمير لم ينته

اعتاد الشيخ أحمد زكي يماني وزير النفط السابق، ومنذ سنوات طويلة، أن يرسل التهاني بقدوم شهر رمضان المبارك، بحيث تشمل التهنئة فكرة ترتبط بالشهر الكريم. وقد حصلت (الحجاز) على نسخة من رسالة التهنئة برمضان الماضي كانت قد بعثت الى إحدى الشخصيات الحجازية، والتي تضمنت مواقف جريئة وتنديداً بالتطرف الوهابي الذي يريد أن يأتي على البقية القليلة الباقية من آثار المسلمين في الأماكن المقدسة.


الوهابية: عداء وتدمير للآثار الاسلامية

كتب وزير النفط السابق أنه كان ينوي في رمضان ما قبل الماضي الحديث حول الآثار الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وارتباط المدينتين المقدستين بالشهر الكريم "ولكني عدلت آنذاك عن موضوع الآثار لأكتب عن حوادث الحادي عشر من سبتمبر" كما قال. وأضاف: "لا أدعي أن نتائج تلك الأحداث قد زالت وأن المخاطر قد انزاحت، فنحن في بداية الأهوال نجابه مخططات الأعداء في ذل مهين وشلل مستديم". وتابع: "ظننتُ أني سوف أرجيء كتابتي عن الآثار الإسلامية لسنة قادمة لأن ما أعرفه من مخططات أعلن عن بعضها وأخفي غيرها، أصابني بالذعر.. إلاّ أن الإقدام على نبش قبور آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة، وهدم مسجد ومدرسة ومكتبة الإمام علي العريضي ابن الإمام جعفر الصادق وحفيد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.. قد أنساني لهوله وشناعة فعله المخاطر الخارجية التي ستزول يوماً من الأيام. فقد هزتني المخاطر التي تهدد آثار الإسلام وهي إن زالت فسوف تزول الى دوام. وكأني أشعر بوجود مخطط مدروس لإزالتها من الوجود".


محراب مصلى الرسول صلى الله عليه وسلم

وبعد الإشارة الى المخططات السعودية ـ الوهابية لإزالة البقية الباقية من آثار الإسلام، يقول اليماني: "لو أردت أن أسرد الآثار الإسلامية الهامة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة والتي تم حتى الآن هدمها وإزالتها بحجّة سدّ الذرائع أمام البدع ومهالك الشرك لأطلت واستفضت، وما ذلك هدفي من رسالتي.. ولكنها زفرة مكلوم، فقد فاض الكيل وتعذّر السكوت، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي تقرأ تاريخه ثم تراه على الطبيعة، يُوثّقُ ذلك التاريخ فيزداد بذلك إيماننا بعقيدتنا وإسلامنا.. ولئن انحرف بعض العامة لجهلهم بعقيدتهم، فإن التصدّي لذلك الإنحراف لا يتمّ بهدم ثروة تركها أجدادنا لنا عبر القرون، ولا يجوز

بحال من الأحوال هدم آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار صحابته وآل بيته، فالتاريخ لن يرحمنا إن فرطنا فيما منحه الله لنا وهو أمانة في أيدينا".

وفورة الألم والغضب والخوف على آثار الإسلام لم تنته بعد عن إبن مكة المكرمة، إذ يلقي بإحدى زفراته قائلاً: "ولا تزال الآلام تعصر قلبي والمرارة تملأ نفسي عندما أُزيل بيت السيدة خديجة رضي الله عنها، حيث عاش فيه رسولنا عليه السلام ثمان وعشرين سنة من حياته في مكة المكرمة ثم هاجر منه الى المدينة المنورة، بعد أن ولد له فيه أولاده من بنين وبنات. ولقد نزلتُ في تلك الدار المباركة بنفسي فوجدتها كما وصفتها كتب التاريخ، وتدور الإشاعات الآن حول النيّة لهدم الدار التي ولد فيها عليه السلام، وكلا الدارين قد هدما قبل سبعين عاماً تقريباً، ثم أمر الملك عبد العزيز بإعادة بنائها ليكون مولد الرسول مكتبة، وبيت السيدة خديجة مدرسة لتحفيظ القرآن"!

ومع ان اليماني يحاول أن لا يقترب من العائلة المالكة، إلاّ أن من حق المرء أن يتساءل: كيف يقبل المسلمون أن يتحول منزلا رسول الله وزوجته أم المؤمنين خديجة الى مكتبة ومدرسة؟! وهل كان المتطرفون ليفعلوا ما فعلوه في السابق واللاحق لولا موافقة آل سعود؟ والشيء المثير: لماذا بقي المصمك، وبقيت آثار خيبر، وهدمت آثار الإسلام والمسلمين؟!

لماذا بقيت آثار آل سعود وازيلت آثار الرسول؟

ويتابع الشيخ زكي يماني، وهو المهتم بتراث الحجاز وتاريخه، قائلاً إن الإشاعات تستمر "لتقول أن مسجد البيعة بالقرب من منى سوف يهدم، وهو المكان الذي بايع فيه رسولنا الأوس والخزرج قبل هجرته الى المدينة المنورة، وبُني مكانه مسجد سنة ١٤٤ للهجرة، ثم جدد سنة ٦٢٩ للهجرة، وجدد بعد ذلك، وعُمر البناء الحالي ستمائة سنة تقريباً". ويمضي متألماً: "ولو ذكرت المساجد والآثار التي هدمت في المدينة المنورة لأطلت، فهي كثيرة وهامة، ومسلسل الهدم يتواصل والإشاعات تتكاثر". ثم يأتي على الفظيعة التي اقترفها الوهابيون المتطرفون في مقبرة الإمام العريضي والتي وقعت قبل أشهر فيقول: "ولكن نبش قبور آل البيت عليهم السلام، ومنهم حفيده الإمام علي العريضي المتوفى في بداية المائة الثالثة ابن الإمام جعفر الصادق، أمرٌ مفزعٌ ومقلق، فحرمة الأموات مصونة مهما كانوا، فكيف برفات من أمر الله بمحبتهم وإجلالهم؟".

وفي ختام رسالة تهنئته، يذكّر بأن أرض الحرمين الشريفين مكة والمدينة وما تحويانه من آثار أمانة يفتخر بها وشرف لمن يخدمهما، وطالب بحسن أداء الأمانة وحماية تراث المسلمين من أيدي المعتدين العابثين.

وأخيراً، فإن بطاقة التهنئة التي بعثها الشيخ اليماني حوت بعض الصور للآثار الإسلامية المدمّرة، ومن بينها بيت الرسول الذي عاش فيه ٢٨ عاماً في مكة، ومسجد العريضي في المدينة، ومحراب النبي الذي كان موجوداً بالجدار الجنوبي الغربي بقبة الوحي، ومقبرة آل بيت رسول الله "الذين نبشت عظامهم فيها" والحجرة التي كان يعيش فيها رسول الله مع أم المؤمنين خديجة، وكذلك حوض الوضوء الذي وجد في حجرة تعبده عليه الصلاة والسلام.



غرفة استقبال الوفود في دار خديجة رضي الله عنها

فظائع الوهابية المنكرة في الحجاز

دار ولادة الرسول تتحول الى سوق للبهائم ودار ضيافته الى مراحيض

إستياء المسلمين عامّة من الوهابيين فكراً وممارسة ليس محصوراً في سكان الأراضي المقدسة، ولا في سكان ما يعتبر اليوم المملكة العربية السعودية، بل يشمل الغالبية العظمى من المسلمين، فأينما اتجهت ستجد الوهابية تزرع وتحمي وترعى بذور الشقاق بين المسلمين. وستجد أن الفكر السلفي المتطرف القادم من صحارى نجد لم يتقصد المسلمين في عقائدهم بالتكفير بل شمل حتى الآثار الإسلامية التي عززت على مدى قرون مديدة الإسلام ورسّخته في نفوس أتباعه. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، شأنه شأن الكثير من علماء المسلمين الذين تألموا لما يحدث في الأماكن المقدسة، كتب: "ما أعلم أن العالم الإسلامي أجمع في استيائه من أمرٍ من الأمور في عصر من العصور كاستيائه من هذا الذي يقدم عليه الأخوة مسؤولو المملكة وعلماؤها اليوم من إخلاء مكة والمدينة وما حولهما من سائر الآثار المتصلة بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشخصية والنبوية، وما يتبع ذلك من الإقدام على أمور تناقض الشرع وتناقض المنهج الذي كان عليه السلف الصالح، كمنع المسلمين من زيارة البقيع ومنع الدفن فيه، وتكفير سواد هذه الأمة بحجة كونهم أشاعرة أو ماتريديين!".

وأضاف: "والذي زاد من هذا الإستياء الذي بلغ ذروته، أن هؤلاء الأخوة الذين يقدمون على هذه الفظائع المنكرة، ماضون ومستمرون في ذلك في صمت وقدر كبير من اللامبالاة! وقد كان أدنى ما يقتضيه الإلتزام بأولويات الدين الإسلامي والبديهيات المتفق عليها من أحكامه أن يبدأ هؤلاء الأخوة فينشروا بياناً يأتون به على سمع العالم الإسلامي وبصره، يوضحون فيه الدليل على ما قد تحقق لديهم من وجوب هدم آثار النبوة والقضاء عليها، وملاحقتها بالمحو أياً كانت وأينما وجدت، ومن ثمّ يعلنون عن عزمهم - بناء على ذلك - على تنفيذ ما يقتضيه الحكم الشرعي المقرون بدليله".

"ولقد كنتُ ولا أزال واحداً من ملايين المسلمين الذين تأخذهم الدهشة لهذا الذي يجري في مكة والمدينة تحت أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، مع الإستخفاف بمشاعرهم وعلومهم ومعتقداتهم، ودون تقديم أي معذرة بين يدي مغامراتهم العجيبة هذه من حجة علمية يتمسكون بها، أو اجتهاد ديني حق لهم أن يجنحوا إليه! بل لقد آثرت، تحت تأثير هذه الدهشة، أن أبدأ فأتهم نفسي بالجهل، وأن أفترض في معلوماتي الشرعية خطأ توهمته صواباً، أو حكماً غاب عني علمه، وذلك ابتغاء المحافظة على ما هو واجب من حسن الظن، لا سيما بالعلماء.. فرحت أنبش سيرة السلف الصالح وموقفهم، بدءً من عصر الصحابة فما بعد، وأستجلي - من جديد - موقفهم من آثار النبوة، سواء منها العائدة الى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو ذات الدلالة على رسالته ونبوته، فلم أجد إلاّ الإجماع بدءً من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، على مشروعية التبرك بآثاره، بل رأيت الصحابة كلهم يسعون ويتنافسون على ذلك. ولا ريب أن مشائخ نجد يعلمون ما نعلمه جميعاً من ورود الأحاديث الصحيحة الثابتة في الصحيحين وغيرهما، المتضمنة تبرك الصحابة برسول الله وشعره ووضوئه والقدح الذي كان يشرب فيه، والأماكن التي صلى فيها، وجلس أو قال فيها".

ويمضي الشيخ البوطي متسائلاً حول جنوح الوهابية المتطرفة: "ولا نشك في أنهم يعلمون كما نعلم أن عصور السلف الثلاثة مرت شاهدة بإجماع على تبرك أولئك السلف بالبقايا التي تذكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، من دار ولادته، وبيت خديجة رضي الله عنها، ودار أبي أيوب الأنصاري التي استقبلته فنزل فيها، وغيرها من الآثار كبئر أريس وبئر ذي طوى ودار الأرقم.. ثم إن الأجيال التي جاءت فمرت على أعقاب ذلك كانت خير حارس لها وشاهد أمين على ذلك الإجماع. ثم إن العالم الإسلامي كله يفاجأ اليوم بهذه البدعة التي يمزق بها مشايخ نجد إجماع سلف المسلمين وخلفهم الى يومنا هذا، فدار ولادة رسول الله تهدم وتحول الى سوق للبهائم، ودار ضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول الى مراحيض!. وتمرّ أيدي المحو والتدمير على كل الآثار التي تناوبت أجيال المسلمين كلهم شرف رعايتها والمحافظة عليها"!!

"والأعجب من هذا كله - كما يقول البوطي - أن مشايخ نجد يرون مدى استنكار العالم الإسلامي وغليانه الوجداني، لهذه البدعة التي تزدري إجماع المسلمين من قبل، وتستخف بمشاعرهم الإيمانية، دون أن يتوجّهوا إليه بكلمة يبررون فيها عملهم ويشرحون فيها وجهة نظرهم".

لقد حاول الشيخ البوطي محاورة علماء نجد، واتفق مع وزير الأوقاف السابق ورئيس رابطة العالم الإسلامي حالياً عبد الله التركي.. اتفق معه على أن يأتي كل طرف بعشرة من العلماء لمناقشة ما أسماه "الوضع المؤلم الذي كاد أن يستولد من أرض نجد إسلاماً جديداً لا عهد للسلف الصالح به، ومن ثم أصبح سبباً لأسوأ مظاهر التناحر والشقاق في العالم الإسلامي بل في جل المراكز الإسلامية في أوروبا وأميركا".. ولكن لم يكن ذلك سوى مجرد كلام، إذ رفض مشايخ الوهابية أية نقاش.

ولذا انتقد البوطي تفرد مشايخ نجد بالإقدام على أمور تخصّ كل المسلمين الذين يختلفون مع الوهابية فيما تراه.. ثم يوجه كلامه للمعنيين مباشرة فيقول: "فهلا تلمستم - يا علماء نجد - مكان محبة الله ورسوله من أفئدتكم، وهلاّ استنبتّم هذه المحبّة إن رأيتموها ضامرة.. إذن لدفعكم هذا الحب - والله - الى حراسة آثار النبوة وصاحبها بدلاً من محوها والقضاء عليها، ولسلكتم في ذلك مسلك السلف الصالح رضوان الله عليهم.. وإذن لأقلعتم عن ترديد تلك الكلمة التي تظنونها نصيحة وهي باطل من القول، ألا وهي قولكم للحجيج في كثير من المناسبات: إيّاكم والغلو في محبة رسول الله! ولو قلتم، كما قال رسول الله: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، لكان كلاماً مقبولاً ونصيحة غالية. إذا ازدهرت قلوبكم بهذه المحبّة، فلسوف تكون متقاصرة عن الحدّ الذي يستحقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولسوف تنتعش نفوسكم لمرأى آثار النبوة - إن كان قد بقي منها بقية لديكم اليوم - بدلاً من أن تكرهوها، وتسعوا سعيكم الحثيث للتخلص منها وللقضاء عليها".

لماذا دعم آل سعود الوهابية لتنشر الدمار في الحجاز

تدمير الآثار الإسلامية وحرق الكتب وقمع الحريات

الملاحظات التي لدى عموم المسلمين في داخل المملكة وخارجها حول ما يمكن تسميته بـ (السياسة الدينية) للحكومة السعودية التي تجريها عبر مشائخها (الوهابيين) كثيرة. حتى المتعاطفون (سياسياً) مع النظام السياسي للعائلة المالكة لا يجدون أنفسهم في خندق مع ممارسة رجال دينها، بل لم يمنع ذلك الكثير منهم من إبداء الملاحظات والنصائح لهم ولمؤسستهم الدينية لتكفّ عن أفعالها التي تستثير وجدان كل مسلم.

يقدّم يوسف بن السيد هاشم الرفاعي من الكويت نموذجاً لهؤلاء، فهو ينتمي لعائلة لم تكن في يوم من الأيام إلا الى جانب السعوديين، وخاصة الملك عبد العزيز، الذي أوفد السيد هاشم الرفاعي ليمثله في مفاوضات مع الإنجليز في العشرينيات الميلادية. ومع هذا، فإنه شأن الكثير من المسلمين لا يمكنه أن يتقبّل السلوك غير السويّ لمشايخ السلطة وتعدياتهم لكل الحدود المنطقية والمقبولة في الحوار بين المسلمين، أو في التصرف بتراثهم الجامع بالنيابة عنهم.

الملاحظات التي لدى عموم المسلمين في داخل المملكة وخارجها حول ما يمكن تسميته بـ (السياسة الدينية) للحكومة السعودية التي تجريها عبر مشائخها (الوهابيين) كثيرة. حتى المتعاطفون (سياسياً) مع النظام السياسي للعائلة المالكة لا يجدون أنفسهم في خندق مع ممارسة رجال دينها، بل لم يمنع ذلك الكثير منهم من إبداء الملاحظات والنصائح لهم ولمؤسستهم الدينية لتكفّ عن أفعالها التي تستثير وجدان كل مسلم.

يقدّم يوسف بن السيد هاشم الرفاعي من الكويت نموذجاً لهؤلاء، فهو ينتمي لعائلة لم تكن في يوم من الأيام إلا الى جانب السعوديين، وخاصة الملك عبد العزيز، الذي أوفد السيد هاشم الرفاعي ليمثله في مفاوضات مع الإنجليز في العشرينيات الميلادية. ومع هذا، فإنه شأن الكثير من المسلمين لا يمكنه أن يتقبّل السلوك غير السويّ لمشايخ السلطة وتعدياتهم لكل الحدود المنطقية والمقبولة في الحوار بين المسلمين، أو في التصرف بتراثهم الجامع بالنيابة عنهم.

وقد قدّم السيد يوسف الرفاعي نصيحة علنيّة لمشايخ نجد ضمنها في كراس حمل إسم: (نصيحة لإخواننا علماء نجد) شملت العناوين الهامّة مما يجأر المسلمون بالشكوى منه، وفي مقدمته ما يجري في الأماكن المقدسة، أي في الحجاز، وما يتعرّض له أهله من امتهان لكرامتهم كمسلمين فضلاً عن كونهم مواطنين.

فيما يلي بعضاً من النصائح التي قدّمها، وهي بمثابة قائمة نقدٍ لسلوك مشايخ الوهابية، ولنظام الحكم السعودي الذي يجاريهم فيما يطلبون ويرغبون.

تكفير المسلمين وأهالي الحرمين

لا يجوز اتهام المسلمين الموحدين الذين يصلّون معكم ويصومون ويزكّون ويحجّون البيت ملبّين، لا يجوز اتهامهم شرعاً بالشرك كما تطفح كتبكم ومنشوراتكم، وكما يجأر خطيبكم يوم الحج الأكبر من مسجد الخيف بمنى صباح عيد الحجاج.. أو كما يروع نظيره في المسجد الحرام يوم عيد الفطر بهذه التهجمات والإفتراءات أهل مكة والمعتمرين، فانتهوا هداكم الله تعالى، فترويع المسلم حرام، لا سيما أهالي الحرمين الشريفين. لقد كفرتم الصوفية ثم الأشاعرة وأنكرتم واستنكرتم تقليد وإتباع الأئمة الأربعة، في حين أن مقلدي هؤلاء كانوا ولازالوا يمثلون السواد الأعظم من المسلمين. كما سلطتم من المرتزقة الذين تحتضنونهم من رمى بالضلال والغواية الجماعات والهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة والناشطة لإعلاء كلمة الله تعالى، كالتبليغ والإخوان المسلمين، والجماعة (الديوبندية) التي تمثل أبرز علماء الهند وباكستان وبنغلاديش، والجماعة (البريلوية) التي تمثل السواد الأعظم من عامة المسلمين في تلك البلاد.. مستخدمين في ذلك الكتب والأشرطة ونحوها، ثم قمتم بترجمة تلك الكتب الى مختلف اللغات وتوزيعها بوسائلكم الكثيرة مجاناً، كما نشرتم كتاباً فيه تكفير أهل أبو ظبي ودبي والإباضية الذين معكم في مجلس التعاون. أما هجومكم على الأزهر الشريف وعلمائه فقد تواتر عنكم كثيراً.

كما كفرتم ابن عربي ثم ألحقتم به حجة الإسلام الغزالي ثم التفتم لأبي الحسن الأشعري، وبعده قلتم ما مات حسن البنّا شهيداً ولا كذلك الشهداء في أفغانستان لأن عقيدتهم لم تكن صحيحة وسليمة بل كانوا أحنافاً مقلدة تائهين هالكين، وأبقيتم أنفسكم وحدكم الناجين، ونسيتم قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا قال الرجل: هَلَكَ الناسُ، فهو أهلكهم".

وإذا ما اختلف معكم أحد في موضوع أو أمر فقهي أو عقدي، أصدرتم كتباً في ذمّه وتبديعه أو تشريكه، ومع هذا لا تمنحونه حقّه في الدفاع عن نفسه وتبرئتها من ذلك، كما حصل مع السيد المالكي وأبو غدة والصابوني وغيرهم كثير.

الترويج لأفكار التطرّف والعنف

إنكم ترفضون أن تسجّلوا أي طالب للدراسات العليا في جامعاتكم إلاّ بعد أن تمتحنونه فيما تسمونه بـ (العقيدة الصحيحة) ولا تكتفون بأنه مسلم من عامة المسلمين الموحدين، وهذه عصبية ممقوتة. وحين أنشأتم جامعة في المدينة المنورة سميتموها (الجامعة الإسلامية) هرع الناس والعلماء إليها بفلذات أكبادهم وأبنائهم مسرعين فرحين لينهلوا من هذا المنبع ظانّين أنها ستزيدهم محبة واتباعاً لحبيبهم صلى الله عليه وآله الطيبين وأصحابه والتابعين، فإذا بكم تدرّسونهم كيف يجافونه ويجافونهم أجمعين، وتجعلون الطلاب على بعضهم يتجسسون لينقلوا إليكم أسماء وأخبار من سميتموهم (القبوريين) الذين يكثرون الزيارة والسلام على سيد المرسلين حتى يكونوا من المحارَبين المنبوذين المفصولين.

ومن تخرّج بكم، وتشرّب بآرائكم من الناجحين صرتم ترسلونهم الى بلادهم وكلاء عنكم منذرين ومبشرين لتجديد إسلام آبائهم وأقوامهم الضالين بزعمكم، وتغدقون عليهم الرواتب وتفتحون لهم المكاتب وتفسحون الميادين، فتقوم القيامة وينشب الخلاف والعداء بينهم وبين العلماء والصلحاء من آبائهم وشيوخهم السابقين وكأنهم (قنابل موقوتة) عبّأتموها وملأتموها بكل سوء ظنّ وحقد دفين مما جعل البلاد الإسلامية وخاصة أفريقيا وآسيا ساحة للمعارك والخلافات بين المسلمين، بل وصل الأمر هذا الى البلدان الإسلامية التي استقلت حديثاً من روسيا، والى الأقليات والجاليات الإسلامية في أوروبا وأميركا واستراليا وغيرها، فإلى الله المشتكى.

وصل داؤكم الدفين الى أوروبا وأميركا، فأشعل الخلاف في مساجد ومدارس المسلمين، فهذا تابع لابن باز وابن عثيمين، وذاك يكفّر الصوفية والذاكرين، وثالث أشعري أو ماتريدي وهذا ديوبندي أو بريلوي..الخ، يحارب بعضهم بعضاً ويحرم الصلاة خلفهم والزواج والتواصل فيما بينهم ويقطع أواصر الدين، وقد شاهدت بنفسي ذلك، وحضرت منع الخطيب من الخطابة في مسجد بأمريكا لأنه صوفي فقام الشجار بين المصلين.

إن ما يحصل من مذابح ومجازر ومآسي تشوه سمعة الإسلام وتفتك بالمسلمين خاصة كالتي في الجزائر ومصر أو التي حدثت في الحرم المكي (حادثة جهيمان) ما هي إلا ثمرة

خرّيجيكم وآرائكم وقراءة كتبكم ومطبوعاتكم التي بُنيت على التكفير والتشريك والتبديع وسوء الظن بالمسلمين. ولتتبيّنوا ويتبين الناس انظروا هل في المتشددين صوفي أو أزهري أو أشعري أو مقلد للمذاهب الأربعة المجتهدين؟! وبعد أن أطلقتموهم سكتّم ولزمتم الصمت وتفرجتم ولم تشجبوا أعمالهم ولم تكونوا لهم من الناصحين.

لقد أغريتم الشباب الأغرار بمذهبكم وآرائكم المتشددة كجهيمان العتيبي وجماعته وكان شيخكم شيخهم ومرشدهم يثوبون إليه ويرجعون ويصدرون عن آرائه هو والجزائري، وكانوا يسرحون تحت أنظاركم يضايقون المسلمين في الحرمين يأمرون وينهون ويمرحون حتى إذا قويت شوكتهم وطالت أظافرهم وارتكبوا فعلتهم وأُحيط بهم فسقطوا بين قتيل وجريح وأسير، قلتم إنكم براءٌ منهم ومما كانوا يفعلون.. في حين أن كتبهم ونشراتهم التي خلفوها خير شاهد ودليل على ما نقول، فمن آرائكم المتشددة استقوا ومنها شربوا حتى ثملوا.

ومع هذا تتهمون المخالفين لكم من المسلمين بأنهم جهمية أو معتزلة مارقين. وأنتم الجهمية لأنكم وافقتموهم في بعض آرائهم، وحقاً أنتم المعتزلة لأنكم شاركتموهم في إنكار الولاية والأولياء والكرامة والكرامات، وحياة الموتى وتحكيم العقل في المغيبات من أمور الدين. وأنتم من يعمل عمل الخوارج، فإذا جاءكم أحد من المسلمين ـ وخاصة طلبة العلم ـ تبدأون في عقيدته أصحيحة عندكم أم لا؟ ما تقول في كذا، وكذا، وأين الله؟ وهكذا كان يعمل الخوارج فيما سبق، فقد كانوا إذا جاءهم أو مرّ بهم المسلم الموحد امتحنوه، فإذا خالفهم قتلوه، أما المشرك أو الكافر فيتلطفون به ويتلون: (وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره.. الآية).

أفعال الوهابيين في الحجاز والمخالفة للسنّة

إنكم تغلقون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء مباشرة، وهو الذي لم يكن يغلق قبلكم في حياة المسلمين، وتمنعون الناس عن الإعتكاف والتهجد فيه. وإنكم لتمنعون دفن المسلم الذي يموت خارج المدينة المنورة ومكة المكرمة من الدفن فيهما وهما من البقاع الطيبة المباركة.

ومازلتم تمنعون النساء من الوصول الى المواجهة الشريفة أمام قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلام عليه أسوة بالرجال، ولو استطعتم لمنعتم النساء من الطواف مع محارمهن بالبيت الحرام، خلافاً لما كان عليه السلف الصالح والمسلمون، وإنكم لتحقّرون النساء المؤمنات المحصنات القانتات وتنهرونهن وتحجبونهن عن رؤية المسجد والإمام بحواجز كثيفة، وتنظرون إليهن نظرة الشك والإرتياب، وهذه بدعة شنيعة لإنه إحداث ما لم يحدث.

كما أتيتم بالمرتزقة والجهال من العابسين عند المواجهة الشريفة يستدبرون المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأقفيتهم وظهورهم، ويستقبلون زواره والمسلمين بوجوه عابسة مكفهرة تنظر إليهم شزراً متهمة إياهم بالشرك والإبتداع يكادون أن يبطشوا بهم، إذ يوبّخون هذا، وينتهرون ذاك، ويضربون يد الثالث، ويرفعون أصواتهم زاجرين.. كل هذا مع الكبر والإستمرار في إهانة أحباب المصطفى وزواره المؤمنين في حضرته الشريفة وقبالة مضجعه الشريف.

وفي الوقت الذي تفصلون النساء عن ذويهن ومحارمهن في المسجد النبوي بحجة الغيرة على العرض والدين، توقفون الرجال من أتباعكم أمام مداخل النساء يستشرفونهن وكأنهم معصومون عن كل ما يصدر عن غيرهم، كما أنكم توقفون مراقبيكم من الرجال بين صفوف الطائفين والطائفات من الحجاج والمعتمرين يستشرفون وجوه النساء ويطالبونهن بالحجاب خلافاً لما عليه الجمهور من وجوب كشف الوجوه عند أداء هذه الشعيرة. ولا تعترضون على من يُرعب المسلمين الموجودين في الحرم المكي ويحقق معهم ثم يقبض عليهم إذا لم يجد معهم (سند الإقامة) خلافاً لقول الله تعالى عن الحرم الشريف: (ومن دخله كان آمناً) وهو أيضاً مما يشوش ويعكر الصفو والهدوء والسكينة والهيبة على المعتكفين والركع السجود.

وسعيتم لبدعة كبيرة لم تسبقوا إليها حتى من أسلافكم في العقيدة والمنهج، وهي أنكم سعيتم لغلق وقفل (البقيع الشريف) ومنع الدفن فيه، ونقل دفن الأموات الجدد الى موقع آخر بعيد عما تسمونه موقع الشرك والبدع في رأيكم، ولمنع الناس من الدخول الى البقيع وزيارة من فيه من الآل والصحابة والتابعين وبقية الصالحين، ولكن الله تعالى أحبط مسعاكم.

تزوير التراث

كما قمتم بتزوير التراث، ودأبتم على أن تحذفوا مالا يعجبكم ويرضيكم من كتب التراث الإسلامي التي لا تستطيعون منع دخولها المملكة، وفي هذا اعتداء شرعي وقانوني على آراء المؤلفين من علماء السلف الصالح الذين لا يستطيعون مقاضاتكم في الدنيا بل عند الديّان في الآخرة. ومما حذف أو غُيّر وزوّر: كتاب (الأذكار) للإمام محيي الدين النووي وذلك في طبعة الرياض سنة ١٤٠٩هـ. بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، حيث استبدل (ص ٢٩٥) عنوان فصل في زيارة قبر الرسول بعنوان: فصل في زيارة مسجد رسول الله، مع حذف عدة أسطر من أول الفصل ومن آخره، وحذف قصة العتبي بكاملها؛ كما حذفت عبارات لا تعجبكم من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: وحذف الفصل الخاص بالأولياء والأبدال والصالحين من (حاشية ابن عابدين الشامي) في الفقه الحنفي؛ وحذف الجزء العاشر من الفتاوى لابن تيمية وهو الخاص بالتصوف في طبعتكم الأخيرة للفتاوى: وأصدر الشيخ ابن باز ثلاثة أجزاء يسترك على ما لا يعجبه في كتاب (فتح الباري بشرح البخاري)؛ وفسح الى أبي بكر الجزائري بأن يعمل تفسيراً للقرآن الكريم يكون بديلاً ومنافساً لتفسير الجلالين وليَبّس على الناس أنه هو ليتم ترويجه على العامة.

هذا ولازلتم تمنعون الناس من إدخال وقراءة كتاب (دلائل الخيرات) للشيخ العارف بالله محمد سليمان الجزولي الحسني في الصلوات على النبي عليه الصلاة والسلام، وكذا غيره من الكتب في حين أنكم تعلمون ما يدخل ويعرض من الكتب والمجلات والمطبوعات المنكرة شرعاً، فاتقوا الله.

التضييق على أهل الحجاز

تفرضون على المؤذنين الحجازيين أسلوباً معيّناً في الأذان هو أسلوبكم في نجد، وزمناً معيّناً محدوداً، وتطلبون عدم ترخيم الصوت وتحليته بنداء المسلمين لهذه الشعيرة العظيمة (الصلاة). كما وتمنعون التدريس والوعظ في الحرمين الشريفين ولو كان المدرس من كبار علماء المسلمين، وحتى لو كان من علماء الحجاز والأحساء، ما لم يكن على مذهبكم، وبإذن صريح منكم مكتوب ومختوم، ويمنع غيركم حتى ولو كان شيخ الأزهر الشريف، فاتقوا الله ولا تغلوا في مذهبكم وأحسنوا الظن بإخوانكم من علماء المسلمين. لقد منعتم الدروس إلا دروسكم، والمذاهب إلا مذهبكم، والوعظ إلاّ وعظكم، والدعاة إلاّ دعاتكم.. فتعطلت مجالس العلم، ودرست محافل الوعظ، وخوت حلقات القرآن، واستخفت مجالس الذكر، فماذا أنتم قائلون لربكم غداً؟

كان للمذاهب الأربعة في الحرم المكي منابر فهدمتموها ثم كراسي للتدريس فمنعتموها، وكان من آخرها كرسي الدكتور السيد محمد بن علوي المالكي، الذي أحياه بعد أبيه وجده، فضاقت أعينكم أن تراه، فاتهمتموه بالضلال وبالكفر البواح في كتابكم (الحوار) ولولا أن أعانني الله تعالى فدافعت عنه بكتاب (الرد المنيع) ودافع عنه آخرون من أهل العلم في كتبهم لكان الآن في خبر كان. وكان هناك علماء يدرسون في الحرم النبوي الشريف على المذاهب الأربعة، من آخرهم الشيخ عبد الرحمن الجهني الشافعي صاحب كتاب: (قطف الثمار في أحكام الحج والإعتمار) فمنعتموه حتى يحصل على تصريح من الشيخ إبن باز، ولم يمنح له التصريح فأوقف.. وكذلك العلامة الورع المفتي الشيخ عبد الله سعيد اللحجي الشافعي رحمه الله تعالى، أوقفه عن الدرس جاسوس لكم، ولم تنجح المساعي لدى إبن باز لإعادته للدرس فحرم الطلبة من دروسه النافعة. ومن قبله أوقف العلامة المحقق الشيخ إسماعيل عثمان الزين الشافعي رحمة الله عليه، وضُيّق عليه، فالله حسيبكم.

وبذلك أقفل في الحرمين الشريفين باب تدريس علوم المذاهب الأربعة، والذي كان مستمراً ومتواصلاً منذ العصور الزاهية للإسلام أيام التابعين وتابعيهم من خير القرون الممدوحة، وحتى في أيام أسلافكم لما دخلوا الحجاز، وتركتم المجال اليوم فيها للجزائري وصهره وأضرابه ينادي بأعلى صوته بجوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن: "أبوي

النبي في النار، أبوي النبي في النار، يكررها) ويرفع بها عقيرته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكان لأهل الأحساء من أصحاب المذاهب الأربعة مدارس خاصة لكل مذهب أغلقتموها ومنعتم التدريس فيها لأنه لا يجوز عندكم تدريس ما سوى مذهبكم في المدارس التي تشرفون عليها للذكور والإناث، ولما صاروا يقيمون بعض الدروس في بيوتهم راقبتموهم وضايقتموهم وحاصرتموهم وتجسستم عليهم، فهل هذه أعمال الدعاة الأبرار والرجال الأخيار؟

ثم إنكم لا تعهدون بالإمامة في الحرمين الشريفين إلا لأحدكم (من نجد) وتحظرونها على من سواكم من علماء الحجاز والأحساء وغيرهم، فهل هذا من العدل، أو من الدين بالضرورة؟ وتمنعون النساء من زيارة البقيع الشريف بلا دليل قطعي مجمع عليه من الشرع، وتضيقون على المسلمين في الزيارة إلا في أوقات محدودة وقصيرة. وقد منعتم المزوّرين في المدينة المنورة من مرافقة الزائرين وقطعتم أرزاقهم، وبدونهم صار الناس يتخبطون ولا يعرفون أماكن قبور آل البيت الكرام، وأمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم، وهذا ظلم وتعسف وقهر وبطر لا يرضاه الله ورسوله الكريم، فانتهوا هداكم الله.

وإنكم لتتجسسون وتلاحقون وتستجوبون وتعاقبون من يقيم مجالس الإحتفال والإحتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف التي تخلو من أي منكر في الشرع، في حين لا تعترضون على مجالس اللهو والطرب والغناء ومظاهرها بشتى ألوانها وأنواعها، فهل يجوز الكيل بمكيالين؟ وهل تجوز إهانة المؤمن المحب ومراضاة الفاسق المستهتر؟

وبعد هذا، أنشأتم مكتب استجواب ومحاكمة وتحقيق في زاوية الحرم النبوي (القديمة) وكذلك بجوار البقيع حالياً وصرتم تحاكمون فيها من ترقبونه يتوسل أو يكثر الزيارة أو يخشع أو يبكي أو يدعو الله تعالى أمام القبر الشريف متوسلاً به الى الله تعالى، حيث توجه لهم قائمة من الأسئلة - الجاهزة سلفاً - عن مشروعية الزيارة والتوسل والمولد الشريف، فمن وجدتموه مخالفاً لذلك سجنتموه وألغيتم إقامته وأبعدتموه من البلاد، مع أن هذه أمور تدور بين الإستحباب والإباحة عند العلماء حتى الحنابلة منهم، فلا يجوز تكفير المسلم بها ومعاقبته. وقد حدثني من أثق به من السجناء أنه كانت الأغلال في يديه طيلة فترة السجن الذي امتدّ شهراً، وكان يتوضّأ ويصلي وهي في يده، كما كان ممنوعاً حتى من قراءة القرآن الكريم، فاتقوا الله تعالى فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. ولا يجوز أن يكون فعل ذلك في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث رحمة للعالمين.. فكيف بالمسلمين الذين تعاملونهم هذه المعاملة القاسية المنكرة بجواره الكريم، وفي مسجده الشريف؟

تدمير الآثار الإسلامية

لقد هدمتم معالم قبور الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت الكرام رضي الله عنهم، وتركتموها قاعاً صفصفاً وشواهدها حجارة مبعثرة، لا يُعلم قبر هذا من هذا، بل سُكب على بعضها (كقبر السيدة آمنة بنت وهب أم الحبيب المصطفى) البنزين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فهلاّ أبقيتم وسمحتم بالتحجير وهو مباح، وارتفاع القبر شبراً، وهو مباح مع الشاهدين!

وأعملتم معولكم في هدم آثار النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الكرام في المدينة المنورة خاصة والحرمين الشريفين عامة، حتى كاد أن لا يبقى منها إلا المسجد النبوي الشريف وحده، في حين أن الأمم تعتزّ وتحتفظ بآثارها، ذكرى وعبرة ودليلاً على ماضيها التليد، وترون أن كلّ أثرٍ يُقصد للإطلاع والزيارة شرك بالله تعالى.. فلماذا تحرمون المسلمين من مشاهدة معالم وآثار معركة بدر وأحد والحديبية وحنين والأحزاب وغيرها من (أيام الله) التي نصر بها رسوله وعباده الصالحين، وهزم الشرك والمشركين؟

هذا وإنكم تنتهزون كل عام فرصة صيانة وصباغة وترميم المسجد النبوي الشريف، لتزيلوا كثيراً من المعالم الإسلامية الموجودة في خلو المسجد الشريف من الآثار والمدائح النبوية، فقد طمستم كثيراً من أبيات البردة النبوية للبوصيري، وتريدون طمس البيتين الشهيرين المكتوبين على الشباك الشريف الواردين في قصة العتبي كما ذكرها ابن كثير في التفسير:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهنّ القاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداء لقبر أنتَ ساكنهُ
فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

وكان هناك أثر (مبرك الناقة) ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد (قباء) يوم قدومه مهاجراً الى المدينة في مكان نزل فيه قوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى.. الآية) فأزلتم هذا الأثر، وكنّا نشاهده حتى وقت قريب.

وكان في مسجد القبلتين علامة على القبلة القديمة الى المسجد الأقصى المنسوخة فأزلتموها باعتبارها بدعة. وأزلتم بستان الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه، حيث كانت هناك نخلة غرسها النبي وردمتم بئر (العين الزرقاء) قرب قباء، وبئر أريس (بئر الخاتم) ومنعتم مشاهدة بئر رومة التي اشتراها عثمان رضي الله عنه من اليهودي وأوقفها في سبيل الله، وهناك آثار أخرى كثيرة هامة إمّا أزيلت كليّة أو غيّرت معالمها.

كما وضعتم معاولكم في بيت الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي استضاف فيه النبي عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة المنورة قبل بناء حجراته الشريفة، وقد حافظت عليه كل العهود السابقة.. فهدمتم هذا الأثر الشريف الذي في قبلة محراب المسجد النبوي الشريف، وذلك بزعمكم أن المسلمين (المشركين) يتبركون به!

وهدمتم بجوار بيت أبي أيوب الأنصاري مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت المليئة بالكتب والمخطوطات النفيسة وكان طراز بنائها العثماني رائعاً ومميزاً، رغم أنه بعيد عن توسعة الحرم ولا علاقة له بها. كما ردمتم (بيرحاء) التي دخلت في التوسعة ولم تتركوا عليها أثراً أو علامة كأثر دخله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تبقوا في المدينة المنورة من آثار المصطفى وأصحابه غير المسجد النبوي وحده.. فهل يجوز أن نقلّد اليهود في إزالتهم لكل أثر إسلامي في القدس الشريف فنزيل آثارنا؟ وماذا أبقيتم للأجيال القادمة من تراثنا المجيد؟!

وأخيراً سمحتم لأحد المحسنين من أهل المدينة بهدم وإعادة بناء مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جبل الخندق على حسابه الخاص، وبعد الهدم أوقفتم رخصة البناء لأنكم تعتبرون زيارة المساجد السبعة في موقع معركة الخندق النازلة فيها سورة الأحزاب بدعة، بل وتتمنون هدمها.

ورضيتم ولم تعارضوا هدم بيت السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين والحبيبة الأولى لرسول رب العالمين، المكان الذي هو مهبط الوحي الأول عليه من رب العزة والجلال، وسكتم على هذا الهدم راضين أن يكون المكان بعد هدمه دورات مياه وبيوت خلاء، وميضآت. فأين الخوف من الله تعالى؟ وأين الحياء من رسوله الكريم؟

وحاولتم ولازلتم تحاولون وجعلتم دأبكم هدم البقية الباقية من آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ألا وهي (البقعة الشريفة التي ولد فيها) التي هدمت ثم جعلت سوقاً للبهائم، ثم حولها الصالحون بالحيلة الى مكتبة هي (مكتبة مكة المكرمة) فصرتم ترمون المكان بعيون الشر والتهديد والإنتقام، وتتربصون به الدوائر، وطالبتم صراحة بهدمه، واستعديتم السلطة وحرضتموها على ذلك، بعد اتخاذ قرار من هيئة كبار علمائكم قبل سنوات قليلة (وعندي شريط صريح بذلك).

وسمحتم لمقبل الوادعي المعروف بكثرة سبابه وطعنه على مخالفيه من العلماء والدعاة وصلحاء هذه الأمة، كما تشهد بذلك كتبه وأشرطته، سمحتم له أن يتقدم ببحث في نهاية دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية بعنوان : (حول القبّة المبنيّة على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم)، وبإشراف الشيخ حماد الأنصاري، طالب فيها جهاراً نهاراً بإخراج القبر الشريف من المسجد النبوي، واعتبر وجود القبر والقبّة الشريفة بدعة كبيرة وطالب بإزالتها وهدمها. ومنحتموه فوق ذلك درجة الفوز والنجاح! وقد وجّه هذا الرجل المئات من أتباعه ومقلديه ونحوهم ممن تأثّر بمذهبكم، وهم حاملي السلاح الى هدم ونبش قبور المسلمين الصالحين في عدن باليمن فعاثوا في الأرض فساداً وخراباً، فنبشوا قبور الموتى بالمساحي ونحوها حتى أخرجوا عظام بعضهم وانتهكوا حرماتهم وأثاروا فتنة عمياء، وبلغنا أنهم استخدموا في ذلك المتفجرات (الديناميت) في بعض المواضع في اليمن. وهذا كله في صحيفة أعمالكم.

فيا سوء الأدب وقلّة الوفاء لهذا النبي الكريم الذي أخرجنا الله به وإياكم والأجداد من الظلمات الى النور! ويا قلّة الحياء منه يوم الورود على حوضه الشريف! ويا بؤس وشقاء فرقة تكره نبيها سواء بالقول أو بالعمل وتحقره وتسعى لمحو آثاره!

جرح الذاكرة

إحتلال السعوديين للحجاز.. مرحلة مؤقتة، أم استمرار لدولة راسخة؟

إن خلاف الملك عبد العزيز مع أشراف مكة لم يكن في يوم من الأيام خلافاً دينياً بالمعنى الحرفي للكلمة، وإن كانت قاعدة الجيش السعودي (الإخوان) وكذلك مشايخ الوهابية يعتبرونه كذلك. فالحجاز كان ينظر إليه من قبل السعوديين كمنطقة وافرة الغنى يسيل لها اللعاب، وكان أجداد السعوديين في القرن التاسع عشر قد حكموه لبضع سنوات، ولذا أراد عبد العزيز أن يستعيده بحجة "ملك الآباء والأجداد"!

الخلافات الثقافية بين أهالي نجد والحجاز لم تكن بذي شأن إذا لم تضف إليها الجوانب السياسية، فالإختلاف الديني ـ المذهبي بين الوهابية والمذاهب الإسلامية الأخرى قابل للهضم، ولكن ما أعطى الخلاف وزناً وأهمية أكبر هو حقيقة أن (الوهابية) كتوجه ديني، إن لم نقل مذهباً دينياً مستقلاً، استغلّت لتحقيق مطامح آل سعود السياسية.. وهذا ما عبّر عنه فيصل بن الشريف حسين أكثر من مرّة قبل زوال دولة الأشراف من الحجاز، حيث اتخذ الأخيرون موقفاً مضاداً للوهابية وطالبوا بحلّ جناحها العسكري (الإخوان) باعتبارهما أداة سياسية وعسكرية تشرعن الإحتلال والإعتداء وسفك الدماء.

ليس هناك من شك بأن الخلاف التاريخي بين الحجاز ونجد تعدّى حدود الخلاف الفكري، فقد أصبح عداءً متراكماً تاريخياً ونفسياً تزيده ـ اليوم ـ الوهابية الدينية والسياسية حدّة، وتدفع الطموحات السياسية والإغراءات الإقتصادية لمواصلته على الأقل من جانب بعض المتطرفين النجديين، ولازال الوضع يسير من سيء الى أسوأ ولكنه يتخفى تحت أردية وأغطية كثيرة خوفاً ورهبة.

في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، كان الخلاف الإجتهادي الديني بين العقيدة الوهابية وغيرها من المذاهب الإسلامية في الحجاز (المالكية والشافعية على نحو خاص) يشغل حيزاً قليلاً وهامشياً من مساحة الصراع الدموي، إذ لم تتعدّ الخلافات مسائل ينظر اليها في الوقت الحالي على أنها خلافات قليلة الأهمية مثل مسألة القبور وتقديس الأولياء والأنبياء وطلب الشفاعة وما أشبه، وهي أمور لاتزال متضخمة في أذهان مشايخ نجد، الى حد يعتقد معه أن تضخيمها لم يكن إلا لغاية محددة، وهي إيجاد المبررات للإختلاف مع الآخر، وفرض الرأي والثقافة الخاصة بالوهابية وبنجد، والسيطرة على مقدرات الدولة واحتكار منافعها.

بيد أن التحوّل من الخلاف الفكري الى الخلاف السياسي المسلح على يد الوهابيين، لم يكن بغرض تحويل الآخر المختلف في الحجاز الى ما يعتقده الوهابيون "الدين الصحيح" أو لإلغاء الممارسات "الشركية" التي يمارسها السكان كما يزعمون، فهذا لم يحصل حتى اليوم، وإنما جاء على خلفية الأطماع السياسية لدى العائلة المالكة التي استخدمت الوهابية كمركبة للتوسّع والإحتلال.

في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لم تكن فاكهة الحجاز ناضجة بما فيه الكفاية لقطفها، وكان يرسل دعاته لمناقشة الحجازيين من أتباع المذاهب ومناظرتهم بحضور الشريف غالب حاكم مكة آنئذ، ولم تكن النتائج واضحة المعالم، إذ لم يكن أي طرف يقبل بمقولات الطرف الآخر، وكلٌ لديه حجته، وكلٌ يدّعي انتصاره الفكري في الجدل القائم أو المفتعل، شأن ما يحدث بين كل المذاهب. وفي عهد سعود الكبير عام ١٢١٨هـ تم احتلال الحجاز وسيطر الوهابيون على نفائس الأماكن المقدسة وتقاسمها الأمراء، ودمّرت الأماكن الأثرية المقدسة بحجة عبادتها من دون الله، وخضع الشريف غالب الذي بقي حاكماً إسمياً، ثم منع الوهابيون عموم المسلمين من أداء فريضة الحج، فجندت الدولة العثمانية محمد علي باشا لاحتلال الحجاز وتخليصه من الوهابيين. هنا انقلب السكان بسرعة قبائل وحضر ضد الوهابيين وأخرجوهم.

وفي القرن العشرين أعاد التاريخ نفسه.. جاءت الوهابية لتأسلم أهل الحجاز مرة أخرى، وهي الحجة التي تبرر احتلاله. لم يتغيّر شيء من السياسة والخطط سوى الوجوه. فالملك عبد العزيز مثّل دور جده سعود الكبير، ومثل الشريف حسين دور الشريف غالب، وكان فرض الوهابية على المشركين والكفار في الحجاز الحجة ومحور

مؤسس الدولة: الحجازيون كفار

"إذا قدّمتَ أنتَ الإنجليزي إبنتك لي كزوجة فسأتزوجها.. ولكنّي لا أتزوج إبنة الشريف (حسين)، ولا بنات أهل مكة، ولا غيرهم من المسلمين الذين نعتبرهم مشركين. وآكل اللحم الذي ذبحه المسيحيون دون تردّد، ولكن المشرك الذي يعبد مع الله إلهاً آخر، فهذا هو ما نبغضه".

إبن سعود متحدثاً لرجل المخابرات البريطاني الشهير جون فيلبي

سمعة ابن سعود في الحجاز والعراق ومصر والشام

"إبن سعود بدوي جاهل، إبن سعود جلف، لا قلب له ولا دين له. هو من الخوارج، بل من الذين يخادعون وينافقون بإسم الدين. والإخوان رجاله ذئاب تعصّب ضارية، يذبحون ويحمدون الله، يسلبون وينهبون ويكفرون من لا يقتدي بهم، يشنّعون بالقتلى في الحرب، ويرتكبون من الفظائع ما تقشعرّ منه الأبدان. إن دعوة إبن سعود مذهبية، لذلك لا تنجح خارج نجد".

من كتاب أمين الريحاني: ملوك العرب، ص ٥٢٣

الذرائع النجديّة. أما شعب الحجاز فلم يتغير بالنسبة للمعتقد الديني المخالف للوهابية، وإخوان ابن سعود في القرن العشرين هم أبناء أسلافهم الذين استخدموا مطيّة للتوسّع. حتى شرارات الحرب اندلعت بذات السبب: خلافات حدودية في خرمة وتربة. وكما كانت الغلبة والقوة للوهابية في حرب القرن التاسع عشر، كانت لها في الثانية، في القرن العشرين، فالعصبية المناطقية النجدية كانت أقوى منها في الحجاز، وزادت عصبية المذهب المتطرّف النجديين قوّة واضطراماً.

زيادة على ذلك، في دولة الوهابيين الأولى (الدولة السعودية الأولى) سيطر آل سعود على نجد أولاً، ثم انتقلوا الى الأحساء ثم الى مناطق الخليج الأخرى (الزبارة وعمان) ثم جنوباً الى عسير، وأخيراً نضجت فاكهة الحجاز فسقطت بيدهم. وفي الدولة السعودية الحالية جرى نفس الترتيب تقريباً، فسيطر السعوديون على معظم أنحاء نجد أولاً (عدا حائل) ثم توجهوا الى الأحساء فاحتلوها لتكون مموّلا لمشاريع احتلالية أخرى، ثم أسقطوا حائل، ثم دانت لهم عسير بنفس الكيفية التي دانت لأسلافهم، ثم توجهوا الى الحجاز واحتلوه.

بل حتى تطور الأحداث يكاد يكون متشابهاً: حيث يبدأ الخلاف بتكفير أهل الحجاز ووجوب أسلمتهم عبر احتلال أرضهم، يعقب ذلك فترة مصالحة وسلام، ثم خلافات حدود تفجّر يكون سببها اعتناق بعض القبائل المذهب الوهابي، ثم يبدأ الزحف النجدي لاحتلال الحجاز مبتدئاً بالمجازر.

الأمر المختلف الواضح هو أن المسيطر على المنطقة في الدولة السعودية الأولى كان الدولة العثمانية وفي الثانية الإمبراطورية البريطانية، وقد أفاد ابن سعود من الظرف الدولي وفهمه بشكل جيد مكنه من تسخيره عبر إرضاء البريطانيين وتلافي نقاط التفجّر، في حين وقع الشريف حسين في نفس الأخطاء التي وقع فيها أسلافه أشراف مكة.

شيء واحد لم يستفد منه آل سعود الحاليين وهو أنهم عاملوا السكان بنفس الطريقة التي عاملها بهم أجدادهم، وهي معاملة قاسية متعالية للمخالف في المنطقة أو المذهب. فإذا ما تغيّر العامل الدولي الذي كان يخدمهم فإنهم سيجدون معظم السكان وقد تحوّلوا ضدّهم، مثلما تحولوا عن أسلافهم، فحكم القوة والفرض لم يطوّره الأمراء السعوديون الى علاقة حب ورحمة بشعبهم، والى حكم يرضى عنه المواطنون. شعارهم كان ولا يزال يقولونه لمن يعترض على ظلمهم وتمييزهم الطائفي والمناطقي والقبلي بأنهم أخذوا الحكم بالسيف، وبالتالي يحق لهم فعل ما يشاؤون. ليس هناك أدنى شك اليوم والمملكة تعيش لحظات حرجة تاريخية تقرّر مصيرها، أن آل سعود باتوا ممقوتين في الحجاز كما في الأحساء والقطيف وفي الجوف وفي عسير ونجران، ولو دخلت المملكة أية معركة في الخارج فلن تجد من يصطف معها إلاّ بعض النجديين الذين ارتبطت مصالحهم بهم، وحتى وقوف هؤلاء لن يكون سوى وقوف الكاره المضطرّ، لا المدافع المتحمّس.

والسبب في كل هذا، هو تصرفات الأمراء السعوديين الذين يصرّون على ديمومة وسائل الإحتلال، ولا يتصرفون كحكام على كل الشعب، بل على أسس المُحتلّ القاهر للمواطنين والذي يتعالى على أصولهم وثقافاتهم ومذاهبهم ويعاملهم بدونيّة، ويحكم فيهم بالتمييز، ويتعاطى مع الدولة كملك شخصي.

قد يعتقد بعض آل سعود ـ مخطئين ـ بأن في مقدورهم ضرب الموالي (وهو في معظم الأحيان نجدي) ضد الساخط، ولكنّ هذه اللعبة يصعب أن تطيل في بقائهم أو أن تديم سياسات باطلة مخالفة لسنن الله وسنن العصر، خاصة وأن المخالفين أكثر بكثير من الموالين. من حسن حظهم، أن أكثريتهم يعيش هاجس الولاء حتى ضمن نجد نفسها، وآل سعود لم يتوهموا ـ عن حق ـ وعلى مدار تاريخهم الحديث بأن الشعب يقف فعلاً معهم. حتى جيش الإخوان، جيش ابن سعود البارّ المربّى عقائديا وفي قمّة عطائه يقول الملك عنه: "لا تظنّوا يا أخوان أن لكم قيمة كبيرة عندنا.. لا تظنّوا أنكم ساعدتمونا وأننا نحتاج إليكم.. قيمتكم يا إخوان في طاعة الله ثم طاعتنا.. فإذا تجاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم، إي والله، ولا تنسوا أن ما من رجل منكم إلا وذبحنا أباه أو أخاه أو ابن عمّه.. وما ملكناكم إلا بالسيف.. ترى الصحيح والسيف لا يزال بيدنا.. لا والله لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم، أنتم عندنا مثل التراب.. أنتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة بل قهراً وإني والله أعمل بكم السيف إذا تجاوزتم". هذا ما سجّله أمين الريحاني من كلام لابن سعود وقد كان حاضراً مشهده.

فمن الذي له قيمة عند آل سعود، أو يعترفون له بجميل مهما خدمهم وأخلص لهم؟ وكيف حال معظم الشعب الذي فرض آل سعود أنفسهم عليه حكاماً، هل لهؤلاء قيمة، أو يمحضوا الثقة؟

دولة كهذه، وعقلية عائلة مالكة كهذه سادرة في الطغيان والإعتداد المغالى فيه بالذات، لن تصمد في أول مواجهة تختبر فيها حقيقة ولاء السكان لها. وهي الآن تعتب على صدام حسين، وتنسى أنها تكرر كل ما تشنّعه عليه وتسير حذو القذة بالقذة. مع فارق أن صدام حسين يحكم بلداً تتجذّر الهوية الوطنية في نفوس معظم سكانه (باستثناء الأكراد ربما)، في حين أن السعودية لا هويّة لها ولا لسكّانها، والولاء للدولة أو للعائلة المالكة ضعيف لأن الأمراء لم يستثمروا فيها جهداً يخشون أن ينقلب عليهم في قادم الأيام، ولكن هذه السياسة المستديمة توقعهم اليوم في شرّ أعمالهم، فأصبحت تغري كثيرين في الداخل والخارج بتعجيل نهايتهم وإزالة ملكهم ودولتهم.

فظائع الطائف وتربة

بعد مجزرة الطائف واقتحام المدينة، وصف شاهد عيان الجيش الوهابي بالقول: "طفقوا يطلقون بنادقهم في الأسواق وهم يطوفون المدينة.. وراح العربان والإخوان يطرقون الأبواب ويكسرونها فيدخلون البيوت ثم يعملون فيها أيدي السلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب.. وقتل مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وأبناء الشيبي.. أما الشيخ عبد القادر الشيبي، سادن الكعبة، فقد نجا من الإخوان بحيلة ظريفة... بكى عندما وقع في أيديهم، فسأله أحدهم وقد استلّ السيف فوق رأسه: وليش تبتسي (تبكي) يا تسافر (يا كافر)؟ فأجابه الشيخ: أبكي والله من شدّة الفرح، أبكي يا إخوان لأنني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله أن أموت إلاّ مؤمناً موحّداً!! الله أكبر! لا إله إلا الله"!!

وأخرج في اليوم التالي الأهالي نساءً وأطفالاً وشيوخاً من المدينة وسيقوا الى حديقة شبرا وحبسوا هناك مدة ثلاثة أيام، وكانت النساء سافرات لأول مرة مع الرجال، ومكثوا أياماً بدون طعام أو ماء. أما عبد العزيز فيزعم أنه بكى حتى تبللت لحيته! حين سمع بما وقع من جرائم ومذابح وزعم أن ما قام بها جيشه لم يأمر به، وينقل الريحاني أنه دفع عشرة آلاف ليرة تعويضات للضحايا، عن كل ضحية عشر ليرات، أي أن عدد الذين قتلوا من الأبرياء ألف إنسان على الأقل.

لم يكن ليسقط الحجاز بدون صدمة مجزرة أو مجازر، تمهد للوهابيين الدخول الى مكة، فكانت عاملاً رئيسياً في تدمير السلطة في الحجاز.

ونقل عن شاهد عيان هو الشريف عودة بن هاشم ما رآه في تربة: "رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنّها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك".

من يحاول إخراس الألسن في الخارج، لا يمكن أن يكون منفتحاً في الداخل

العائلة المالكة ومعركة الإعلام

- **العائلة المالكة أسيرة للماضي وتعتقد بشراء كل وسائل الإعلام واحتكارها لنفسها**
- **شراء الـ ANN وإغلاق NTV مؤشر الى نيّة سعودية بعدم الإستجابة لمطالب الإصلاح السياسي**

عام ينذر بعودة شبح القمع للحريات الصحافية في لبنان دشّنه العسكر بأوامر من رئيس الوزراء اللبناني السيد رفيق الحريري، الذي قاد حرباً بالنيابة عن العائلة المالكة وفاجأ العاملين بمحطة ان تي في اللبنانية في الثاني من يناير باقتحام المبنى بقوة السلاح لتعطيل برنامج كانت المحطة تزمع بثه عن حكومة المملكة، كان من المتوقع أن يشارك فيه عدد من الشخصيات الوطنية والناشطين سياسياً خارج البلاد وداخلها.

قبل ذلك فوجيء المشاهدون لشبكة الاخبار العربية "أيه إن إن" والتي تتخذ من لندن مقراً لها، بقرارات انقلابية لحقتها سلسلة تدابير صارمة وفورية، حيث تم تعطيل "حديث الخليج" الذي دشّنه الصحافي السعودي عبد العزيز الخميس، وخلفه بعد ذلك الصحافي هشام الديوان قبل ان يتم الغاؤه بصورة كاملة، كما تم تقليص ساعات بث بعض البرامج وايقاف بعضها، وفوق ذلك كله استبدال السياسة الاعلامية التي تتبعها الشبكة، حيث اختفت لغة النقد السياسي الموجه للسعودية. وقيل ان ثمة شيئاً من هذا القبيل قد شمل قناة "المستقلة" التي دخلت في مستنقع الطائفية فور عودة مالكها من منطقة الخليج. وظلت المحاولات تجري، ومازالت، لإسكات أصوات أخرى في الخارج. العائلة المالكة ليست في وضع تحسد عليه. فمنذ أكثر من عام وهي في مركز العاصفة النقدية التي تجتاحها من أوروبا وأميركا وتصل اليها عبر القناة الاكثر ايلاماً لها "الجزيرة". ولأنها باتت فقيرة الى حلفاء الامس كي تلجأ اليهم في إسكات الأصوات المتفجرة في وجهها، فكان لا بد ان يكون الحريري، الرجل السعودي في لبنان، ورفعت الأسد المقرّب من ولي العهد السعودي الامير عبد الله، الأقدر على التماشي مع مطالب السعوديين (الدافعين بالتي هي أحسن!).

لجوء العائلة المالكة لأساليبها القديمة في التعامل مع الاعلام يكشف عن أمور عديدة منها: أولاً، أن العقلية السائدة وسط العائلة المالكة مازالت أسيرة للماضي، هذا الماضي الذي يرى ان وسائل البث والاتصال الجماهيري مازالت قابلة للشراء والبيع والاحتكار من قبل دولة او جماعة محددة، ونسي كبار العائلة المالكة قبل صغارها، أن افتتاح إذاعة أو محطة تلفزيون لم يعد عملاً جبّاراً في الوقت الحاضر، ويكفي أن ما كانت تعدّه مستحيلاً بالامس كافتتاح إذاعة من قبل خصومها، بات اليوم ممكناً بل وواقعاً، وليس بعيداً أن تصحو العائلة المالكة ذات يوم على بث محطة فضائية يديرها دعاة الاصلاح في الخارج.

ثانياً، إن أول ما تنبيء عنه قصص اقتحام محطة واسكات أخرى هو: أن العائلة المالكة لا تنوي البدء بالتغيير والاصلاح السياسي، فالقبول بمبدأ النقد والاستماع الى الرأي الآخر والصوت المخالف هو أول شروط التغيير والاصلاح، إذ لا يمكن لدولة أن تقرّر الاصلاح دون أن تتعرف على المناطق المراد اصلاحها، والا ستسير على غير هدى وستضل الطريق مرة أخرى، كما أضلته في مارس عام ١٩٩٢ حين توهمت العائلة المالكة بأن ما أفرطت في إعداده لشهور وربما لسنوات، فضلاً عن الوعود التي مرت عليها عقود، كان مجرد خطوة للوراء وتناست زمناً كانت فيه السياسة حكراً على العائلة المالكة وفئة محدودة من المقربين منها. كان يفترض أن تشعر العائلة المالكة بالفخر لأن معارضيها من العقلاء الذين يقدّرون الامور حق تقديرها، ويحملون رأياً ناضجاً لا ينزع نحو التطرف ولا يهبط الى مستوى الاسفاف، وما يطلبونه قد سبقهم إليه زملاؤهم في دول الجوار، ولا سيما في البحرين وقطر والكويت. فإن طلبوا فإنما يطلبون ما يرونه ضرورة، وإن نقدوا فنقدهم جدير بالتمعّن وغرضه الاصلاح.

كان حقاً معيباً للعائلة المالكة وهكذا لرجلها في لبنان تلك الخطوة الاستفزازية الغريبة على لبنان، فضلاً عن ان العائلة المالكة تعلم بأن الامر لا يحتاج الى هذه العملية الاستعراضية غير المدروسة. فاغلاق محطة تلفزيونية ما، لن يوقف هدير البث المتدفق عبر قنوات عديدة. وإذا كان هناك رجل رشيد في العائلة المالكة فليلقي نظرة على ما يقال في مواقع الحوار التي دشّنها أبناء هذا البلد من غربها الى شرقها مروراً بنجدها وحائلها وعسيرها ونجرانها. فهل يكفي ان تسكت صوتاً في مكان ما كي تخمد أصوات النقد في مكانات اخرى، ففي كل اسبوع هناك موقع على الانترنت جديد يوجه صوت النقد لممارسات العائلة المالكة ويطالب روّاده وبالحاح بالاصلاح السياسي. وهذه المواقع حين تترجم الى لغة العائلة المالكة ستكون على النحو التالي: إن هناك جماعة معارضة تولد إسبوعياً ضد الحكومة في السعودية.

إن تلك التدابير قد تنذر بأيام حالكة أخرى اذا ما وضع ذلك السلوك غير الرشيد للعائلة المالكة في سياقه الطبيعي والمنطقي، أي في السياق الذي يرفض الاندراج في حركة الاصلاح السياسي التي باتت تدق أبواب البلاد وتتفاعل وسط الشارع المحلي، وتتحرك في نشاطات القوى السياسية المحلية والخارجية.

طلال في رؤية منفردة عن الإصلاح السياسي

خطابان متعارضان أحدهما للأمراء والآخر للمواطنين

في سياق تصريحاته المثيرة طالب الامير طلال بن عبد العزيز في مقابلة مع وكالة رويتر حكومة المملكة والدول العربية لاعتماد مبدأ الانتخابات. وقال "هل نحن متخلفون اكثر من دول أخرى تجري فيها انتخابات ديكورية؟". الامير طلال الذي كان يحضر مؤتمر اليونسكو في بيروت الخاص بالتعليم العالي قال في ديسمبر الماضي بأن "ما هو مطلوب الآن هو تطوير مجلس الشورى كيما يصل الى مرحلة تكون فيها المملكة العربية السعودية قادرة على الشروع بانتخابات حقيقية وأصيلة". ويشير الامير هنا الى مجلس الشورى المعيّن الذي جرى تعيين اعضائه المائة والعشرين بقرار من الملك. الامير طلال يتبنى فكرة التحول التدريجي نحو الديمقراطية في الوطن العربي: "هناك انتخابات في بعض الدول. ولكن هذه الانتخابات ديكورية وموجّهة للعالم الخارجي. فهل تريد هذا النوع من الانتخابات؟".

طلال، صاحب الطموح المغدور منذ الستينيات، يحاول ارضاء كافة الاذواق، فهو يحمل "رسالة الى مواطن" في يد، ويحمل في الاخرى رسالة الملك فـ"الملك في عبد العزيز وأبنائه وأبناء أبنائه"، وهما رسالتان تخضعان دائماً لانخفاضات وارتفاعات بحسب الظروف السياسية التي تمر بها المملكة وفي أحيان أخرى المنطقة والعالم. فالنزعة الاصلاحية لديه ليست موجهة للاساس الايديولوجي والاستحقاق السياسي للعائلة المالكة، بل هي محاولة لاستيعاب تطورات خارجية لتعزيز وضع داخلي. فالتغييرات المطلوبة أو المأمولة لدى الامير يجب ان تسير في سياق تعميق أسس استقرار السلطة، وتحديداً وحدة العائلة المالكة. ولذلك، فالامير طلال لا يتبنى إصلاحات سياسية لا تؤدي الى ضمان السلطة واستقرارها، فقائمة المطالب الاصلاحية التي يحملها التيار العام في السعودية، غير مأمونة في نظر الامير طلال بل ربما تحمل تهديداً كامناً يضر أولاً بوحدة السلطة. و طلال يعارض، على سبيل المثال، مبدأ الانتخابات ما لم تتوفر ضمانات أكيدة بعدم اختلال السلطة، وهو لا يرى البدء بالانتخابات الآن "فالوقت لم يحن بعد. ولا أعتقد بأننا جاهزون" حسب رأيه. وحتى يكون هذا الرأي مترجماً للرأي العام الداخلي، فان الامير لا يتردد في اعتبار ما يقوله ترجمة أمينة لموقف الشعب: "فالغالبية في السعودية، كما الغالبية في الدول العربية، يفضّلون خطوات تدريجية نحو الحياة الديمقراطية. فاذا كان المواطن قادراً على التعبير عن رأيه والمشاركة في القرارات بصورة أو أخرى، فهذا هو المهم".

وفي سؤال حول ما اذا كان طلال يأمل في لعب دور مستقبلي في السياسة السعودية، اجاب قائلاً: "تركيبة النظام في السعودية مختلفة عن العالم الخارجي.. (وهي محكومة بـ) أعراف هي أقوى من القوانين.. فالرجل الصغير يحرك الرجل الكبير. والرجل القوي يصغي للرجل الضعيف، ونحن نسير في هذا الطريق.

يتبنّى الأمير طلال إصلاحات سياسية تؤدي الى ضمان استقرار السلطة ووحدة العائلة المالكة، ولذا فهو ضد الإنتخابات لأنها 'لم تحن بعد' و 'لا أعتقد بأننا جاهزون'

هناك اختلافات في الرأي وهذه تعتبر ظاهرة صحية".

ورغم أن العبارة الاخيرة تعتبر مفتوحة على أفهام متعددة كعادة الامير حين يغمض ما هو واضح في داخله، فإنه يترك الاجابة قابلة للتعدد، فهو لا ينسى كيف يمدّ نفسه بقدرة على الدفاع عن موقفه من خلال عبارات مبهمة متروكة لاجتهادات الآخرين. ففي هذه العبارات ما يعكس النزوع السلطوي لدى الامير طلال وصورة الرجل القابع في التقاليد الملكية، بل في هذه العبارات ما يذوي معها مقولاته الملتهبة عن الاصلاح والديمقراطية في السعودية. فهو ملكي في مداومته على التواصل الاسري إذ يتناول الغداء مع الملك فهد في بعض الايام، وفي مكان آخر يدافع عن العائلة المالكة ازاء الحملة الدعائية الغربية وما يقال عن احتمالات الصراع على السلطة بين ولي العهد الامير عبد الله ووزير الدفاع الامير سلطان، مؤكداً على التفاهم التام داخل العائلة المالكة على القيادة الثنائية الممثلة في الملك فهد وولي العهد، ولكن حين يحتدم الجدل حول توزيع السلطة داخل أبناء الملك عبد العزيز، يكون الامير طلال أحد المهندسين لعملية توزيع الحصص وانتقال السلطة من الجيل القديم الى الجيل الحديث، فهو يريد ان يلعب دوراً في اعداد جيل الشباب الى كرسي الملك، هذا الثابت غير القابل للمساومة في نظر الامير الليبرالي!

وفي سياق التهديدات الكامنة في سياسة الادارة الاميركية الرامية الى تغيير الخريطة السياسية في المنطقة والتي تشمل السعودية، فإن الامير طلال ينتظم داخل الموقف الاسري الموحد ازاء الاخطار المحتملة للتغييرات السياسية المترافقة واللاحقة للهجوم الاميركي على العراق، فهناك من التصريحات الاميركية ما يثير فزع الامير طلال وخصوصاً

المتعلق منها بمسألة تقسيم السعودية او تقليصها او حتى دمقرطتها ولكن ليس على الطريقة الملكية السعودية او حتى على طريقة الامير طلال.. "فأميركا تريد انظمة تخدم مصالحها"، كما جاء في مقابلة طلال مع صحيفة (الوسط) البحرينية في الثامن والعشرين من ديسمبر الماضي، وهو تصريح يحمل في داخله اتهاماً للمملكة نفسها التي كانت نظاماً يخدم مصالح الولايات المتحدة، وأن الأخيرة استنفذت اغراضها منها ولا بد من تغييرها. والغريب من ربط الامير كل هذه المخاوف بدعوته لاطلاق يد الصحافة السعودية واعطائها الحرية لانها ضرورية للنظام وللمواطن.

الاصلاح السياسي والتيار الديني

لم يعرف للامير طلال موقف معلن من التيار الديني، وان كان واضحاً نزوعه المناوىء لكل ما هو سلفي، فهو كما عبّر عن نفسه "مسلم ليبرالي" رغم ما يبطن هذا الوصف من تناقض شديد في مضامينه الايديولوجية. طلال يعارض احتضان الدولة للتيار الديني قائلاً: "إن على الدولة ان تكون محايدة". ولكن ما يثير في تصريحات الامير لصحيفة (الوسط) البحرينية هو قطعه بتولي الليبراليين الحكم في السعودية وتخفيضه لدور التيار الديني في الحكم، وهو في حد ذاته استجابة غير مباشرة للضغوط الخارجية.

وكما يبدو فإن طلال يفصح عما يعجز الكبار في الاسرة المالكة عن البوح به للسلطة الرابعة بمن فيهم الملك فهد نفسه، والذي تحدث مراراً لخاصته عن غيظه الشديد من رجال الدين ومقاومتهم له في مشاريعه التحديثية والتي تصطدم بالمرتكزات العقدية للمذهب. فالامير طلال طالب بوقف هدير الفتاوى المتعارضة مع التوجه الاصلاحي. وفي صراحة اكثر رد بالايجاب على صدور فتاوى مسايرة ومحابية للاسرة المالكة، وعارض في الوقت ذاته ضمنياً على الاقل التحالف المعقود بين التيار الديني والاسرة المالكة لما يحمله هذا التحالف من اخطار مستقبلية قد تطيح بالدولة او ببعض أركانها، ويتمثّل الامير طلال بمصر وما جرى لرئيسها انور السادات الذي تحالف مع التيار الديني في السبعينيات ضد اليسار الناصري والاشتراكي والشيوعي، فسقط على يد أحد أفراد هذا التيار الديني. ورغم نفيه ان تشهد المملكة احداثاً مماثلة، الا أنه اعترف بوجود تيار ديني متطرف يستمع لزعماء كاريزميين يحملون توجهات مخالفة لسياسة الدولة.

وعلى الضد من المقاييس الدينية، والسلفية الوهابية حصراً، في التكافؤ الحقوقي بين الافراد، يضع الامير طلال المواطنة كأساس مشترك بين الافراد وبه تتساوى الحقوق وتقرر الواجبات: "فهذا هو الاتجاه العالمي، فهل سنكون شاذين عن العالم؟". نشير هنا الى انتقادات واسعة وجهها كثير من دعاة الاصلاح في المملكة لغياب أسس المواطنة الصحيحة وسيادة أشكال التمييز القائمة على اعتبارات دينية مصممة في الاصل لخدمة فئة دينية او حتى مناطقية معينة بما يسقط حقوق القطاع الاكبر من السكان باعتبارهم غير حائزين على المواصفات والمقاييس الدينية الرسمية.

إصلاح مناهج التعليم: إرادة الداخل أم أميركا؟

ولكن دعوة الامير طلال الى ارساء مبدأ المواطنة تبدو منفصلةً عن متوالياتها أي بما تتطلب من احداث تغييرات جوهرية احياناً في المناهج التعليمية والتي تتضمن توجهات انقسامية ونزعات تشيع الكراهية بين السكان على قاعدة دينية. الامير عارض تغيير المناهج التعليمية بحجة أنها مطالب من أميركا، رغم أن هذه الدعوة سبقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر بسنوات.. ولعل كتابات الاستاذ الشيخ حسن بن فرحان المالكي تقدّم نموذجاً ساطعاً في هذا الاتجاه.

في محاولة الجمع بين خطابين شديدي التعارض: خطاب السلطة وخطاب الاصلاح السياسي، يعارض الامير طلال كرد فعل أولي على المطالب الاميركية باصلاح المناهج التعليمية، ولكن حين يوضع السؤال في اطار حرية التعبير والفكر، فإنه لا يجد مثالاً الا في سبّ الولايات المتحدة على المنابر او سبّ الكفار على المنابر. ومع ذلك فهو ينفي ويثبت في ذات الوقت حقيقة ذلك. فهو ينفي بـ "هذا غير صحيح" ثم يثبت ناقلاً قول المرحوم الشيخ محمد الغزالي: "بأن هؤلاء أهل كتاب يجب الا نشتمهم بل يجب ان نتعايش معهم". ويزيد في تثبيت ما نفاه ابتداء بقوله: "ونحن عيبنا أننا لا نقبل الرأي الآخر، ولا التعاون مع الآخر.. لدينا حظر على الآخر.. لذلك فنحن متخلفون ويجب ان نكون متواضعين، لا أن تأتي كل يوم وتشتم هؤلاء في المنابر: هؤلاء كفار.. هؤلاء كفار".

وفي عودة لطرح مجدد للسؤال حول اصلاح المناهج التعليمية باعتبار أن ذلك يتماشى مع الوضع الدولي الجديد، كرر أسلوبه القديم باستباق الزمن، وأجاب: "لازم وهذا مطلب سعودي قبل ان يكون مطلباً غربياً، ونحن كسعوديين نطالب به". وتذكرنا هذه الاجابة بما ذكره في احدى حلقات "شاهد على العصر" الذي بثته قناة الجزيرة قبل نحو سنتين حيث أكد على أن الشورى لم تأت نتيجة ضغوطات محلية بل هي مبدأ أقره الملك عبد العزيز منذ قيام دولته من خلال مجلس الشورى في الحجاز، ولذلك فإن ما تم عام ١٩٩٢ ليس اكثر من اقرار لمبدأ قويم في هذه الدولة، فاذن لم يأت دعاة الاصلاح بجديد على حد قوله.

فهكذا إذن تكون المملكة متماشية مع أوضاع العالم، فكل ما جد جديد في مطالب الداخل والخارج فإن المملكة قد سبقت العالم اليه رغبة او حقيقة. وهكذا رد الامير على ما اعتبره مزاعم الرضوخ للمطلب الاميركي في تغيير المناهج التعليمية "لا.. لا.. اشهد بالله ان التوجه في السعودية هو تغيير المناهج، ولكن

أصيب طلال بالفزع من تقسيم المملكة أو دمقرطتها أميركياً خلاف رغبة أخوته وطالب بحريات صحافية لأنها ضرورة للنظام وللمواطن

طالب طلال أن تكون الدولة 'محايدة' في مسألة المذاهب، وأن تكون المواطنة أساساً مشتركاً بين السكان، ودعا الى تقليص عدد الجامعات الدينية



طلال: الطموح المغدور

لـلأسف ان الـطريـق الذي سلكوه بطيء. السعي لتغيير المناهج التعليمية في السعودية لم يكن خوفا من التأثير على النظام من قبل الخارج اذا لم يبادر إلى هذه التعديلات؟ لا.. لا.. أبدا، فهذا التغيير لن يؤثر على النظام في المملكة".

الامير طالب بتقليص عدد الجامعات الدينية في السعودية من ثلاث الى واحدة بـاعـتـبـارهـا مـراكـز قـابـلـة لـتـفـريـخ الـمـتـطـرفـيـن، كـمـا طـالب فـي لـهـجـة دبلوماسية مبهمة معارضة لتصريحات الامير نايف لصحيفة السياسة الكويتية والتي حمّل فيها مسلمي الخارج مسئولية نشوء التطرف الداخلي، طالب بما نصّه: "ونـأتـي بـالـمـتـنـورين من رجـال الدين الاساتذة الذين يقومون بالتدريس وفق التعليم الديني الحقيقي والاسلام الصحيح الذي لا يحارب الغير ويتعايش معه".

الامير طلال يحاول، في تصريحاته غير المقبولة، الاقتراب من الواقع من خلال موقعه كفرد من أسرة مالكة، فهو لا ينفي ما هو ثابت في الاصل وفي الواقع ايضاً، فالمعارضة ضد النظام السعودي ليست بالأمر الذي يخفى او بالامكان نفيه بسهولة، ولذلك فهو يعترف ويعبارات غامضة بوجود معارضة امّا خفية او ظاهرة. ولا ينسى نصيبه ايضاً في المعارضة فقد جمع الحسنيين: السلطة والمعارضة.

الامير طلال بلا شك يحمل تطلعات إصلاحية، ويطمح لتحولات ديمقراطية سبقت بأجيال تفكير أسرته المالكة، وسيظل أحد الاصوات النافرة داخلها، واذا قدّر لهذه البلد الانتقال الى مرحلة جديدة عاجلة ام آجلة فإن اسم الامير طلال سيتكرر لفترة من الوقت على الاقل. هذا الاسم تغذى على مائدة الستينيات ومازال، ولكن قوته نابعة من كونه اصلاحياً في عائلة محافظة، وأن تأثيره ملتحم بانتمائه للاسرة المالكة بوضعها الحالي أي قبل متغيرات ما بعد الهجوم الاميركي على العراق.

تصور الامير طلال للاصلاح يمكن تلخيصه في عملية تحول تدريجي نحو الديمقراطية، ولا يبدو أن تصوره هذا يرتقي الى مستوى اطروحة مكتملة النضج ومحسوبة الخطى، إذ أول ما تفتقر اليه هو المدى الزمني المطلوب لعملية التحوّل الى ديمقراطية تشرع بانتخابات حرة، على أن آراءه في اصلاح المناهج التعليمية وتقليص التأثير السياسي للتيار الديني تبدو متقدمة لا أقل في المحيط الذي ينتمي اليه الامير: أسرة ومنطقة ومذهباً.

تصور طلال للإصلاح يتلخص في تحول تدريجي نحو الديمقراطية، وهو لا يملك تصوراً ناضجاً كأطروحة قابلة للتطبيق

حين يكون بيتك من زجاج أيها الأمير!

الأمير طلال يتخبّط هذه الأيام بشكل ملفت، وإذا كان تحمد له بعض الدعوات الإصلاحية فإنه أخذ بالإنقلاب عليها بمجرد أن شعر بأن التغيير القادم في المملكة قد يقوّض حكم أسرته. والأمير الذي لم يجد له منبراً داخل المملكة ليتحدث فيه عن آرائه، فتنقل بين قناة الجزيرة والإعلام المصري، والإعلام الكويتي واللبناني، وهي البلدان العربية التي يتسع فيها هامش الحريات وتتمتع بقدرٍ من المصداقية، أخذ يطعن في الجميع بمناسبة أو بدون، ليس في الإعلام فحسب بل حتى في النظم التي تحوي قدراً من الحرية والديمقراطية كالكويت التي اعتادت استضافته وتكريمه، بينما هو ينتقد ديمقراطيتها ويشير بطرف وكأنها لا تستحقها.

طلال.. قابلته مؤخراً صحيفة السياسة الكويتية فقال التالي:

"إن ما فعله الشيخ عبدالله السالم يتلقى عليه انتقادات من كثير من الناس، ومن العائلة الحاكمة، وأنا لا أذهب الى حاكم في منطقة الخليج إلا ويقول لي: لا نريد ديموقراطية الكويت، لانها في رأيهم عطلت المشاريع والقوانين والنمو، وتحولت الى فوضى، وأصبح من يحكم هم العامة وليس النخبة أو الاغلبية المتنورة، ومعنى ذلك عليكم أن تعيدوا النظر في المسيرة، وليس في العنوان. دساتير العالم تتغير حسب الظروف، فالدساتير ليست قرآن منزلا، وعليكم أن تعودوا الى خصوصيتكم، فقد لبستم ثوبا فضفاضا!".

فهو ينتقد تأسيس برلمان، ويستشهد بمستبدي حكام الخليج كدليل على صحة كلامه! وليت عائلته المالكة تعطي شعبها معشار ما يطالب به من حرية متوفرة لدى الكويتيين. وبدل أن ينتقد الإستبداد صار داعية له، ومنظراً للخصوصية التي يبيعها أخوته على شعبهم. والثوب الفضفاض الديمقراطي شرف وفضيلة، لا يقارن بثوب الإستبداد السعودي شديد الضيق على جسد ضخم. والنخبة في الكويت، أو من أسماهم بالعوام، أكثر إخلاصاً وحباً لوطنهم من عائلة مالكة زرعت جهالها في كل ناحية وناصية، يأخذون شهاداتهم بدون دراسة، ويمارسون الحكم بدون مساءلة. ونذكر الأمير طلال الذي تفاجأ من وقوف الكويتيين مع قيادتهم إبان الغزو العراقي، أنه قال بأن لو حدث وغزا صدام حسين السعودية لانضمّ معظم السعوديين معه في مسعاه!

ذاك نتاج الديمقراطية، وهذا نتاج استبداد آل سعود.

وفي الوقت الذي تتقزّم فيه الإنجازات السعودية أمام إنجازات معظم دول مجلس التعاون إن في ميدان السياسة أو ميدان التنمية الإقتصادية والإجتماعية، يرى طلال ان الديمقراطية معوقة لمشاريع القوانين والنمو. فهلاّ طوّر استبداد إخوانك الأمراء بلدهم، بدل أن يحولوه في ظرف سنوات الى مدين يحتاج الى أكثر من نصف قرن ليسدد ديونه، وهلاّ ابتدعوا بديكتاتوريتهم قوانين توفر أبسط شروط الحياة الكريمة لمواطنيهم.

لقد تكلّم الأمير طلال كثيراً.. وآن له أن يصمت، إن لم يستطع أن يقل خيراً.

رؤية الجناح المتطرف في الإدارة الأميركية تجاه السعودية

هل يحتاج حكام السعودية الى صدمة؟

لوران موراويك، الباحث السابق في مؤسسة راند المعروفة بأبحاثها الاستراتيجية وتأثيرها في توجيه السياسة الخارجية، قدم في مقابلة له مع جريدة الشرق الأوسط السعودية في ١٧ ديسمبر الماضي خلاصة الرؤية السائدة لدى اليمين المتطرف في الإدارة الأميركية، وهو اتجاه يتنامى بوتيرة متسارعة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر. هذا الاتجاه ينظر الى السعودية بوصفها بؤرة التطرف الاكثر اشتعالاً او المرشحة للاشتعال في وجه أميركا والغرب.

ثمة اتفاق على ان بعض آراء مواروك كانت شديدة التطرف، ولكن القراءة الاجمالية لما قدمه لا يضعف من القيمة التحليلية لاقواله. بيد أن المسئولين السعوديين يحاولون اقناع انفسهم بأن آراء مواروك تعتبر شاذة وبالتالي فهي تمثل صاحبها وفي احسن التقديرات جزء هامشيا في الدوائر السياسية الاميركية، وبالتالي فإن التهديدات الواردة في تحليله لا يجب أن تؤخذ على محمل الجد من جانب المسئولين السعوديين.

نحن، هنا، نرى بأن ما قاله مواروك للشرق الاوسط يترجم اتجاهاً يأخذ في التنامي داخل أميركا، وسوف يتعزز بسقوط نظام الرئيس صدام حسين، وهذا يفتح السعودية كجبهة تالية مرشحة للتغيير بالطريقة الاميركية تحت شعار مكافحة الارهاب. كثير من دعاوى موراويك المنشورة في الصحيفة السعودية سالفة الذكر، والتي سببت إزعاجاً للأمراء، وبصرف النظر عن ما تحمله من اغراض غير معلنة، هذه الدعاوى صحيحة، كتحميله، مثلاً الحكومة السعودية جانباً من مسئولية تفجيرات نيويورك وواشنطن، الى جانب مسؤوليتها في نشر الفكر المتطرف في داخل المملكة والعالم الإسلامي، وأن النظام فيها مستبد بحاجة الى تغيير.

فيما يلي نص ما قاله موراويك، ننشره لاستجلاء رؤية الجناح المتطرف في الإدارة الأميركية، كجزء من استشراف لمستقبل العلاقات السعودية الأميركية، بل مستقبل النظام السياسي في المملكة، وربما الدولة السعودية نفسها.

الجميع يعرفون الحقيقة بشأن الدور المركزي للسعودية في شبكة الارهاب الاسلامية العالمية. غير ان معظم الناس اختاروا تجاهل ذلك. فمن كان انتحاريو الحادي عشر من سبتمبر؟ ١٥ من اصل ١٩ كانوا سعوديين. ومن كان عقلهم الموجه؟ مليونير سعودي. ومن أين حصل الارهابيون على اموالهم؟ من السعودية. اضف الى هذا الدور الذي لعبته السعودية في تشجيع الاصولية المتطرفة في مختلف انحاء العالم، ويمكنك الحصول على الصورة كاملة. وكل يوم يمر يأتي بدليل جديد على تورط السعودية في كل المستويات.

بقدر تعلق الامر بالولايات المتحدة كانت المملكة العربية السعودية محطة بنزين عملاقة، بل والاكبر في العالم. وكانت السياسة الاميركية تهدف الى الارتباط بمحطة البنزين تلك. وكان هناك مصدران للتهديد. الأول جاء من الكتلة السوفياتية. اما الثاني فجاء من الديكتاتوريين العسكريين محدثي النعمة في العالم العربي.

وقررت السعودية، اعادة التأكيد على مبادئها الاسلامية لمواجهة تحد مزدوج: من اصولية محلية، ومن النزعة الشيعية المتطرفة التي جسدها الزعيم الايراني آية الله روح الله الخميني. وهكذا عاد السعوديون الى التطرف الديني. فقد استخدموا عائداتهم النفطية الهائلة لتمويل الهيمنة العالمية على الكثير من المؤسسات الاسلامية والجوامع في مختلف انحاء العالم وتحويلها الى معاقل للأصولية. وفي بعض الحالات افلحوا في وقف انتشار الخمينية على الرغم من حقيقة ان ايران كانت، هي الاخرى، تنفق اموالا هائلة تدعمها الدعاية الواسعة. ثم جاء الغزو والاحتلال السوفياتي لافغانستان الذي وفر للسعوديين غطاء مضمونا لنشاطاتهم الخطرة.

ان كثيرا من الاميركيين المتنفذين مدينون، من الناحية المالية، للسعوديين. فالكرم السعودي استثنى قليلا من الناس في واشنطن. ولسنوات عدة اعتبرت وزارة الخارجية، او قسم الشرق الادنى على الأقل، بمثابة فرع لشركة "أرامكو" في واشنطن. وكانت الولايات المتحدة مستعدة لخوض حرب من اجل النفط، ومستعدة، ايضا، لاغماض العين عن كثير من الاشياء من أجل النفط.

ذهب الدعم السعودي الى الجماعات (الأفغانية) الاصولية الاكثر تطرفا. فالسعوديون هم الذين اقنعوا وكالة المخابرات المركزية الاميركية (سي.آي.ايه) بدعم حكمتيار، وفي وقت لاحق، طالبان، بدلا من المقاتلين الافغان الاكثر اعتدالا. واستخدم السعوديون الحرب الافغانية ذريعة لخلق حركة "جهادية" عالمية، يمولونها، ويجري تدريبها في باكستان وافغانستان. ويدا ان كل تلك النشاطات، حسب رؤية واشنطن، موجهة، اساسا، ضد الاتحاد السوفياتي. وهكذا فان الولايات المتحدة اغمضت العين عن الآثار البعيدة المدى لما وصل الى "فتنة" اسلامية متطرفة في عالم الاسلام.. هيمنة على العالم الاسلامي من جانب العناصر الاكثر تعصبا. واعتقد السعوديون انهم بتصدير الطاقات الاسلامية المتطرفة الموجودة في مجتمعهم يمكن ان يبقوا محصنين ازاء مخاطرها.

بعد هزيمة العراقيين مارس السعوديون ضغطا على الرئيس جورج بوش الأب من اجل ابقاء صدام حسين في السلطة. وكان السبب ان السعوديين لم يكونوا يريدون نظاما عراقيا جديرا بالثقة يمكن ان يظهر كمنافس في المنطقة. ولم يرغب السعوديون ايضا في وجود عراق ديمقراطي قريب الى الولايات المتحدة. وبالنسبة لهم يعتبر النظام المثالي في العراق هو نظام صدام حسين الضعيف. لا يمكننا ان نفهم السعودية ما لم نأخذ بالحسبان حقيقة اساسية (هي) تعميم ايديولوجيتها المتطرفة، وهي مستعدة للقيام بمغامرات كبيرة من اجل فرض نموذجها من

الاسلام على سائر العالم الاسلامي، وما هو أبعد. الكثير من السعوديين قد يرفضون اساليب (بن لادن) ولكنهم يتعاطفون مع رسالته.

من المؤكد ان اسامة بن لادن عمل لصالح المخابرات السعودية. وعائلته مدينة بثروتها كلها لعقود الحكومة. وفي عام ١٩٩٨ عرضت الحكومة السودانية تسليم بن لادن الى الولايات المتحدة، وأرسل السعوديون مبعوثين للالتقاء به وأبلغوه بانهم يمكن ان يساعدوه على تجنب وقوعه بأيدي الاميركيين عبر انتقاله الى افغانستان. واعطى السعوديون ٢٠٠ مليون دولار لاسامة كتكاليف سفر، وساعدوه على اقامة متجر في افغانستان. وكانت الصفقة ان اسامة يمكن ان يوجه ارهابه ضد آخرين، مستثنيا المملكة ذاتها. ونحن نعرف ان اموال اسامة مولت عمليات ارهابية في ما يقرب من ٣٠ بلدا في العقد الماضي او نحو ذلك، ولكن لم تكن هناك عملية واحدة في المملكة العربية السعودية نفسها. ولم يفعل اسامة ابدا اي شيء ضار ضد الحكومة السعودية. وحتى الآن فانه، إن كان ما يزال على قيد الحياة، لا بد ان يكون مختفيا في مكان ما بدعم من المخابرات الباكستانية. ويعرف الجميع ان رؤساء تلك المخابرات ومعظم الموظفين الرئيسيين على ارتباط بالسعوديين لسنوات عدة. واذا ما رغب السعوديون في اخراج اسامة بن لادن من مخبئه فانهم قادرون على ذلك.

من المؤكد ان هناك في الرياض من يعرفون ان متابعة مثل هذه السياسات الخطرة والمغامرة هي ليست افضل اتجاه بالنسبة لبلادهم. ولكن أين هم؟ لماذا لا يقاومون؟ ولماذا يكون كل ما نسمعه من الرياض غامضا ان لم نقل مزدوجا؟ اذا لم تحدث صدمة حقيقية للسعودية فانها لن ترى مبررا لضرورة اصلاح سياسات استمرت زمنا طويلا، ناهيكم من التخلي عن هذه السياسات.

أي نوع من الصدمة؟ الشيء الاول الذي يتعين القيام به هو تصنيف المملكة العربية السعودية باعتبارها عدوا وليس حليفا وشريكا. وما ان يجري القيام بهذا يجب علينا ان نقدم للزعماء السعوديين قائمة مطالب لا بد من تلبيتها في اطار زمني محدد. والمطلب الأول هو ان على السعوديين ان يسمحوا لمكتب المباحث الفيدرالي باجراء تحقيقات مع جميع السعوديين المشتبه فيهم. لقد تلقى ما يزيد على خمسة آلاف سعودي التدريب على الارهاب في افغانستان وباكستان. ويجب ان تكون لدينا معلومات كاملة عن اماكن وجودهم وعن المهمات التي يعتزمون القيام بها. ان اولئك المتورطين في الارهاب يجب ان يمثلوا امام العدالة. اما المطلب الثاني فهو ان على المملكة اغلاق جميع ما يسمى بالجمعيات والمؤسسات الخيرية التي قدمت مساهمات، بصورة مباشرة او غير مباشرة، الى المنظمات الارهابية. والمطلب الآخر هو ان على السعوديين ان يوقفوا الدعاية المحلية، الموجهة لزرع الكراهية ضد الغرب.

واذا لم تجر تلبية تلك المطالب، ففي هذه الحالة ينبغي علينا ان نتخذ اجراء ما. لقد قدمتُ خطة تفصيلية للقيام بعمل اعتمادا على الاعتقاد القاضي بان هناك ثلاثة اشياء هامة بالنسبة للسعوديين وهي: النفط، وأموالهم، والاماكن المقدسة في مكة والمدينة. يمكننا، بسهولة، ان نحتل حقول النفط. ان خطط الطوارئ للاستيلاء على حقول النفط السعودية موجودة منذ سنوات السبعينات ويمكن تنفيذها خلال أيام. أما ما الذي سنفعله بهذه الحقول فيمكن ان يتقرر لاحقا. ويعتبر الاستيلاء على الاموال السعودية مسألة سهلة ايضا. فهناك تشريع قائم يمكن الولايات المتحدة وحلفاءها من مصادرة اصول العدو. فهناك سعوديون يمتلكون أصولا في الغرب تبلغ قيمتها مليارات الدولارات. ويمكن ان يفقدوا كل شيء بين عشية وضحاها. وبعد ذلك سنعالج قضية الاماكن المقدسة.

أجل، هذا السيناريو يعني حرباً شاملة ضد المملكة.. ولكن ذلك سيكون جزءاً من الحرب ضد الارهاب، وشأن جميع الحروب فان لهذه الحرب قوانينها الحديدية ومنطقها الخاص. ويتعين ان تنتهي برابحين وخاسرين واضحين. فالولايات المتحدة لن تكون آمنة ما دامت هناك مدارس وجوامع تعلم الكراهية ضدها. ولن تكون الولايات المتحدة آمنة ما دام هناك رجال ونساء اثرياء، لديهم مبالغ هائلة من اموال النفط تحت تصرفهم، يمكن ان يكرسوا جزءا من ثروتهم للارهاب حتى ولو كان لحماية انفسهم.

ألا يمكن لمثل هذه السياسات ان تزعزع استقرار الشرق الأوسط برمته؟ ما هو الخطأ في زعزعة استقرار ابداعية؟ لقد جلب لنا الوضع الراهن، الوضع المستقر زعماً، مآسي الحادي عشر من سبتمبر. وليس هناك من ضمان بأنه لن يجلب لنا مآس اخرى في المستقبل. انه لمن الجنون المطلق ان يعرف المرء جذور المأساة ولا يفعل شيئا لاستئصالها. لقد رفع الستار عن المحرمات، وتعتبر المملكة العربية السعودية قضية تهم جميع الاميركيين، وليس فقط آلافا عدة. لا استطيع، بالطبع، إبطال مفعول عقود من الهبات السعودية السخية التي أفادت آلافا من الاميركيين المتنفذين، غير ان سياسة شراء الدعم ليس لها مستقبل.

للعراق اولوية لان الرأي العام مهيأ، على نحو افضل للقيام بعمل. غير ان تغيير النظام في بغداد لن يغير حقيقة انه ما زال هناك نظام في السعودية يتصرف كحاضنة للتطرف. اننا نتدخل في العراق لأننا نخشى ان يطور اسلحة يمكن ان تستخدم ضدنا في المستقبل. وفي حالة المملكة العربية السعودية، من ناحية اخرى، كان هناك عمل ضدنا: مباشرة في قلب نيويورك وواشنطن. وليس هناك، بالمطلق، ضمان في ألا يحدث شيء مماثل في المستقبل.

اذن، هل نحن نتجه نحو صدام حضارات، حرب بين الاسلام والغرب تقودها الولايات المتحدة؟ كلا. هذا لا يعني الاسلام، هناك صِدام داخل الحضارة الاسلامية، فمن ناحية هناك من يريدون تحديث الاسلام ومنح المسلمين الحريات ومستويات المعيشة المترفة وحقوق الانسان والكرامة التي يتمتع بها المواطنون في الغرب، ومن ناحية اخرى هناك خلافهم، شأن صدام حسين او الأصوليين السعوديين، ويحاولون تأبيد الارهاب في الداخل والخارج. ان العصور المظلمة للاسلام ستنتهي ايضا، وسيحرر الاسلام، وهو باني حضارات، نفسه من قبضة المتعصبين والارهابيين الذين يجري تمويلهم بأموال النفط. وستتغير معظم المجتمعات الاسلامية بدون حرب او تدخلنا، وبفضل آلياتها الخاصة. وحيثما تكون الحرب ضرورية كأداة للتغيير في دول قليلة، فان هذا سيحدث لعدم توفر آلية للتغيير. انظروا الى ايران، انها تتغير بفضل شبابها ونسائها، وتشكل تركيا نموذجاً هاماً آخر. فقد أظهر الاتراك ان بوسعهم تغيير الحكومات والسياسات عبر الانتخابات والحفاظ، في الوقت ذاته، على ثقافتهم ودينهم وتراثهم الاسلامي. ان المسلمين يستطيعون العيش في بلد ديمقراطي كما يفعل الملايين في الغرب. وهناك أيضا، تقدم ايجابي في اندونيسيا وماليزيا والكثير من الدول الاسلامية في افريقيا. والمشكلة الرئيسية هي مع الدول العربية التي ما تزال تحكمها قبائل وعشائر وعوائل. وتتميز الانظمة العربية بأسوأ أداء بين أي مجموعة من الدول خلال العقود الثلاثة الماضية. دعني اقدم لك مثالاً واحداً، فمعرفة القراءة والكتابة في العالم العربي مماثلة تقريبا في معدلها لما هو عليه الحال في افريقيا السوداء، غير ان معرفة القراءة والكتابة في صفوف النساء في العالم العربي هي ادنى في معدلها، حتى من افريقيا السوداء. ويحدث هذا على الرغم من تريليونات الدولارات من اموال النفط.

هناك الملايين من العرب المثقفين المتعطشين الى الحرية والكرامة والحياة الافضل. وهؤلاء يرفضون ان تتحدد مصائرهم على يد دكتاتوريين شبه أميين غالباً، وهم مستعدون للكفاح من اجل نظام حكم افضل. وفي هذا الكفاح والصراع يجب ان يقف الغرب الى جانبهم. ليس هناك صدام حضارات. ان الحضارتين الغربية والاسلامية تقفان في الجانب ذاته في صراع عالمي ضد التخلف والاستبداد والارهاب.

الحجاز.. مجلة متميزة

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن www.tuwaa.com

■ هناك مفاجأة لقراء طوى، فقد ولدت مجلة جديدة بإسم الحجاز، وقد صدر منها عددان، والمجلة فيما يبدو (ورقية) ولكنها توجد على الموقع التالي: http://www.alhijazi.org والمجلة رصينة وقوية وتحليلاتها عميقة ومفيدة فيما يتعلق بالشأن السعودي.

* * *

■ لماذا الاسم مناطقي؟

* * *

■ وهل هناك إسم غير مناطقي؟ سؤال مهم، وهذه هي أزمة السعودية، نصف القارة! انظر الى الجرائد والمجلات السعودية، فستجدها في الجملة تشير الى أسماء مناطقية: الرياض - المدينة - عكاظ - الندوة - اليمامة - أم القرى - الأحساء - دارين - نجران - تجارة الشرقية - تجارة الرياض الخ. وهناك مجلات أكثر ضيقاً من المنطقة أي مشخصنة مثل: الفيصل، الدارة وغيرهما. الغريب أن الرقابة تمنع عدداً من المجلات والدوريات بحجة أنها تشير الى منطقة مثل دورية (الواحة) التي يكتب فيها نخبة من ألمع الكتاب في الشرقية. فإما نختار أسماء عامّة وإلا فحرف الباء يجرّ هنا وهناك!

* * *

من الواضح أنها مجلة مغرضة مصنوعة في كواليس أجنبية، ولا تمت الى ثقافتنا بصله. يحاولون أن يصنعوا مناطقية على مقاساتهم، ولكن الله يأبى. لو كتبوا ملايين الصفحات، فالحجاز ونجد والشرقية بلد واحد منذ العصور السحيقة، والدليل هو القبائل وامتداداتها. فنحن شعب (قبائلي) وليس (مناطقياً) وكلاهما سيء. ولكن هؤلاء يكرهون ذكر القبائلية والحقيقة البشرية، لانهم في الاصل لا يعترفون بالسكان المحليين ولا بقبائلهم ولا ريفهم ولا يرون في الحجاز الا منطقة مقدسة لا يسكنها الا رعاع لا يستحقون التنبه الى جذورهم وامتداداتهم ونسيجهم.

* * *

■ يكفي ضرباً تحت الحزام. تقول الافتتاحية في نهايتها: (واذا كانت المجلة قد قررت الانضمام الى قائمة الاصدارات الاعلامية في الخارج فإنها لن تحيد عن ثوابتها في الالتزام بالوحدة الوطنية والاجماع الوطني ونبذ كافة اشكال التفرقة والتطرف والعصبية سواء على قاعدة دينية او قبلية او مناطقية، وستؤكد دائماً على مبدأ التعايش وحق كافة الجماعات في التعبير عن ذاتها ثقافياً وسياسياً واجتماعياً دون إحالة هذا الحق الى سلاح للتعريض بالوحدة الوطنية).

* * *

■ أم أن اسم الحجاز لا يعجب الكثيرين؟

* * *

■ فائدة: أول مطبعة تأسست بمكة أسسها المشير المرحوم "عثمان نوري باشا" على عهد إمارة المرحوم "الشريف عون الرفيق"، كانت تصدر في كل سنة ما يسمى "السالنامة" ينشر فيها كل ما يتعلق بأعمال الحكومة العثمانية في ذلك العهد، وبالأخص ما يتعلق الحجاز، وبعد أن أعلنت المشروطية والحرية وتأسيس الدستور، أخذ جماعة من موظفي الإدارة التركية يصدرون جريدة باسم "الحجاز" صدرت إسبوعيا باللغتين العربية والتركية، ولم تكن لغتها العربية مستساغة، فقد كان ما يكتب بها كلمات عربية بصيغة تركية وهو أمر طبيعي، فإن المهيمنين عليها والقائمين بالتحرير فيها ليسوا إلا موظفي الإدارة التركية، ثم عنّ لبعض من اعتنق مبادىء "حزب الاتحاد والترقي" إنشاء صحيفة سميت "شمس الحقيقة" للدعاية للحزب، ولفت نظر الاهالي إلى شعاراته "حريت/ عدالت/ مساوات" ولكنها لم تدم طويلاً، فقد كان "الشريف الحسين بن علي" أمير مكة، إذ ذاك، رحمه الله، لها بالمرصاد. ولما كانت الحالة الفكرية والثقافية الأدبية ذات اتجاه آخر، لم يسبب إغلاقها ضجة تذكر، فحلقات الدرس في المسجد الحرام كانت متجهة إلى العلوم الدينية والفقهية، وكان أغلب من يحضرها المهاجرون والمجاورون بمكة لهذه الغاية، اللهم إلا بعض أفراد من المكيين، والنادر منهم من يكون عنده إلمام بعلوم الأدب والكتابة ودراستها، على أن الطاغي على الأسلوب في النثر كان السجع وفي الشعر عند من يتعاطاه، وما أقلهم، الإفراط في التزام المحسنات البديعية، ولم تكن سوى مدرسة واحدة نشأت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري هي "المدرسة الصولتية" لم تخرج عن أوضاع الدراسة في المسجد الحرام، والمدرسة التي كانت تسمى "بالمدرسة الرشيدية"، كانت تركية لحماً ودماً. ومن الغريب أن النحو العربي كان يعلم فيها باللغة التركية. والصحافة كما هو معلوم لا تنشأ ولا تروج إلا بين جمهور قارىء، والحال إلى العقد الثالث من القرن الرابع عشر لم يكن الجمهور في مكة كذلك، لهذا لم تجد الصحف والمجلات سبيلا ومجالاً، وظلت صحيفة "حجاز" هي الصحيفة الوحيدة التي تصدر اسبوعياً إلى زمن ثورة "الشريف الحسين بن علي". ولما ثار "الشريف الحسين" وبحكم الحاجة والضرورة، أنشأ صحيفة دعاها "القبلة" وظلت تصدر إلى أن استولى جيش الحكومة الحاضرة عام ١٣٤٣هـ على مكة فغير إسمها الى (أم القرى). إلا أنه عندما اعتدت حكومة فرنسا على حكومة "الملك فيصل بن الحسين" بدمشق، وقدم مكة المرحوم "عمر شاكر" صاحب جريدة "الفلاح" من دمشق أعاد إصدار جريدته بمكة، ولكنها لم تعمر طويلا، ومات المشار إليه بعد ذلك في حادث سقوط طائرة. وعند حلول "جلالة المرحوم الملك عبد العزيز" بمكة في أواسط عام ١٣٤٣هـ صدرت بمكة صحيفة دعيت "أم القرى" صدرت لتواجه جريدة "بريد الحجاز" التي أصدرتها حكومة "الملك علي بن الحسين" بجدة للدعاية ضد الاستيلاء النجدي على البلاد، وظلت تصدر إلى اليوم لكنها انكمشت وصارت

تصدر أسبوعيا مقصور ما ينشر فيها على المراسيم الحكومية وبعض الإعلانات.
وفي عام ١٣٤٧هـ أصدرت شعبة النشر التابعة لمديرية المعارف مجلة باسم "الإصلاح"، لم تعمر، وكانت مجلة دينية. وفي عام ١٣٥٠هـ صدرت جريدة "صوت الحجاز" ودام صدورها بضع سنوات، ثم توقفت عند نشوب الحرب العالمية الثانية، ثم عادت للصدور باسم "البلاد السعودية"، وظلت تصدر بمكة، ثم في التغيرات الأخيرة التي تمت في شؤون الصحافة، صارت تصدر باسم "صحيفة البلاد"، ونقلت إدارتها إلى "جدة". وقد ظهرت بمكة صحف ومجلات لم تعمر طويلاً فكانت كفقاقيع الماء والصحيفة الوحيدة التي ظلت تصدر إلى اليوم هي صحيفة "الندوة". وللاستاذ "محمد سعيد العامودي" كتيب أسماه "من تاريخنا"، ذكر فيه نبذاً عن تاريخ الصحافة، كما صدر كتاب "الصحافة في الحجاز" للدكتور "محمد عبد الرحمن الشامخ"، يرجع إليه من شاء التوسع في الإطلاع.

* * *

▪ قد نجد العذر لأسماء صحف ومجلات (قديمة) تهتم كل منها بمنطقتها وأخبارها.. ككل دول العالم. لكن ما يستغرب هو أن مشروعاً يمكن أن يكون إصلاحياً للوطن وباسم الوطن ولكل أبناء الوطن يحمل اسم منطقة معينة (بغض النظر عن الحجاز أو غيره).. هذا ما يترك علامة استفهام مقلقلة.

* * *

▪ وهل ألغي إسمي؟ أطالب بالغاء مسميات جريدة الرياض ومجلة اليمامة.

* * *

▪ بغض النظر عن رأيي في المجلة، وبعيدا عن مضمونها.. سأرد لأن قيئ أحدهم أثارني كما أنه لا بد أن يثير كل انسان سوي.. ها قد أفصحت عما يختلج في نفسك أيها الأعرابي المتعصب. هكذا إذا أنت، لا تختلف قيد أنملة عن الوهابيين وطريقة تفسيرهم للأمور، وأطماعهم في الأراضي المقدسة. وهذا ما يفسر دفاعك المستميت عن الوهابية، وحقدك الفظيع على كل ما هو غير نجدي، وتدليسك للتاريخ والاعتماد في قراءتك له على قراءات ممسوخة وغير نزيهة، وهو ما يفسر كذلك بذاءتك الأخيرة أعلاه على أبناء منطقة وفئة كاملة كان لها النصيب الأكبر والأهم في ما أنت فيه. ألا سحقا لمن لازال يعيش في القرن الواحد العشرين بعقلية الغازي والمستعمر والمغتصب. وسحقا لمن يرى في مخالفي الأيدلوجيا السائدة من أبناء الحجاز والشرقية كل أوصاف الدناءة المستمدة من منطقتهم، بينما لا نسمع الرأي ذاته حينما تكون المعارضة (الفكرية أو السياسية) نجدية وهي الرائدة.

* * *

▪ لا أعتقد أننا كنا بلدا واحدا في القدم.. لا سياسيا ولا إنسانيا.. و اليوم نحن وطن موحد سياسيا.. و لكن ليس إنسانيا!

* * *

▪ وهل يأخذ من هذا المدلس بيان؟! ألا يكفي أن الرجل يقول أن الحجاز ملك لأهل نجد وأنهم هم سكانها الأصليين، ويجرد أهل الحجاز من حق الانتماء المطلق لمنطقتهم، وينعتهم بالرعاع! أي تدليس أشد من هذا التدليس الساذج ؟!

* * *

▪ لا أدري من هم القائمون على تلك المجلة، وكيفية الاتصال بهم. إن كنت تعرف، أتمنى أن تخبرني بذلك، لأني اكتشفت أن المجلة قامت بالاستعانة باثنين من مواضيعي نشرت بطوى دون ذكر المصدر، أو حفظ الحقوق الأدبية.

* * *

▪ تقول: أن القائمين عليها يؤكدون الالتزام بالوحدة الوطنية والاجماع الوطني ونبذ كافة اشكال التفرقة والتطرف والعصبية سواء على قاعدة دينية او قبلية او (مناطقية). وهل ننتظر منهم الإعتراف بالهدف الحقيقي؟ وكيف تفسر نبذ المناطقية والتفرقة مع هذه العناوين: الحجاز السياسي، الصحافة السعودية، قضايا الحجاز، تراث الحجاز، تاريخ الحجاز، جغرافيا الحجاز، أعلام الحجاز، الحرمان الشريفان، مساجد الحجاز، آثار الحجاز، صور الحجاز؟
هل الوطن هو الحجاز فقط ؟
أما الصحف الحالية فهي تحمل أسماء مدن وليس مناطق وفي هذا فرق.

* * *

▪ لقد ذكرت بأن مداخلتي ستكون في معزل عن موقفي من المجلة. وأنا لا أدافع عن المجلة بل أنا ساخط عليها لأنها استعانت بمواضيع لي دون نسبتها، انما أنا أدافع عن شخصيتي وهويتي الحجازية والتي يحاول البعض تجريدي وأهلي منها، وينعتنا بالرعاع مقابل انتصاره لأفكار فئوية متعصبة وتاريخ مدلس غير نزيه، ثم يتبجح بعد ذلك بالوطنية وقمع الفئوية. وأنا إذ كنت ضد "تنجيد" الوطن و"توهيب" الدين، فإني لا آخذ موقفي ذلك كرها لأهل نجد الكرام أو ضيقا بوجود الدعوة الوهابية، بل أفعل ذلك مدفوعا بحب الوطن وخشية تقسيمه. فأنا في الوقت ذاته ضد "تحجيز" أو "تقطيف" الوطن، وضد "تصويف" أو "تشييع" الدين في هذا الوطن، نعم أنا ضد تسويد الوطن بثقافة مناطقية واحدة ومذهب واحد أياً كانت تلك الثقافة وكان ذلك المذهب.
وهذا لعمري هو مربط الفرس.
أما أؤلئك الذين يرغبون وبشدة تعميم النموذجين النجدي والوهابي على كافة مناطق المملكة، ويعتبرون ذلك التوجه حرصا منهم على الوحدة الوطنية، فإنما هم كاذبون منافقون؛ يريدون تمرير أفكارهم الرجعية السادية المتعصبة تحت ستار الوطنية، بينما هم في حقيقة الأمر أكثر من "يحقد" على هذا الوطن، وأكثر من "يخون" قضية الوحدة الوطنية.

* * *

▪ هل كل مجلة لها رأي مختلف تكون مجلة مغرضة؟ وما هو دليلك على أنها صنعت في كواليس أجنبية؟ خاصة وأننا مثلك قرأنا ما قرأت ولم يأتنا بعد وحي كالذي أتاك؟ وما هي هذه الـ (ثقافتنا) وانتبه الى (نا) التي لا تمت لها المجلة بصلة؟ هل عندك تعريف خاص للثقافة وهل هناك شيء إسمه ثقافة سعودية مثلاً، أم ماذا. أفتنا مأجوراً؟
أما أن المجلة مناطقية، فمواضيعها العامة تغلب مواضيعها المناطقية، وكثير مما عندنا له هذه الخاصية. قرأت مقالاً في جريدة الرياض لا أعلم متى حول تأسيس مركز لـ (الوهابية) في (دارة الملك عبد العزيز)! فهل هذا هو (ثقافتنا) التي تتحدث عنها؟ أردت ذم المناطقية وذهبت الى أسوأ منها حين مجدت دون أن تشعر (القبائلية). مشكلة المملكة هي أن لا أحد له حق في أن يتحدث عن منطقته إلا نجد. وإذا ما فعل اتهم بأنه مناطقي. وأنا إذ أسوق هذا القول لي تجربة شخصية لا أريد إذاعتها وأتركها بتفاصيلها الى يوم ما فهي موثقة لدي أيما توثيق.
أنت يا أخي تتحدث عن نجد حين تقول بأننا شعب قبائلي.. أنت لا تعرف حجم المدن والمناطق التي لا تقدم القبيلة على غيرها من الإنتماءات الأخرى.. تصور نفسك من أهل مكة أو القطيف أو الهفوف وسألت احدهم من أي قبيلة أنت؟ على الأرجح سيقول لا أعرف. لا لإنه لا ينتمي الى قبيلة بل لأن الموضوع لا يهمه من قريب أو بعيد. الإنتماءات القبلية حاضرة في نجد والجنوب لأسباب معروفة، أما إذا ذهبت الى القاهرة أو دمشق أو بغداد وسألت السكان عن أصولهم القبلية فإنك لن تلق إلا النادر الذي يتحدث عنها، وذلك لغلبة إنتماءات أوسع أخرى: وطنية ومناطقية. حتى المناطقية أوسع من القبلية وأرشد منها. بالمختصر المفيد أنت يا أخي تتحدث وكأن السعودية كلها قبائل مثلما يفعل بعض الباحثين الغربيين الذين يقولون كل السعودية وهابية وكلهم يركبون جمال وكلهم رعاة إبل وكلهم قبليون. وهذا من الجهل، خاصة إذا جاء من مواطن من المملكة. هذا الموضوع يقرأ على خلفية (الإقامة والتحضر) والتحضر يقصد به الإستيطان في الأساس وليس الإنتماء الى حضارة بالمعنى اللغوي.
المهم.. يحق للمواطن أياً كان أن يعبر عن ثقافته الخاصة في البوتقة الوطنية. وهذا ما فعلته مجلة الحجاز، التي آمل ان لا يحجبها الحاجبون بسرعة! ولكني أعلم أن هناك أناساً يموتون بغيظهم إذا ما ذكر في المملكة غيرهم، وإذا ما ظهر صوت لمجتمع غير مجتمعهم الخاص؟ والحجاز واحد من تلك المجتمعات، وكذلك مجتمع الشمال والجنوب. وإذا أردتم الخوض في هذا الموضوع خضنا فيه.

* * *

▪ سلمت عزيزي، قلماً راقياً ولساناً عفّاً. هوّن عليك، فالحجاز اكبر من أن يبتلع، أو تهضمه معدة طائفية أو مناطقية.. حول مواضيعك.. لاحظت فعلاً أن المجلة استعانت ببعضها، وهذا تعبير عن قيمتها، والا لو كانت تافهة ما نشرت في الأساس. اما حفظ الحقوق فأظن أن مجلة لم يظهر لها عنوان أو تلفون أو أسماء ولم تضع إسماً على مقالاتها لا يمكن أن تكتب على بعضها إسماً (مستعاراً) مثل إسمك يا عزيزي ماس. لقد اشارت المجلة الى موقع طوى فيما أظن فيما يتعلق بأحد الموضوعات بعد أن شذبته بمهارة صحافية راقية. وأقترح ان ننتظر بعض الوقت حتى نحصل على عنوان المجلة أو الموقع

لمراسلتهم.

* * *

■ فعلاً الوطن ليس الحجاز فحسب. والأكثر صحة وانطباقاً: الوطن ليس نجداً فحسب، والدين ليس الوهابية فحسب. هناك مناطق تحاول ان تعبر عن صوت في فضاء وطني وهذا لا يجب التحسس منه. لأن الحكومة عندنا تمنع تعبيراً كهذا في الداخل فإننا سنجده على الإنترنت وورقياً خارج الحدود. لا أجد غضاضة ان تكون عناوين الأبواب لها صلة بالحجاز، فالأخير على أية حال أكثر قداسة من أية منطقة أخرى. وهو في عيون أهله أكثر أهمية، وفوق هذا لم تكن المجلة إقصائية فيما يبدو، فالتأكيد على كلمة الحجاز لا يجب أن تثير لدينا تلك الحساسيات. خاصة وأننا نقرأ ونرى في كل مكان: إسم نجد.

* * *

■ من حقك الإستفهام حول أن المشروع الوطني الإصلاحي يجب أن يختار إسماً جامعاً. ولكن المجلة حسب فهمي لافتتاحيتها وقراءة موضوعاتها لا تعتبر نفسها متحدثة باسم الوطن كله، وكأنها تريد أن تقول بأن الحجازيين الذين لهم هذه الثقافة الخاصة يرون الإصلاح السياسي على هذا النحو. والمشكل في المملكة أن بؤرة إصلاحية وطنية لم تظهر بعد. فكل من يتحدث يعبر عن منطقته حتى وإن وضع يافطة وطنية. لا يستطيع الحجازي ولا الشيعي في الشرقية ولا المسعري أو الفقيه أو أي معارض نجدي أو طالب إصلاح إلا أن يتأثر بثقافته الخاصة، ولو أن بؤرة وطنية ظهرت من كل المناطق وعبرت عن كل الإتجاهات لكان الأمر مختلفاً، ولكانت وسيلة التعبير مختلفة أو عنوانها على الأقل. في غير هذه الحالة: كل يكتب عن الإصلاح من زاويته وحسب فهمه.

* * *

■ كم والله أشعر بالألم واللوعة ونحن نجد هذه التفرقة بين أبناء وطن واحد. سواء كانت تفرقة دينية مذهبية او عنصرية او قبلية او مناطقية. لن ادخل في نقاش حول ذلك فالجميع هنا يعرف فكري وتوجهي. نحن جميعا أبناء وطن واحد يضمنا الولاء والإنتماء له بغض النظر عن كل ما ذكر أعلاه من انواع التفرقة.

* * *

■ ما عهدي بك هذا ان تقول اذا أردتم الخوض في هذا الموضوع خضنا فيه. لا والف لا.. كلنا في قارب واحد العنصرية وحل مستنقع ملئ بالافاعي السامة. نعم للحمة وطنية في كل الاتجهات.

* * *

■ العبرة بالمضامين لا بالمسميات.. تخيلوا الآتي: مجلة الوطن، وكل ما فيها تمجيد لنجد، أو الحجاز وهلمجرا.. وعلى أي حال لا ضير في التسمية، إذ أننا في الأساس نتاج المناطقية، ونمت فينا الروح الوطنية مع الزمن. بإختصار: لا نطير بالعجة.

* * *

هو غاضب لأنني ذممت مجلته المزعومة الممتازة، الفكرية، الرصينة التي تتصدر صفحاتها مواضيعه العبقرية. وهو يحاول أن يعطي الانطباع أنني قلت عن الحجاز انهم رعاع، بينما قلت أنه هو وأمثاله وأصحاب المجلة يرون أهل الحجاز رعاعاً لا يستحقون التقدير. ويحاول أن يوهم القاريء أنني أعني بالقبيلة "مجرد النسب والعرق" بينما كنت أعني تلك المؤسسة العرقية التي صاحبت الإنسان العربي في مهده عبر التاريخ.. ولم يقارعها و يحد من احتداداتها الا الدولة السعودية الحديثة. أدعو أعزائي القراء إلى التمعن بمحتوى المجلة المزعومة، وسيرون أنني لم أظلم أحدا، فهي مغرضة، لم يكتب فيها قلم حجازي واحد. واسألوا الأخ الذي طرح الموضوع للنقاش وبإلحاح، فقد يكون لديه خبراً عن منشئها. اليوم مجلة الحجاز، وغداً مجلة القويعية، وبعدها مجلة شمر التقدمية الديموقراطية الشعبية.

* * *

■ سؤالي هو: ماذا عن مجلة "نجدية" تصدر وتُطبع من الرياض ومرخصة من وزارة الاعلام؟ إذهب لشراء أي عدد منها، وانظر كيف تكرّس هذه المجلة "الاقليمية" حسب عنوانها؟أنا حجازي يا سيّدي ومن أرومة تعانق السماء، ولا يهمني في كثير أو قليل ظهور ألف نوع من المجلات، فهي لا تبرزني. ما يبرزني هو موروثي وما يدلّ عليه، وسلوكي كفرد من مجموعة، وما يعوّل عليه. وكل مجتمع تخلده حضارته.. ذاكرة التأريخ ليست قصيرة، ولا تتوقف عند رأي بمجلة. أحب تراب الوطن يا سيدي من خرخيره لعرعره! واختلف مع الوطن، وأعتب عليه وأحنق منه. ولكن نحنُ كعصافير في هذا العش، لا يسعنا "التوسيخ" فيه. احترام الآخرين لنا نابعٌ من نبذ اختلافنا، و إلا لن يحترمنا الغير. وهذه المجلة لن تضيف للحجاز العظيم شيئاً، ولن تنقص من قدر الشقيقات العظيمة الاخرى بالمملكة شيئاً!

* * *

■ بخصوص سؤالك عن مجلة نجدية.. فالخطأ يا عزيزي لا يبرر الخطأ. ولعلمك هذه أول مرة أعلم أن هناك مجلة بهذا الإسم (نجديّة).

* * *

■ ما قصدته بالخوض في الموضوع ليس بمعناه السلبي، وإنما بالدخول في تفاصيل مناقشته. أي أنني على استعداد للخوض في الموضوع لا في الوحل العنصري.. اللهم إلا إذا كان الموضوع من أساسه وحلاً، وهذا أمرٌ آخر قد نتفق أو نختلف بشأنه. أنا معك مائة بالمائة فالعنصرية كما ذكرت عزيزي وحل مستنقع مليء بالأفاعي السامة.. ونعم ألف نعم للحمة الوطنية.

* * *

■ هناك توضيح بسيط، فقد نقلت الموضوع الى المنتدى قبل أن أكمل قراءة مواضيع المجلة.. وهناك أصوات تشير إليّ بأنه قد يكون لديّ معلومات عن القائمين عليها. وأود هنا أن أقول بأنني سمعتُ عنها ـ لأنني أعيش في الخارج ـ من الألسن والهاتف قبل أن تصلني البارحة ورقياً. وقد استلمت عنوانها قبل ذاك على النت فوضعتها في المنتدى. أنا لا أعلن براءتي من المجلة، ففيها ما هو مفيد وما هو غير مفيد. ولكني أقيمها حرفياً ومهنياً وسياسياً بغض النظر عن إسمها، وبغض النظر عن أسماء القائمين عليها، والذين لا أعرفهم. ولو عرفتهم فإني أشك بأني سأطلعكم عليهم طالما هم لم يرغبوا في ذلك في الأساس، حيث لم يضعوا إسماً ولا تلفوناً ولا عنواناً بريدياً حتى. أنا أعتقد بأن المجلة جيدة سياسياً وصحافياً.. اتفقنا معها أم اختلفنا، وكنت أتمنى لو أن نظام المطبوعات عندنا كانت لديه اللياقة لتقبل النشر في الداخل، إذن لاتسع هامش الحرية الصحافية وتخلصت المجلة (الحجاز) من قصورها. ولكن لأن نظام المطبوعات مغلق فسنرى الكثير من الأصوات الوطنية وغير الوطنية تتحدث من خارج الحدود، وهذا لا يعني عمالة وإنما ضيقاً من أصحاب الرأي والمصالح بالكبت.

* * *

■ جزيرة العرب لم تكن وطنا واحدا.. لان طبيعة الحياة والبيئة لم تكن لتسمح بترف الأوطان والممالك. كانت جزيرة العرب، بلد القبيلة العربية، ولا يمكن ان يدحض هذه الحقيقة أي داحض ولا باحث. جزيرة العرب هي مهد العرب، ولم يسكنها او يسيطر عليها أو يحكمها الا قبائلها (عدا شوارد قصيرة لا تحسب بميزان التاريخ). لم تتوحد جزيرة العرب سياسيا الا في عهدنا هذا. ولكنها كانت متوحدة دائما عرقيا وثقافيا. فسكانها كانوا هم العرب فقط: عدنان وقحطان (كانت هناك أقليات صغيرة جدا كالاحباش مثلا) ووحدتهم الثقافة. يكفي أن نذكر اللغة العربية التي يتكلمها أهلها والتي وصلت الى حد عظيم من التطور. ويكفي أن أذكر المعلقات السبع، أو العشر، والتي كانت تعلق على الكعبة لشعراء كلهم من نجد ومن المنطقة الشرقية بالتحديد. مالذي جلب إبداع هؤلاء الشعراء الى مكة اذا لم تكن هناك ذائقة ولغة وثقافة واحدة.

* * *

■ فيما يتعلق بمجلة الـ (نجدية) أقول: أنا لا أعارض أن تسمى مجلة بإسم الحجاز أو غيره من المناطق.. ولكن الاعتراض على المحتوى. هل ترى في محتوى هذه المجلة ما يبشر بخير. هل تذكر مجلة اسمها "صوت الطليعة" كان يصدرها البعث العراقي ومجلة أخرى اسمها صوت الحجاز الحر تصدرها جهة اخرى؟.هذه المجلة لا تختلف عنهم. هل رأيت في هذه المجلة غير لغة التحريض والانتهازية؟ أوافقك أيها العزيز: هذه المجلة لن تضيف الى الحجاز العظيم شيئا، ولا شروى نقير.

* * *

■ تقول المجلة: (في بداية عهد الحجاز تحت الإحتلال السعودي.. رغم مرور ما يقرب من ثمانين عاماً على احتلال الحجاز وإنهائه كدولة مستقلة معترف بها على يد القوات النجدية). لا يهم اسمها: الحجاز أو الانجاز، ولكن هل هذا المحتوى العفن الآسن مقبول؟ هل مقبول أن يقال: الاحتلال السعودي؟!

* * *

■ أنا لا أطالبك بتأييد أو رفض المجلة ومحتوى معظمها إن شئت.. ولكن إسمح لي أن أختلف معك في شيء واحد وهو أن المجلة لا تختلف عن هذه وتلك إلا بمواضيع فلان. واسمح لي أن أختلف

معك في (بعض) ما تقول. فمجلة (صوت الطليعة) التي ذكرتها والتي كان يصدرها البعثيون السعوديون، مجلة راقية، وأظنها من أرقى ما صدر عن المعارضة السعودية في بحوثها الإقتصادية والتاريخية. لا تنس إن كان يوجد لديك شيء من أعدادها أن تراقب بحوثها (أكرر بحوثها) والأدب الراقي من شعر وغيره. أنا لستُ بعثياً سياسياً ولم أعاصر تلك المرحلة إلا في أواخرها، ولكن مجلة (صوت الطليعة) وكذلك مجلة (الجزيرة العربية) هما أفضل ما صدر عن المعارضة السعودية بغض النظر عن موقفك من أصل المعارضة ضد النظام.

أيضاً فإن من بخس الناس أشياءهم القول بأن مجلة (الحجاز) لا شيء فيها ذو قيمة. فهذه المجلة تضاهي المجلتين آنفتي الذكر، وأرجوك أن تقرأ التحليلات بعد أن ترفع النظارة السوداء عن عينيك. أنا لا أعتب عليك رفضك للمجلة من إسمها الى أخمص قدميها. العتب فقط هو حول ما إذا كانت المجلة (الحجاز) أو غيرها لا قيمة لها، أو لا تقدم شيئاً جديداً وإن اختلفنا بشأنه. إن الرفض المطلق كالتأييد المطلق، أعمى ومضلّ. نحن نريد أن لا نكون من جماعة سم طال عمرك، ولا نريد أن نتهافت مع أي ناعق ضد النظام. النظام له حسناته وسيئاته، وكلما كنا أقرب الى العقل والمنطق، كلما كنّا أقرب الى (التقوى): ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب الى التقوى. نحن نريد أن نستخدم عقولنا في رفض الشيء أو قبوله، ولا نريد أن نرفض أو نؤيد بالجملة، فهذا هو الذي أورد بلادنا المهالك. كان الأولى بك ان تجرد سلبيات المجلة في قائمة وإيجابياتها في قائمة أخرى. أو تجرد واحدة من القائمتين وتقول هذه ملاحظاتي على المواضيع وعلى التحليلات وعلى الأخبار وعلى المنحى السياسي، وعلى الإسم وعلى كذا وكذا. إن فعلت ذلك فأنا أول من يؤيدك في اعتراضاتك المفصلة أو الموضحة برؤوس النقاط.

* * *

■ فعلاً كلمة (احتلال سعودي) قاسية. وذوقنا اليوم كمواطنين صار ينظر الى هذه الكلمة بشيء من البشاعة، مع أن الكلمة في زمن ما سابق كانت تستخدم بشكل اعتيادي وطبيعي. لكني احترت فعلاً وأنا أقرأ اعتراضك في توصيف العملية العسكرية التي أدت الى إنهاء دولة الحجاز. في كتب التاريخ المدرسي القديمة كانت تسمى احتلالاً، ثم جرى تسميتها بالإستيلاء، فيقال استولى المغفور له الملك عبد العزيز على الحجاز. كلمة (الغزو) العسكري استخدمت سابقاً وبصورة قليلة، خلافاً لما كان عليه الأمر في الدولتين السعودية والثانية، حيث يؤرخ المؤرخون (ابن بشر وغيره) الأحداث بجملة معتادة: غزا المسلمون بلدة كذا، أو مدينة كذا، وقطعوا النخيل وفعلوا كذا، وقتل من المسلمين كذا، ومن المشركين كذا.. لا يخفى أن الفوارق بين استخدام: الغزو العسكري، والإحتلال العسكري، والإستيلاء العسكري، تكاد تكون متقاربة، ومن هنا فإن توصيف ما جرى في الحجاز يصعب إبعاده عمّا في أذهاننا، خاصة وأنه جاء عبر القوة العسكرية والمذابح (تربة والطائف) وعبر الحصار لجدة والمدينة المنورة مدة تقرب من العامين. والآن لو قلت لك أيها الأخ: ماذا تفضل أن تستخدم؟ فإنك ستجد نفسك في حيرة وورطة، فنحن نريد أن نبتعد عن إرث الماضي والتركيز على المستقبل. وحتى لو استخدمنا كلمة (توحيد) المملكة فإن ذلك لا يعبر بالدقة عن توصيف حدث إنهاء الحجاز وضمه. في اللغة الإنجليزية لا يراعى هذا التباين، فهم يعتبرون ما جرى إحتلالا عسكرياً، واستيلاءً عسكرياً، وغزواً عسكرياً. والإنتقاء بين الألفاظ مسألة مقبولة لديهم ولا تثير اعتراضاً.

ولكن يبدو لي أن ما اشتكى منه الأخ ليس الكلمة (احتلال سعودي) بل الإطار الذي وضعت فيه، والنتيجة التي توصل اليها المقال.

* * *

■ سأبدأ بمجلة الحجاز المزعومة. قد أكون كل شيء إلا التحجر والمغالاة والانغلاق. ولا يمكن أن يجرني مجرد إسم الى الرفض. أنا يا سيدي أرى أن اللعب بالوحدة الوطنية من أكبر الجرائم التي يمكن أن يرتكبها "ابن لجزيرة العرب" فهل ترى في وصف توحيد البلاد (بالاحتلال) بشرى ثقافية عالية القيمة؟ لا تقل أن ابن بشر قال استيلاء او قال مفردة أخرى. فابن بشر ابن بيئة شفاهية فقيرة بالمفردات والمصطلحات. ولا يصح أن نسحب مفرداته على حياتنا الحاضرة. هل من حسن النية وعلو الثقافة وسعة الوعي أن نقول أن التوحيد كان احتلالا نجدياً؟ هل ترى أن توحيد الجزيرة في زمن الراشدين كان احتلالا حجازيا؟ هل كان توحيد سوريا احتلالا دمشقياً (منطقة حلب كانت دولة مستقلة)؟ هل توحيد اليمن كان احتلالا صنعانياً؟ ألا يكفي وصف التوحيد بالاحتلال لكي ارفض المجلة جملة وتفصيلا؟ فيما يتعلق بـ "سم طال عمرك".. لم يحدث، ولن يحدث أن أقول ذلك على ورقة بيضاء لأي أمير او مسؤول.. فالمسألة أكبر من ذلك. فهي تتعلق بوطن لن يرحمنا أحفادنا اذا تهاونا بوحدته وبقائه. ان المعارضة الحرة والهادفة هي تلك التي تقرأ الوطن جيدا والتي تستند على انتاج فكري وبحثي، وعلى رصيد عميق من الرصد المتواصل لكل دقائق الوطن وتحولاته وانعطافاته.. وأن تحدد خياراتها بعين يقظة تستهدف الشعب وخياراته.. لا الاعتماد على أحداث الاقليم او الاطماع الدولية، وانتهاز مساراتها فحسب. فيما يتعلق بمجلة صوت الطليعة وغيرها: أنا شخصيا لا أرى في الفكر البعثي إلا فكراً فاشيستياً سقيماً، وهذه المجلات التي كانت تصدر وتطبع في العراق، لم تكن الا حرباً إعلامية ضد السعودية.. مثلها مثل برنامج " المملكة الدموية" الذي كان يبث من إذاعة بغداد. وهل تعتقد أن البعث العراقي كان يبذل هذه الجهود من أجل سواد عيون شعب الجزيرة العربية؟ لكي أكون على مستوى دماثة خلقك ورقي طرحك، سوف أعود فيما بعد لكي افصل اعتراضي على المجلة المذكورة. شاكرا لك حوارك الراقي. ويا ليتك تخلع النظارة الرمادية.

* * *

وهل أنا إلا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي.

فلعلي مثل كثيرين يلبسون النظارات السوداء والرمادية وهم لا يشعرون. يهمني من ردك نقطتان: الأولى هي أننا مطالبون بنقد المحتوى لا نقد النيات. لا أنا ولا أنت نختلف حول أن النظام العراقي كان يمول المعارضة البعثية في المملكة، ولازال حتى اليوم هناك قيادات سعودية بعثية تعيش في العراق. أنا وأنت نعرف الأهداف السياسية وراء هذا النوع من العمل، وهو عمل تقوم به الدول وفي مقدمتها المملكة نفسها، فهي تستضيف المعارضة العراقية منذ ثورة رشيد عالي الكيلاني! ولا يخفى أنه حتى قبل بضعة أشهر كانت هناك إذاعة تنطلق من جدة موجهة الى العراق وضد نظام صدام حسين، بعد استمرار دام أكثر من عقد. لا يجب أن نقول بأن كل ما تنشره الإذاعة من جدة باطلاً لأن هناك أهدافاً سياسية لدى المملكة من ورائها، كما لا يجب أن ننظر الى صوت الطليعة ونقول يكفينا انها ممولة من البعث العراقي. بل نقرأ وننقد آخذين بعين الإعتبار الجهات الدافعة لها إن وجدت.

الثانية استوقفني استنكارك في تشبيه فتح مكة في صدر الإسلام هل يسمى احتلالاً؟ وهذا تشبيه لم يزعمه إلا (الوهابيون) وأضع الإسم بين قوسين. فهم أول من شبه حركتهم الإخوانية بأنها تشبه حركة الرسول من حيث الهجرة (تذكر بناء الهجر) و (الجهاد) و (الفتح). وأظنك قد قرأت شيئاً كثيراً من هذا. وأنا هنا لا أقبل التشبيه: لا أقبل منطق (الفتح) مع أن هناك من وصف فعل الملك عبدالعزيز بأنه فتح الأحساء وفتح مكة وفتح الحجاز الخ. أنا متيقن بأن الأمر لا يعدو احتلالاً عسكرياً، أفضى الى قيام دولة موحدة نأمل لها بالدوام رغم إرث الماضي الثقيل الذي يضغط على نجد وعلى قيادة البلاد وعلى جميع مواطني المملكة. لا يختلف إثنان على حقيقة أن البلاد وحدت بالقوة، ولم تكن ناتجة عن رغبة. ولكن هل هذا التوصيف يبرر اليوم إثارة النعرات من أجل التقسيم؟ هذا غير مقبول.

أيضاً فإننا مطالبون كحكومة وكمواطنين في نفس الوقت بأن نوفر الوسائل لديمومة الوحدة، وأن نتلمس مواطن الوجع والخلل في الإدارة والسياسة والثقافة التي تبقي مسألة التوحيد السياسي وكأنها لاتزال فرضاً وليست رغبة. علينا فيما أعتقد أن نتساءل قبل ذم المجلة (الحجاز) لماذا تصدر بهذا الأسم، وما هي الأسباب العلاجية. هذا فيما أعتقد هو الأجدى.

* * *

■ أوافقك على كثير من النقاط هنا.. ولكن لي وقفات قصيرة. (الوهابيون) وأضعها بين قوسين لا يشبهون شيء بفتوحات الرسول. أما أنا فأشبه دخول الملك عبدالعزيز لمكة بفتح الرسول لمكة وكذلك دخوله الرياض. أنا أتحدث عن جزيرة العرب هنا، وليس عن الانبياء والرسالات. أتحدث عنها كبلد مجرد بعد انقطاع الوحي. من هنا.. فتوحيد الملك عبدالعزيز للجزيرة يعادل فتح مكة في المنظور السياسي الضيق لجزيرة العرب من الداخل. بل أن الحركة الاصلاحية (الوهابية) هي أشبه الحركات بحركة الرسول. ومفهوم الهجرة عند الحركة أنه أحد أعظم الاصلاحات الاجتماعية في تاريخ الجزيرة العربية. طبعا

كلامي هذا لا يعجب الوهابيين ولا الشيعة ولا حتى الهنود. ولكن جزيرة العرب تحكي عن نفسها أمامنا بلا نصوص. أوافقك القول بوجوب نقد المحتوى وترك النيات وهذا ما فعلت. واتفق معك تماما عندما تقول (أيضاً فإننا مطالبون كحكومة وكمواطنين في نفس الوقت بأن نوفر الوسائل لديمومة الوحدة، وأن نتلمس مواطن الوجع والخلل في الإدارة والسياسة).

* * *

▪ مجلة الحجاز هي مجرد اسم، ومحتواها يثبت أنها وطنية وضد العنصرية التي يحاول بعض السادة إلصاقها بها.

* * *

▪ تعليقي على الأستاذ الذي يعتقد أنه (بالمنظور السياسي) فإن توحيد الملك عبد العزيز للجزيرة العربية يعادل فتح مكة، وأن الحركة الوهابية أشبه الحركات بحركة الرسول.. تعليقي هو: لقد ذهبت بها عريضة كل العرض! سواء بالمنظور السياسي أو الديني. لا أظنّ أنك ستجد إلا قلة نادرة يمكن أن تدافع عما دافعت عنه. لا عجب إذن أن ينظر الوهابيون الى قياداتهم بالتقديس والى ما عندهم كأرفع وأرقى ما أنتجته البشرية من اجتهاد ديني. لا عجب إذن ولا غرو أن نجد الكثير من الأنبياء والمجتهدين الذين لم يبقوا مسلماً غيرهم إلا وكفروه وحطّوا من شأنه. ولا عجب بعدئذ إن تساوى محمد بن عبد الوهاب أو ابن سعود مع رسول الله، وفق المنظور السياسي للأخ.

يا أخي إحبب هوناً. الحركة الوهابية قذفت بما يقرب من ثلث سكان الجزيرة العربية وراء الحدود، ستجدهم في كل مكان من عالمنا القريب والبعيد. لا تقل لي الفقر والمجاعة والتصحر والحروب الداخلية، فهذه لها دورها، ولكن الهجرات الكبيرة، وهجرات العقول العلمية الدينية (بمن فيهم الحنابلة) لم تأت إلا على يد هذه الحركة الوهابية التي تقول أنها شبيهة بحركة الرسول. كل معارك الرسول لم يصل قتلاها الى الألف، وانظر الى ضحايا الوهابية. انظر التسامح في حركة الإسلام، وانظر التعصب عند هؤلاء. لا أريد المقارنة حتى لا نخرج عن الموضوع.

* * *

▪ لقد قلت أن الحركة هي أقرب الحركات شبها بحركة الرسول سياسيا وعسكريا.. و أنا اصر على ذلك للأسباب التالية:

- أنها حدثت في نفس البلاد و المواقع و الوديان (لم تحدث في الصين).

- أنها حدثت بين نفس الناس والقبائل والثقافة.

- أنها حدثت في نفس الظروف تقريبا ونفس النشاطات البشرية والاقتصادية. لعلك تعلم أن جزيرة العرب لم تتغير كثيراً عند نشوء الحركة عن طبيعتها قبل عشرة قرون.

- أنها وحدت معظم جزيرة العرب. لا تقديس يا أخي ولا هم يحزنون. فمحمد بن عبدالوهاب ليس الا "مطوع" لا تصل قامته الى ظفر قدم رسول الله. وليس هذا مجال حديثنا ومقارناتنا، ولكن الحركة بالمنظور السياسي حركة عظيمة، ليس في جزيرة العرب فقط، ولكن في كامل الوطن العربي برمته. بل أنها تعادل تأثير الثورة الفرنسية في أوروبا.

أقول ان الحركة لم تقذف أحداً خارج الجزيرة العربية لانها كانت حركة توسعية فأين تقذفهم؟ هل تقذفهم الى الشام مثلا او العراق، والحركة نفسها كانت تدق أبواب العراق والشام وحتى ديار بكر. نعم.. لقد استغلت القبائل العربية توسع الحركة للرحيل شمالا كعادة قبائل الجزيرة تاريخيا. فهل نعتبر استيطان القبائل العربية أيام الفتوحات الاسلامية في البلاد الأخرى نفيا لها وراء الحدود؟ قد يكون هناك هجرات فردية لا يعتد بها.. أما هجرات جماعية فهذا يحتاج الى دليل. فيما يتعلق بالقتلى في المعارك: اذا تجاوزنا مجزرة الطائف وقبل ذلك بمئة سنة كربلاء، فلن تجد الحركة ذات طابع دموي، ومع أن الحركة لم يكن يقودها نبي يوحى اليه، الا أنها كانت أقل دموية من صراعات جزيرة العرب المستديمة والسرمدية والتي تحالفت مع الجهل والمرض حتى كاد العرب في مهدهم أن ينقرضوا. بل أنها السبب الأول في لجم الصراعات والدماء والانعزالات. أنا هنا لا أدافع عن حركة دينية فيها ما فيها من التعصب، ولكنني أتناول حركة سياسية حدثت في بلادنا، أنتجها شعبنا، وتشكلت حسب ظروف وتجربة هذا الشعب، ولم تنشأ كنبتة شيطانية بلا جذور. لن ينفعنا أن ننظر للحركة بأحكام مسبقة جاهزة، ولا أن نحكم عليها أحكاماً مذهبية ضيقة، فهذا أبعد ما يكون عن العلم والتجرد.

* * *

▪ لم أكن راغباً في الدخول في هذا النقاش حول الحركة الوهابية، ولكن أخي يجبرني على ذلك بإثاراته الشديدة. أنت تقول التالي:

• إن الحركة الوهابية لم تقذف أحداً خارج الحدود لأنها حركة توسعية.

• أنت تستعيد هجرة القبائل بسبب الضغط الوهابي لتقارنها بهجرة القبائل أيام الفتوحات في صدر الإسلام، وقد كان ردي عليك دائماً كما هو هنا إن هناك إشكالاً في الأساس في أصل المقارنة وموضوعيتها.

• أنت يا أخي تحصر ضحايا الوهابية في مجزرة الطائف عام ١٩٢٤م وكربلاء عام ١٢١٦هـ.

• وأنت تهوّن من أخطائها بتبرير أنها جاءت بالأمن وأنهت الصراعات المستديمة التي كادت أن تفني العرب.

• وأنت تدافع عن حركة سياسية حدثت في (بلادنا).. لاحظ الجمع، وأنتجها (شعبنا) لاحظ الجمع أيضاً، وأنها بالتالي ليست نبتة شيطانية بلا جذور.

• وأخيراً انت قلت بأن لدي أحكاماً مسبقة مذهبية ضيقة.

حسن.. في موضوع الهجرة، أقول لك لا يوجد بلد خليجي ولا العراق ولا إيران ولا الشام ولا الهند ولا السودان ولا مصر إلا ويوجد به مواطنون من الجزيرة العربية إما شرّدوا في الهجمة الوهابية الأولى أو في فترة توحيد المملكة. الوثائق بهذا الشأن البريطانية وغيرها متوفرة، وكتب التاريخ ملئى إن لم يعجبك الوثائق، وذاكرة الناس ثقلى، وعلاقات إجتماعية لاتزال تربط بين المشردين أو أحفادهم بجذورهم في جزيرة العرب. وعلى الأقل أتمنى أن تكون منصفاً، وأرجوك رجاءً أن تعود لأهم كتابي تاريخ للحركة الوهابية: تاريخ نجد لابن بشر، وروضة الأفهام لابن غنام. ثم اقرأ كل كتب الحركة المؤيدة (وليست المعارضة) مثل كتابات الريحاني وحافظ وهبة وفؤاد حمزة وفيلبي وصلاح الدين المختار، ستجد نصوصاً ومعلومات يصعب حصرها في هذا الشأن. لن أرشدك الى كتاب لمع الشهاب، ولا إلى كتابات المستشرقين في هذا الشأن ولا كتب الأكاديميين المتعددة. صفة التوسع يا عزيزي هي التي تدفع بهذه المجاميع الى التشرد، وليس العكس. فيد الوهابية لم تكن لتطال كل الدنيا، وحتى الغارات التي وصلت فيها الى العراق والشام، لا تبرر عدم الهجرة اليهما أو الفرار اليهما. كانت القسوة والعنف المترافق مع النهب الإقتصادي والمصادرة أسباباً رئيسية في تلك الهجرات، وكل هذه الأفعال لم تأتِ من فراغ بل جاءت على أساس تبرير ديني.

وحتى هذا اليوم، لا أشك أنك قرأت وسمعت بأن الأكثر التصاقاً بتلك الحركة وبمبادئها، هم الذين يدعون الى طرد المخالف في المذهب: الشيعة في الشرقية وفي الحجاز والإسماعيلية في نجران، ومن يسمونه بالصوفية في الحجاز. لا أظنك إلا اطلعت على ما ينشر من فتاوى في هذا الشأن، ومن استعداء للنظام للقيام بمثل هذه الأفعال في كتب منشورة ومصدقة من أعلى سلطات دينية، وأحيلك هنا الى كتاب واحد هو كتاب ابراهيم الجبهان: (تبديد الظلام وتنبيه النيام الى خطر الشيعة والتشيع على المسلمين والإسلام) فهذا الكتاب يحوي أكثر مما ذكرت لك، وهو مطبوع داخل المملكة، وعلى نفقة الرئاسة العامة للدعوة والإفتاء، ووزع مجاناً (في سبيل الله) وهذا مكتوب علي غلافه ط ٨ سنة ١٤٠٨هـ. وأزيدك من الشعر بيتاً، فأنت لا بد تعرف أو سمعت عن سعوديين كثر يعيشون خارج المملكة، لا بسبب خلاف سياسي مع النظام، بل لأن الجو الداخلي خانق، وقد خمّن عددهم في أميركا وكندا ببضعة آلاف وكلهم تقريباً أصحاب كفاءات. بالله عليك من الذي جعل وطننا سجناً هكذا؟ ذات الأمر يمكن قوله حول المجاز، التي اختزلتها في الطائف وكربلاء. أظنك يا أخي بحاجة الى مراجعة الكتب التي ذكرتها لك، والتي هي مؤيدة ومدافعة ومنافحة عن الحركة الوهابية لتعلم أنك لم تقل كامل الحقيقة. حتى فترة توحيد المملكة: قرى بأكملها أحرقت في الجنوب، وفروع قبائل أبيدت، وهجرات واسعة من الشرق والشمال والغرب وقعت. وتفصيل ذلك يستغرق مكاناً أكثر اتساعاً من هنا. أنت يا أخي ترى الجوانب المشرقة في الحركة، أما الذين ابتلوا بها فلا تغضب إن رأوها بنظارات سوداء شديدة السواد والظلمة. قد تكون الوهابية إحدى أعمدة هويتك، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للحجازي ولا للمواطن في الشرقية أو الجنوب أو حتى شمال نجد (اقصد بذلك حائل). مجزرة واحدة فقط وفي يوم واحد في القطيف شملت ٣٠٠٠ شخصاً من صغار وكبار حسبما يذكر المؤرخون حين دخلها الوهابيون أول مرة. وفي سيهات قتل القادة الوهابيون الأطفال في المهد. وفي الأحساء أُبيدت قرية كاملة هي جليجلة حسبما أتذكر. هذا غير الهمجية ضد الشجر والنخيل التي تقطع والبيوت التي تحرق.

وأكرر إن ما أقوله هنا موجود بوفرة في كتابي ابن بشر وابن غنام فارجع اليهما، حتى وإن كان الكتابان قد جرى تشذيبهما مرات ومرات. نعم.. انت يا أخي تقيس الأمور بنجد، فهي فعلاً كانت تعيش صراعات مستديمة بين البلدات وامرائها المختلفين. ولا يجوز ان تطبق الأمر في نجد على كل مناطق المملكة. فالحواضر كانت مستقرة وإن كانت الطرقات غير آمنة. ولا يخفى أن قيام حكم مركزي قد وطد دعائم الأمن.. هذا لا ينكر، ولكنه يا أخي جاء بثمن باهظ للغاية. ثم يا أخي وأنت تدافع عن حركة سياسية (الوهابية) تجعل قارئك يستنتج أن نجداً هي السعودية وأن الوهابية هي الدين والإسلام. ليس هكذا تورد الإبل يا أخي. حين تتحدث عنها بالقول حدثت في (بلادنا) وأنتجها (شعبنا) فأنت بهذا تختزل الكل في البعض، وتلغي الآخر إلغاء حاداً. لا يا أخي ليس تاريخ المملكة هو تاريخ الوهابية ولا تاريخ آل سعود. نعم الوهابية نبتة (نجدية) وليست نبتة عامة. وإلا على ماذا قتلت الآخرين وكفرتهم وأهدرت دماءهم واحتلت ديارهم؟ ماذا يقول أجدادي الضحايا الكفار عن أجدادك المؤمنين الأتقياء المجاهدين إن كانت هذه النبتة إنتاجاً مشتركاً وقامت في كل الأمكنة وليس في منطقة محددة؟ أنا لا أستطيع أن أتخلص من مناطقيتي أو حتى مذهبيتي. هذا ما أعترف به حتى وإن بذلت غاية الجهد من أجل ذلك. فتركيبة المواطنين النفسية (وهذا يشملك كما يشمل كل واحد منا) هي تركيبة مناطقية قبلية طائفية. وكلما عزف نغم الوهابية ظهرت كعامل انشقاق، واستدعي التاريخ في حروب الإنترنت والورق أيضاً، فضلاً عما هو أكثر من ذلك. الوهابية لا تقدم فكراً جامعاً حتى نختلف بشأنها.. هي لمن يعتنقها نحترمه، وننسى التاريخ. لكن لا تذكرني بأن ذلك الفعل كان صحيحاً، ولا تقل لي اقبل بآرائها وهي لا تزال تكفرني ولا تفرضها علي وتستخدمها ترساً تتحصن به لتقصيني من حقوقي كمواطن. أخيراً أرجوك أن تقرأ التاريخ بعين غيرك أيضاً. حاول. أو لأقل إقرأ مادة واحدة فقط من الإثارة في موقع وزارة الشؤون الإسلامية، لكي ترى أن الوهابية هذه وإن لعبت دوراً بالغ الحيوية في توحيد البلاد عبر استخدام العنف، فإنها اليوم لا تفيد إلا في التمزيق. ومن يصرّ عليها، فإنه بالضرورة يضحي بالوطن وبالهوية الوطنية. هذا رأيي، قد يكون حاداً ولكنه صادق على أية حال. واعذرني أخيراً إن أسأت الأدب أو تجاوزت الحدّ.

* * *

▪ لاحظت ظاهرة غريبة في المنتدى تدعو للتساؤل، وهي نزول عدة مواضيع في المنتدى تصب كلها في خانة العنصرية، وتدفع جميعها الى بث روح تمزيق الوطن. ومن هذه المواضيع وأهمها الترويج لمجلة (الحجاز) المشبوهة! وليس أدلّ على ذلك من كون القائمين عليها مجهولون، وهذا يعيد الى الذاكرة الإشاعة التي راجت خلال حرب الخليج الثانية بأنه كان في المخطط عودة الأشراف لحكم الحجاز، مع ما صادف ذلك الوقت من إطلاق الملك حسين للحيته والحاق لقب الشريف بأسمه.. وجميع هذه المواضيع تدفع للترويج لإنفصال الحجاز عن الحكم السعودي. هذا التوجه بدأ من قبل على إستحياء، وكان يؤخذ بحسن نية. لكن بدأت الآن تجتمع الخطوط وتتضح الصورة بشكل أكبر.

المشاكل والمعاناة والأخطاء موجودة في جميع مناطق المملكة، لكننا لم نر مواضيع كتلك تختص بمناطق أخرى كالشرقية والشمال والجنوب والوسطى، مع ان بعض هذه المناطق تعاني أكثر مما يعانيه الحجاز. نتفهم وفي الحقيقة أنها ظاهرة صحية انتقاد الاوضاع وسوء الإدارة بغض النظر عن الإنتماء المناطقي. على سبيل المثال فإن من أسوء الأوضاع المتردية الوضع المزري لمدينة جدة، مع أنها كانت في يوم من الأيام من أكثر مدن المملكة مشاريع وميزانية (أيام الفارسي). عندما ننتقد الوضع في وزارات مثل الإعلام/ المواصلات/ المعارف/ الصحة/ التجارة وغيرها، يجب ان يكون نقدنا على الوزارة والوزير من ناحية الاداء والكفاءة، وليس لماذا الوزير من هذه المنطقة أو تلك. الجدير بالذكر أن البعض لا يشاركون البتة عندما يكون الإنتقاد لأداء وزارات معينة، ولا أعلم إن كانت الوطنية تتوقف هناك؟!

أتساءل بيني وبين نفسي: هل هذا بداية لحلم البعض بعزل الحجاز عن بقية المملكة؟ المملكة بما فيها الحجاز تتوزع فيها القبائل كقريش وعتيبة وحرب وسبيع وعنزه وثقيف وقحطان وغيرها.. اضافة لمن حمل جنسية الوطن بالتجنيس بحكم ولادته مثلا واستقراره في المملكة فأصبح مواطنا له حقوق وعليه واجبات المواطنة، لكن التركيز علي المناطقية والعنصرية شئ مرفوض، ويدعو للشك بل ويؤصل هذا الشك! وعلى الذين يتسترون خلف الدين ومحاربة التشدد المذهبي (ما يسمى بالوهابية!) وإستخدام هذا التشدد سلما للوصول إلي مبتغاهم، حتي لو تشدقوا بإدعاءاتهم الوطنية.. عليهم أن يعوا أن هذه الإدعاءات المزيفة الوطنية مكشوفة للجميع وان لا ينجروا خلف أحلامهم! ومما يبعث على السخرية انهم في الوقت الذي يتجه فيه العالم بأجمعه الى تكتلات اقتصادية وسياسية، يسعي هؤلاء الى بث الروح الإنفصالية في الوطن.

* * *

▪ وسمعتُ أيّها الوضاح أن ربيع دحلان قد أصدر كتاباً يُحارِب فيه الوهابية ويتهمها بإحتلال الحجاز ويحذّر وسط بياض صفحاته (السوداء) من خطورة ذلك على أهل الحجاز الذين هم (فقط) ضمن تصوره المريض والمشبوه والشعوبي الأسر الحضرية، والمتجنّسين الذين هم في الحقيقة أو أكثرهم على الأقل من مواطني هذه البلاد. وليس سرّاً أن محاربة الوهابية ليست سوى غطاء يتستّر خلفه هؤلاء المرضى لبث الفرقة بين أقاليمه. ووصل الأمر بهم واستغلالاً لهذه الظروف السيئة إلى التهديد بسحب أموالهم من البنوك والحوار مع بعض رموز الادارة الامريكية للضغط على الحكومة السعودية. فهل رأيت كيف أصبح الوطن مأكولا مذموما عند هؤلاء (الهنود).. أقول بعضهم وليس جميعهم. وأتمنى على كل من يعرف عن الكتاب شيء أن ينقله لنا هنا.

هل سأل أحدكم نفسه لماذا يخصّص أحمد حسن فتيحي منحاً دراسية تقدّر قيمتها بالملايين لمئات من أبناء الحضر وبعض أبناء الجنسيات العربية والاسلامية دون أن تحتوي القائمة على واحد فقط من قبيلة بدوية؟! ربما أكشف المزيد عنهم في موضوع مستقل.

* * *

▪ إطلعت على مجلة الحجاز التي تشير اليها ولم أجد فيها ما تزعمه، بل على العكس تماما فهي ضد العنصرية.. ربما تحتاج الى اعادة قراءتها بعين غير مغرضة.

* * *

▪ هذه المجلة غير مريحة.. فهي أولاً تتسمى باسم منطقة، وثانياً تدور كل المواضيع حول هذه المنطقة وباسم الوطن كله. ثالثاً تدور كل التبويبات على الاهتمام فقط بهذه المنطقة دون سواها. رابعاً سرقة عدد من المواضيع وعدم نسبتها إلى أهلها. خامساً مالكها وصاحبها مجهول الهويه. كل هذه الأشياء مريبة ومرفوضة تماماً، ولا تمت الى الليبرالية والإنفتاح بشئ.

* * *

▪ الدين يُستخدم مطية من الحاكم والمحكوم. من المضطهَد والجلاد على حد سواء. فالوهابية استخدمت لـ (احتلال) الحجاز، عبر شرعنة التوسع وهدر دم الأخر بعد تكفيره وحشد الشارع لقتاله. والوهابية تستخدم اليوم لشرعنة الوضع القائم ومقاومة التغيير. فإذا افترضنا أن ما قلته صحيحاً بأن الهجوم على الوهابية وشتمها ما هو إلا مجرد غطاء أو لنقل مبرر لتحقيق غايات أخرى، فإن من يفعل ذلك لم يخرج عن المألوف السياسي. وطالما أنك أفصحت عن أن هناك أخطاء، فالأولى علاجها، لأنها تشكل مبررات لتفكيك الدولة. ومن وجهة نظري فإن الهاشميين لن يعودوا الى الحجاز، بل سيعودون الى العراق، أما الحجاز فلو تحقق ما أشرت إليه من تقسيم المملكة فلن يكون حكامه إلا منه.

ومجلة الحجاز ـ بيت القصيد ـ سببت صداعاً بسبب إسمها على الأرجح. اما مواضيعها فهي لا تختلف عما ينشر في طوى.

أما أخي الذي تعرّض للدحلان. فأنت تعترف بأنك لم تقرأ كتاب ربيع دحلان. وتقول أنك سمعت!! أنه ألف كتاباً ضد الوهابية. الصحيح أن كتاب الدحلان له مؤلف وهو حسبما أتذكر عبد العزيز الفهيد، بغض النظر إن كان الإسم مستعاراً أم صحيحاً، ولقد اتهم الدحلان بأنه وراء الكتاب، وإن كان من المحتمل جداً أنه لم يكتبه. والكتاب لا يعدو دفاعاً عن النفس في موضوع اتهم بشأنه، فسجن واعترض الأمير ماجد على ذلك فاستقال. هو يتهم القضاء الفاسد بأنه لم ينصفه، وكان ضحية مؤامرة الكبار حسب رأيه، ولذلك جاء عنوان الكتاب: محنة القضاء السعودي. ولم يكن مخصصاً ضد ما تسميه الوهابية. فهو لم يتعرض لعقائد الوهابيين ولم يناقش الموضوع أبداً.

تقول بأن الدحلان يتهم الوهابية بأنها احتلت الحجاز. وهذا في رأيي ليس اتهاماً. وإذا كان اتهاماً فهل ما قاله خطأ؟ بل بماذا تريده أن يتهمها؟ حسبما أذكر أيضاً فإن ذكر الوهابية واحتلال الحجاز جاءت في عبارة ضمن سياق موضوع طويل وفي سياق مختلف. أخيراً الكتاب موجود للقراءة على هذا الرابط:

http://kotoop.netfirms.com

عورة الفقر وتكريم الفقراء

■ هل حقاً صعق الإعلام المحلي لهول المفاجأة باكتشاف عورة الفقر ولوعة الفقراء في "الرياض" الغالية. إذا كان قد تفاجأ إلى هذا الحد المذهل الذي ظهر إعلامياً فذلك يعني ان صحفنا كانت تصدر في "بروناي" أو "جزر القمر" أو في "المريخ"، ولم تكن معنا في كل سنواتها تلك الطوال!! الصحف المحلية المرفهة طباعياً بورقها الصقيل، وألوانها الفاقعة، وحروفها اللامعة، وكتابها وكاتباتها المميزين هي صحف مدن وعواصم، مثلها مثل الاسفلت المزبرق الغائب عن معظم شوارع المحافظات والقرى والهجر.. ومثل الجسر الممدود وأضواء النيون الملونة المبهرة. ان مناطق (نائية) فيها سكان أفقر من سكان المدن والعاصمة المذهولين بفقرهم الآن! سكان لا يعرفون بعد شكل "اللمبة" حين تضيء فما بالك ان يعرفوا ما هو النجف والثريا؟! سكان كرام يحفظون طعامهم بلا "ثلاجة" وينامون بلا أسرّة من خشب أو حتى حديد! أما الأعشاش فهي سقوفهم والألحفة المرقعة هي أغطيتهم.. ويأكلون عن جوع لا عن ترف وإذا أكلوا ما شبعوا. في مناطق المملكة سكان يعيشون تحت خط الفقر الذي يتدارسون الآن تحديده! وفقراء الرياض وجدة والظهران والمدن البارزة هم الصورة المُحسَّنة.. المدللة للفقراء الآخرين!

جهير المساعيد

الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

عنم فقد تسلم

■ لإرضاء الرقيب الاعلامي - السياسي - الأمني يقترح "التعميم" كأن تقول مثلاً: "لدينا نحن شعوب العالم الثالث قدرة خارقة على الاستدارة في مساحة ضيقة جدا لسرقة المال العام".

ولا تخف بعد هذا، فالكاتب في مأمن! عبارة سكّن تسلم قالها سعد زغلول، والنزاع حول النحو أقل حدة من إحضار الكاتب أو الخطيب الى وزارة الاعلام - ان بسط الأمر - أو إلى الداخلية ان عظم الأمر.. وسؤاله تحريرياً عن المقصود بهذه العبارة أو تلك، أو محاولة إيجاد القرائن الكافية للتحفظ عليك رهن التحقيق الى أن تثبت أنك لا تقصد كذا، بل قصدت كذا.. والنجاة ليس دائما مضمونة حتى لو اعتمدت "التعميم من أجل السلامة".

عبد العزيز الذكير

الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢١

* * *

المرأة وحق الشورى

■ اذا كانت المملكة قد تأخرت فيما يتعلق بحق المرأة في الشورى ومشاركتها الفعلية في المجلس فان ذلك لا يعني انكار هذا الحق لها وانما هو نتيجة لواقع مرحلي اقتضى التدرج في مسيرة مجلس الشورى السعودي. إنني اطرح هذا الموضوع دون تردد لما اعتقده يقينا بان اصحاب القرار على درجة من الاقتناع بان الشورى حق للرجل والمرأة على السواء وان اختيار كفاءات نسائية على غرار ما تم بالنسبة لاختيار اعضاء مجلس الشورى من الرجال من ذوي الكفاءات والخبرات والعقول النيرة ومشاركتهن الفاعلة في المجلس من خلال شبكة (التليفزيون والكمبيوتر والمايكرفون) في مناقشة الانظمة والقوانين، سيكون قرارا حكيما. كما انه سيضع حدا للادعاءات المضادة الباطلة، وسيتيح فرصة امام نصف المجتمع من النساء ان يسهمن في تطوير الانظمة الاجتماعية والاقتصادية.

د. علي العبد القادر

اليوم ٢٠٠٢/١٢/٢٢

* * *

علمني كيف أصطاد سمكة

■ سأتجاوز الأسباب الشخصية للفقر إلى أحد أهم مسببات الفقر المتمثل في انعدام تكافؤ الفرص بين المواطنين حيث تحصل النخبة ومن يدور في فلكهم ونزر يسير من العامة على أغلب فرص التدريب والتعليم والوظائف. ولكي نقضي على هذه الظاهرة المرضية فلابد من الحد من نفوذ الواسطة ولا بد من محاربة الفساد الإداري.

د. محمد القويز

الرياض ٢٠٠٢/١٢/١٦

* * *

قرارات بلا معنى!

■ أصدر وزير العمل قراراً يقضي بحصر ٢٢ مهنة ووظيفة على السعوديين فقط، وشدد على مكاتب العمل بأهمية ترشيد وتوجيه المنشآت الخاصة وتعريفهم بهذه الوظائف والتأكيد عليهم بقصرها على السعوديين فقط، وفي حالة مخالفتهم سوف يعرضون منشآتهم للعقوبة. ما هي العقوبة؟ لا ندري! أما الوظائف فهي كتابية وإدارية في معظمها، وهي قديمة يجري تكرار التأكيد عليها بين الحين والآخر دون أن تحمل إضافة لمهن جديدة يمكن شغلها بسعوديين.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٧

* * *

المحظورات في وسائل الإعلام

■ نظام المطبوعات والنشر يحظر طبع اية مطبوعة مخلة بالنظام او الاداب العامة في المملكة. كما ينص على حظر نشر (كل ما يخالف اصلا وشرعا او يمس قداسة الاسلام وشريعته السمحة او يخدش الاداب العامة). ومصطلح (الاداب العامة) من المصطلحات المرنة القابلة للظهور باشكال مختلفة وآماد متباينة حسب ما تقتضيه الحالة او تستوجبه الراهنية. رجاء نرفعه الى اصحاب القرار ان يتم اصدار قائمة توضيحية للمحظورات في نظام المطبوعات بما يتواكب مع المرحلة التي يعيشها الاعلام العالمي.

د. أنمار حامد مطاوع

عكاظ ٢٠٠٢/١٢/١٦

* * *

شرعنة الحقوق مقدمة لحماية الوطن

■ الاشكالية تكمن في غياب شرعنة اي اسس عامة ومعلنة لهذه الحقوق بما يرسخ روح المساواة والعدالة، وكرامة الانسان، ويكفل خروجها من بطون الكتب والخطب المنبرية الى ارض الواقع.. المملكة واحدة من تلك الدول التي وقعت على اربع اتفاقيات خلال السنوات الخمس الماضية، وذلك في اطار سلسلة متطلبات عضويتها في منظمة التجارة العالمية: حقوق الطفل، القضاء على اشكال التمييز ضد المرأة، القضاء على اشكال التمييز العنصري، مناهضة التعذيب. ان التطورات تثبت ان الانسان لن يتحول الى عنصر فاعل ومؤثر، ذي قوى ابداعية وخلاقة الا بقدر ما يستكمل من حقوقه الانسانية، ولن يستطيع اي مجتمع صد محاولات الهيمنة الخارجية قبل اطلاق العنان لكرامة افراده ليستشعروا قيمة وجودهم ومسؤولياتهم الوطنية.

عيسى الحليان

عكاظ ٢٠٠٢/١٢/١٦

وافد حتى للإمامة

■ صعقت كثيراً من مهمته الخاصة التي ذهب إليها خارج الحدود يبحث عمن يأتي إلينا ليعلمنا كيف نقرأ القرآن الكريم ونحن الذين نمتلك ست كليات للشريعة ونحتفل باليوبيل الماسي والفضي والذهبي لأكثر من ثلاث جامعات إسلامية متخصصة تخرج فيها حتى اليوم ما يربو على نصف المليون من طلاب العلم الشرعي وتضم في جنباتها اليوم مجتمعة ما يزيد على مئة ألف طالب، بل يوجد في سوق "البطالة" من خريجي هذه الجامعات أرقام خرافية ومع هذا ما زلنا نبحث عن قارئ متخصص، نسوق له كامل الإغراءات ونطلب منه التوقيع على عقد بياض فلا نجده، وهنا المفارقة. قضيت أسبوعين في مدينة سعودية كبرى ولم يكن من شيء أكثر من دهشتي وأنا أصلي مأموماً خلف "أئمة وافدين" واستمع إلى خطب الجمعة والعيد بلهجة غريبة، بل سأقول بالإجماع مطمئناً إنني لم أدخل مسجداً واحداً فيه إمام سعودي. مساء البارحة فقط قابلت "معرفة سابقة" في أحد مكاتب الاستقدام يبحث بالتحايل عن إمام لمسجد كبير في الحي الذي يقطن فيه بعد أن استخرج له تأشيرة عمل على وظيفة لا علاقة لها بالإمامة والخطابة.

علي سعد الموسى

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٠

* * *

الإستعداد للحرب بالتحصين الداخلي

■ كيف يمكن لدول المنطقة المهددة في ترابها وتراثها ومصالحها وعلاقاتها بعد عراق صدام حسين ان تلتفت لما تملك من مصادر قوة فتوظفها لخدمة مشروع وطن بدلاً من الاستئثار القديم بخدمة مشروع نظام او جماعة حاكمة او حزب مهيمن. هل يمكن اكتشاف القوى الوطنية الكامنة التي تعزز حماية الأوطان من عوامل التفتيت والتي لا تتيح أصلاً للأجنبي امكانية التدخل او على الأقل تملك الحصانة الداخلية ضد وسائل الضغط والإخضاع وإملاء الشروط.. او هل يمكن ان يحدث ذلك دون العمل الجاد للبحث عن صيغة سياسية أكثر تقدماً وأكثر اقتراباً من الشعوب وأكثر عدالة في اقرار حقها في المشاركة في صناعة مستقبلها.. بدلاً عن

الوصاية الدائمة التي تملكها الخاصة الحاكمة وتملك بموجبها حق التفكير والتقرير والتدبير بمعزل عن الناس وتطلعاتهم. هل يمكن ان يحدث ذلك دون اجتراح صيغة ادارية أكثر تقدماً تحارب الفساد وأكل المال العام والمحسوبية وتشيع روح المواطنة وتجعلها العقد الاجتماعي الواسطة بين المواطن والدولة بعيداً عن الاستحواذ القمىء للسلطة والثروة وصياغات القرون الوسطى في الادارة والسياسة بأي اسم جاءت وتحت أي يافطة يتم تعميمها. هل يمكن اشاعة ثقافة وطنية أكثر تقدماً تقر التعددية وتعلي قيم الحرية وتتيح المجال واسعاً لاجتهادات الشعوب وتجعل البوتقة التي تنصهر فيها تلك الاجتهادات والخبرات والأفكار مهما بدأ اختلافها وتعارضها المخبر الأهم لصياغة الحق الإنساني في التفكير والتعبير. بدلاً من المصادرة والقمع والتخويف. أم نترك المجال لأساطين السياسية الأمريكية اليوم التي تقدم ذرائع اخفاقنا في تقرير حق إنساننا وتنمية قدراته. لم يعد هناك سوى خيارين أما استباق العبث الأمريكي الذي لا يمكن الوثوق بمشروعه بالبحث عن كل مايعزز الحضور الوطني ويحصن الأوطان من الداخل أو الاستسلام لعاصفة التغيير الكبير الذي لا أحد يستطيع أن يقدر إلى أين ستمضي بنا.

عبد الله القفاري

الرياض ٢٠٠٢/١٢/١٦

* * *

وزارني الرقيب بليل

▪ الرقابة بحر متلاطم تتقلب رياحه كتقلب قصاصات أوراق عبثت بها ريح عاصف. أرى مقالاتي التي رفضها رقيبهم بدأت تتراكم كتراكم ديون العالم الثالث. وعندما يستوجب الوضع السياسي والاجتماعي أن تغرد خارج السرب مع بعض الكتاب المغردين فعليك أن تتوقع أن يكون مقالك مرتعاً خصباً لعيون الرقيب يقلب الكلام المرمد ليتأكد أن لا جمر تحته. بعد أن كتبت مقالة سابقة عن الاتصالات السعودية وشبكتها المتهتكة، وشبهت شريحتها بشيك من غير رصيد.. اتصل بي الرقيب متوشحاً مقصه وسكينه وحاملاً بيده "سطلاً" من الطامس الأبيض. قال الرقيب: ألا ترى بأن مقولة شيك من غير رصيد مبالغة في غير محلها.. عليك أن تغير العنوان وتوجد بديلاً أقل إحراجاً لنا ولك.

د محمد القويز

الرياض ٢٠٠٢/١٢/١٢

* * *

الجيل الجديد ورياح التغيير

▪ نجد ان كماً كبيراً من الموضوعات التي رفضنا إلى وقت قريب جداً إثارتها في الداخل لأسباب تتفاوت بين الثقافي والاجتماعي والتقليد.. أصبحت مثار حوار على الشبكة العالمية ومن مواقع مختلفة أو حتى من قبل القنوات الفضائية. أصبحت المواضيع خارج السيطرة والرقابة، خارج القدرة على الحجب أو المنع، خصوصاً تلك التي لا تلامس الثوابت، بقدرما تلامس تحفظات اجتماعية سابقة وعادات وتقاليد لا يفترض فيها التقديس! الكثير من مواضيعنا وقضايانا الداخلية التي واجهناها بالتحفظ إلى فترة قريبة، واخترنا ثباتها والصمت عنها واعتبرناها نوعاً من المنوعات، أصبحت الآن عرضة للبحث والتنقيب والاكتشاف والتعليق من قبل الاعلام الدولي بشكل أكثر مباشرة. الاهتمام الدولي يتداخل مع مواضيعنا الاجتماعية المحلية بكل خصوصيتها، وهي الخصوصية التي بقينا نرددها بشكل تلقائي أمام أي موضوع جديد أو قديم كان يمكن ان يطرح للحوار الاجتماعي، لتكون الخصوصية هنا مجرد معارض للتعددية - حتى تعددية الفهم! - في مجتمعنا المحلي الكبير والمتنوع العادات والتقاليد والمشارب.. نحن نفترض أن الاتجاه الآن هو إلى مؤسسات المجتمع المدني وتكريس سلطة القانون ومبدأ الثواب والعقاب على كل المستويات ومحاربة الفساد والتسلط ومنح المزيد من الصلاحيات لمجلس الشورى، وتوسيع المشاركة والانفتاح، والمزيد من فرص العمل والحركة للمرأة السعودية وتحقيق فرص العمل بكثافة للشباب.

ناصر صالح الصرامي

الرياض ٢٠٠٢/١٢/١٦

* * *

النزاهة عملة نادرة

▪ السلامة من الفساد المالي مطلب هام، لكنه ليس منتهى الطموح أو أقصاه ولا يجب أن تتوقف كل القناعات أو جلها عند حد نظافة اليد! نأمل أن تصبح النزاهة أمراً مفروغاً منه وصفة عامة لا عملة نادرة وأن تفرضها قوة وجدية وحزم محاربة الفساد. النزاهة ونظافة اليد واحدة من البدهيات ويجب أن تبقى كذلك، والبدهيات أو المسلمات لا يمكن أن تعد ضمن المتطلبات ناهيك عن أن تكون أقصى الطموح.

محمد الأحيدب

الرياض. ٢٠٠٢/١٢/١٦

* * *

أشركوا الشعب ليتحمل مسؤوليته

▪ لا يحتاج المرء لكثير من العناء لتأكيد التحديات الجدية التي باتت تواجهها المملكة، مما يفرض الاعتراف بها والسماح بمناقشتها بين كافة شرائح المجتمع السعودي لدرء المخاطر التي قد تنجم عنها، خاصة وان السعوديين يحتاجون في هذا الوقت لسبر أغوار مستقبل بلادهم، والالتفات للمرئيات المختلفة حيال المستقبل السعودي بحوارات مستفيضة لبلورة رؤية استراتيجية. الاعتراف بطبيعة هذه التحديات ومناقشة العوامل الداخلية المؤدية لتكريس مفاهيم تعطل التطور هما سبيلان جديان لتجاوز الأزمة. ان نفي وجود بعض الاشكالات في حياتنا المعاصرة لن يجدي نفعاً، كما ان مسايرة الرغبة الغربية في التغيير ستكون نوعا من التبعية العمياء التي ستفضي إلى حلول ومعالجات مستوردة بما يهدد اللحمة المعرفية وضرورات الحراك الطبيعي والتطور لكل مجتمع. ان رغبة التغيير هي رغبة عامة، وهم مشترك بين المسؤولين والمفكرين والشعوب، لكنها تحتاج لتحديد آليات واستشراف المستقبل وفق جهود جماعية تحتضنها هيئات متخصصة، وفوق هذا فإن التحديات المطروحة تحتاج قياس رأي الشارع السعودي بناء على آليات استطلاع الرأي العام وتجنيد الوسائل الإعلامية لمواجهة الأزمة والمشاركة في إدارتها.

زياد الصالح

الجزيرة ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

المصالحة مع النقد

▪ النقد أوله قلق، وآخره أفق، وما بينهما جدل مشرع للمبدعين، ومنافع يستطيب بها الحائرون، ونحن تعوزنا ممارسة النقد كمنهج تقويمي، ونفتقر إلى التناقد وحرية النقاش، نفتقرها منذ الطفولة، حين كنا نغني كما ينبغي للأطفال أن يتخيلوا.. وحين كان الأب مستبداً برأيه في المنزل، والمدرس وحشاً في الفصل، وعلينا أبناء وتلاميذ أن ننصاع للأوامر دون مناقشة أو اقتناع أو إعمال الفكر والنقد. هنا تُبنى اللبنة الأولى لضيق الأفق والتعصب وكره النقد، لبنة قد يستعصي اقتلاعها فيما بعد.. سيكون من اليسير على الاستبداد أن ينمو، وسيغدو من السهل إقصاء الآخر وتثبيط الملكات والمواهب، سيكون من العسير الاعتراف بالأخطاء أو اكتشافها، ناهيك عن استشرافها وإبداع الحلول.

د. محمد الحبيب

الجزيرة ٢٠٠٢/١٢/٢٣

* * *

من داخل السعودية

▪ لو كانت موسوعة غينيس للارقام القياسية تعترف بقيمة "الكلام" لأعطت هذه العبارة "من داخل السعودية" رقماً قياسياً في عدد مرات تكرارها على لسان المذيعين والمذيعات خاصة في البرامج التي تبث على الهواء مباشرة من الاذاعات والمحطات الفضائية العربية على وجه التحديد. "من داخل السعودية" بوابة يعبر منها الكثير والكثير للدخول الى سوق المستمع والمشاهد السعودي الذي اصبح مستهدفاً فضائياً، لدرجة ان الكثير من المحطات الفضائية والاذاعات العربية تعتمد التوقيت السعودي في عرض برامجها، كل ذلك من اجل سواد عيون شبابنا وفتياتنا الذين حققوا أرقاماً قياسية في التواصل والاتصال والتفاعل والمشاركة في اي برنامج فضائي بغض النظر عن قيمته المعرفية او الفنية مما يزرع الكثير من علامات الاستفهام في ارض المعنى!.

الجزيرة ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

بدوقراطية

▪ مكث أساطين السياسة في الغرب ردحاً طويلاً من الزمن وهم يفاضلون بين أنواع الديمقراطيات، وأيها يكون صالحاً للعرب؟ استبشروا يا أحفاد عدنان وقحطان فقد لاحت تباشير الفرج ولمعت بروقه من ناصية باول المفلطحة، وبدأت نسماتها تتهادى إليكم من منخريه الواسعين، إنها الديمقراطية التي رصد لها (تسعة وعشرين مليون دولار) بالتمام

والكمال (يا بلاش) وستنعمون بها عن طريق ملائكة الرحمة التابعين للبنتاجون فهاهم قد اتخذوا مواقعهم براً وبحراً وجواً لتلقين الشرق الأوسط دروس الديمقراطية السوداء.

سلمان جابر العبدلي

المدينة ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

ثمانية أعوام بدون راتب

▪ لا يمكن ان يكون ما اشار اليه المواطن/ سلمان عبدالله العبود في السطور التالية صحيحا. دعونا نقرأ ما يقول: يوجد موظف بأحد مراكز الرعاية الصحية الأولية بمحافظة الاحساء لم يتسلم راتبه منذ ثمانية اعوام تقريبا وربما تزيد.. الموظف المذكور كان يعمل بالشؤون الصحية بالرياض ومن ثم تم نقله للعمل بصحة الاحساء، وحاليا يعمل بأحد المراكز الصحية التابعة لقطاع العمران. ولمزيد من المعلومات هو يعمل بمركز صحي الحليلة ويعمل بوظيفة كاتب ملفات بالمرتبة الثالثة.. والله حالة؟!

اليوم ٢٠٠٢/١٢/٢٣

* * *

الرقيب

▪ موضوع كتابتي اليوم هو ظاهرة الرقيب والحارس الجديد الذي يتواجد في كل مكان وزمان، فهو يبدو في كثير من الاحيان اشد ضراوة من الحارس العربي القديم ذي الصفة الرسمية لانه، اي الرقيب الجديد، يخضع خضوعا فاضحا للعاطفة والافق الضيق ويبالغ في الادعاء انه يعرف ما يصب في مصلحة الجماعة، انه يملك قدرة لا تتوافر لغيره على تمييز ما هو نافع مما هو غير نافع، غير عابئ بحقيقة ان النافع ونقيضه شيئان يخضعان للنسبية، وغير مدرك تماما ان ما قد يعتبره نافعا قد لا يكون كذلك في نظر الآخرين، او قد يتفقون معه على ضرر شيء ما، ولكن ضرره يأتي بدرجات متفاوتة ومختلفة مما يترتب عليه اختلاف تعاملهم معه. واساس الخلاف مع هذا الحارس الجديد هو محاولته فرض قناعاته وآرائه على الآخرين بطريقة تنتهك حرياتهم الشخصية وتنفي عنهم الوعي والمعرفة بمصلحتهم وبكل ما يمثل هدرا او صونا لها.

د. مبارك الخالدي

اليوم ٢٠٠٢/١٢/٢٢

* * *

معالي الوزير: نريد كهرباء

▪ إن منطقة جازان، وهي تضم في جنباتها الفسيحة ٤٠٠٠ قرية ومدينة يسكنها ما يقرب من المليون ونصف المليون نسمة، إن لم يكن أكثر، لا تشكو لمعاليكم تأخر وصول تيار الشركة السعودية للكهرباء إلى ما تبقى من قراها وهجرها، فحماسة أهلها المحرومين من أبسط متطلبات الحياة المعاصرة قد خفت وتلاشي تعلقهم بما يسمونه (الكهرب)!. جازان أدركت أخيرا أن اليأس هو الحياة! لم تعد تفكر في المستقبل ولا يعنيها يوم غد، طالما أن حاضرها منفوخ بالهشاشة والهزال! ما تبقى على موعد الصيف المقبل يكفي لأن (نتعشم) فيك ونطلب صيفاً واحداً فقط، نريده هانئاً خالياً من التوترات والتنغيصات (والتنكيدات) الكهربائية! صيفاً واحداً فقط، نشعر فيه بقيمتنا وأهميتنا كباقي البشر من خلق الله، ولنقوم بتسديد فواتيركم الباهظة دون أن نتأفف أو نتظلم، فاعلين ذلك عن رضا وطمأنينة، ومبدين استعداداً بدفع (البخشيش) أيضاً!

علي مكي

الوطن ٢٣-٢٠٠٢/١٢/٢٤

* * *

مجلس التعاون: الى الخلف در!

▪ إن مجلس التعاون بصراحة شديدة لم يتوقف في مسيرته فقط بل تراجع عن النقطة التي وصل إليها في يوم من الأيام، ومن الصعب أن نلقي اللوم على دولة بعينها بل لا بد من أن نلقيه على الهشاشة نفسها التي ستجعل كل دولة من دول المجلس يمكن أن تجر حبل المسيرة إلى الخلف في أية لحظة تجد أن مصلحتها تقتضي ذلك.

عبد الله ناصر الفوزان

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٣

* * *

مجلس التعاون: إنجازات وهمية

▪ المشكلة الحقيقية في المجلس تتمثل في السرية المفرطة التي تحيط أعماله، واجتماعاته، وخلافاته. البيانات الختامية لاجتماعات المجلس سواء على مستوى القمة أو على مستوى الوزراء كلها تقول: "كل شيء تمام"، وتتحدث عن إنجازات لم تحدث، ووعود لا تحدث، لكنها لم تقل مرة واحدة إن هناك خلافات داخل المجلس أو هناك اختلافات في وجهات النظر حول هذه القضية أو تلك، بينما كل هذه الأمور واضحة للعيان.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٢

* * *

الإخوان المسلمون: بردعة جديدة للضرب؟

▪ كان بودي لو كان حديث الأمير نايف بن عبدالعزيز لصحيفة "السياسة" الكويتية منشورا للعبرة والتأمل في صحيفة سعودية ليقرأه كل مواطن ما زال مغيبا عن بذور المشكلة التي حيكت بدهاء لشعب كامل وقع ضحية الأفكار المستوردة، تلك التي أحالتنا إلى مختبر للتجارب من قبل "الإخوان المسلمين" حين فشلوا في تطبيقها في بلدانهم الأصلية. لا ينكر دور السعودية الحاضن الأمين لكل الذين لفظتهم بلدانهم وأخرجتهم مجتمعاتهم بالإكراه فمنحهم هذا البلد فرصا هائلة للعيش الكريم وفتح لهم منابره وجامعاته مؤملا في كثير منهم أن يحفظوا هذا الجميل، ومع هذا تبرز المحصلة اللافتة. السعودية وحدها هي التي هرب إليها عمر عبدالرحمن وكافأته بالوظيفة، وهي التي أعطت تأشيرة الحياة لأيمن الظواهري ليمارس مهنته ومعتقده ونمط حياته، وهي التي حتى فتحت جامعتها للشيخ محمد قطب هاربا من مجتمعات تحاربه بتهمة تاريخ عائلي، وهي التي أيضا عمل فيها عبدالله عزام لسنوات طويلة وبالتأكيد معهم عشرات الرموز التي قلبت ظهر المجن للجميل المتواصل. هذه هي جماعات الإخوان المسلمين تتفرج علينا بعد أن صرنا وحدنا داخل "التهمة" التي خرجت منها بكل دهاء وهكذا نحن وحدنا نعيش نتيجة التجربة بعد أن صرنا لوحدنا نتحمل تهمة "الإرهاب" وفق المجتمع السلفي الذي لا علاقة له في الأصل بهذه التهم والأفكار.

علي سعد الموسى

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢١

* * *

المواطنة والوحدة الوطنية قبل الطوفان

▪ التهيؤ لمتطلبات المرحلة القادمة يأتي في مقدمته البحث عن عوامل القوة والوحدة والتماسك والصمود بين أبناء المجتمع الواحد، واستنفار روح الانتماء والهوية واستحضار المحفز من التاريخ ومختلف مقاومات الأمة وحيلها الدفاعية في نفس كل فرد.. وصولا إلى الارتقاء بمفهوم الوحدة الوطنية إلى مستوى الانصهار والتوحد. يجب ألا يغيب عن الذهن أن تحقيق الوحدة الوطنية ليس تجميعا لكم مهمل وراكد، لا ينتج عنه أي فعل إيجابي، بل هو انصهار حقيقي وتفاعل خلاق ومبدع بين إخوة تجمعهم رابطة الانتماء إلى بلد ولغة ودين وهوية وقضية وآمال مشتركة، تجعل من وحدتهم سدا منيعا عصيا على الاختراق. ومن المؤكد أن ترسيخ الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد يتطلب أولا التسليم بمفهوم المواطنة، تتحقق فيه المساواة بين البشر، وينال فيه الفرد موقعه الاجتماعي ووظيفته عن طريق كفاءته وقدراته ونزاهته، وليس عن طريق موقعه في السلم المناطقي والعشائري والطائفي. لا بد من تأسيس مفهوم جديد للمواطنة يقوم على أساس استكمال بناء مؤسسات المجتمع المدني، والاعتراف بأهمية دور الفرد، واحترام الرأي والرأي الآخر. وأن يصار إلى ترسيخ قيم التسامح والتكافؤ والتكافل بين الجميع.

د. يوسف مكي

الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

الموتى

▪ أسمعهم جيداً، إنهم الآن يتحدثون بشكل واضح، من قبورهم تأتي الأصوات بحريتها الكاملة، إنهم الموتى يتأوهون! ما زالوا يتذكرون لحظاتهم الأخيرة على (طريق الجنوب)، إنهم قادرون على وصفها بدقة، لحظة تلاشي الأجساد والحديد والأحلام! بالطبع، نتذكرهم جيدا، نعرف أسماءهم واحدا واحدا، نعرف وجوههم ووجهاتهم، نعرف ملابسهم على الدم والإسفلت! كانوا بيننا لولا أن أخذتهم الخطى من (الطائف) حتى (أبها)، تلك الخطى التي خانتهم تماما كوعود وزراء المواصلات. أكثر من تصريح، لأكثر من وزير مواصلات، كانت كلها تعد بتوسعة الطريق واعتماد تنفيذه في الميزانية القادمة (أي ميزانية قادمة يقصدون؟!). وزراء

المواصلات يعرفون (طريق الجنوب) من خلال الخرائط ورسومات الكتب الإحصائية، كذلك فهم يعرفون إحصائية عدد الموتى من خلال الجداول المزينة بالألوان والنسب المئوية والحبر الفاخر، لكن البسطاء يعرفون الطريق بأسماء موتاهم وخرائط الدم التي لا تزول، كما أنهم يعرفون موتاهم دون جداول توضيحية، إنهم يشمونهم في الإسفلت واليتم والثلاجات!.

عبد المجيد الزهراني
الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٣

* * *

الفقر ينذر بسوء العاقبة

▪ قطاع كبير من المجتمع يُعاني ويلات الفقر والحرمان. يردد (المطبلون) في مجالس الحكام بأن الأمور على ما يرام وأن الدنيا بخير وأن المواطنين يعيشون في رغد من العيش. الفقر في كل زمان ومكان أصل كل بلاء، ومنبع كل مشكلة للأفراد. وتضخم طبقة الأغنياء، هو ما يُعانيه مجتمعنا في العصر الراهن. أثبتت الإحصائيات تدني متوسط دخل المواطن السعودي منذ عشرين عاماً على الأقل إلى درجة توحي بالخطورة وتنذر بسوء العواقب ما لم يتم تدارك الوضع بإصلاح جذري يقضي على المشكلة من جذورها.

محمد الحميد
الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٢

* * *

حرب الخليج الثالثة: الخسارة قادمة

▪ زوال الحكم العراقي وشيك. إن لحرب الخليج الثالثة من الآثار والانعكاسات متعددة الأبعاد ما يصعب حصرها، فمع أن حرب الخليج الثانية وقعت في ظروف كانت دول الخليج أفضل حالا سياسيا واقتصاديا، فإن الحرب الثالثة تقترب في ظل تداعيات هجمات سبتمبر الانتحارية وإرهاصات الحرب على الإرهاب وظروف اقتصادية متردية وتقلبات سوق النفط معا. الغرب الآن يرى الدول العربية وطيدة بالإرهاب وتصديره وتمويله وأن على العالم المدني بقيادة أمريكا غرس الحريات والديمقراطية في أوساط شعوب هذه الدول للنهوض بها من قمقم التخلف الذي يولد الإرهاب. إذا كان لنا من فعل مضاد فإن أهم استراتيجياته أن نقوم من الآن بتقدير آثار الحرب القادمة واستشراف تبعاتها ومآلاتها من أجل وضع حدود أمام تداعياتها لنخرج بأقل الخسائر الممكنة فطوفان الحرب هائل والنجاة منه تمثل أولوية لأن الخسارة حاصلة مهما حاولنا تفاديها.

علي بن سعيد الغامدي
الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

منخنقات المعية والضدية وتفخيخ الأسئلة

▪ عندما تتأزم الأمور، وتزلق المشاهد، يرتبك خطاب النخب والمتنخوبين والعلماء والمتعالمين، وتدخل الأمة في نفق الشك وجنون الارتياب، وتستفحل ظاهرة الأسئلة المريبة، أسئلة الاستكشاف والتصنيف، لا أسئلة الاستعلام والتعلم، ومثل ذلك عرض لمرض، ومؤشر على خلل في البنية الفكرية واستفحال للمراء العقيم باسم الجدل والمنطق. والخلي من هذه الريب تنتابه غفلة المؤمن، فلا يقيم وزنا للتحفظات ولا للمراجعات، قبل التفوه بأي اجابة، ومن ثم يبادر السائل بالجواب. والجواب الآمن يتعرض لأكثر من علامة استفهام، ويؤخذ بأكثر من مدخل، ويخضع لأكثر من تفسير. ومثلما يختل الأمن النفسي، يختل الأمن الفكري، مما يدفع بالمفكر الى كتم تفكيره ومسايرة الآخرين حبا للسلامة وايثارا للعافية، اذ هناك فتن يجسدها "الهرج" وأخرى تتبدى في "التهريج" واللسان آلية الحرب الباردة المحفزة والمنشطة لخلايا الحرب الساخنة. والمشاهد العربية تتصدع عن أسئلة مفخخة، تستدرج الشجي والخلي. وحين يعيش العالم والأديب والمفكر في حالة من الخوف والترقب، يتصوح نبت المعارف، ثم لا يكون عالماً بصيراً، ولا ناصحاً خبيراً، ولا قدوة حسنة. ووابل الأسئلة التربصية تعمق الخيفة والتردد، وتحبس القول السديد في الحناجر. والرقابة غير المشروعة، وغير المؤسساتية، وغير المنظورة رقابة غوغائية، وهي أخطر على الفكر من أي رقابة، يتحرك ذووها وفق أصول وضوابط وصلاحيات مستمدة من شرعية السلطة، ومتطلبات الحرية المنضبطة.

د. حسن بن فهد الهويمل
الجزيرة ٢٠٠٢/١٢/٢٤

* * *

لماذا صافرات الإنذار؟

▪ أطلقت صافرات الإنذار وسمع السكان أصواتها كفحيح الشر القادم. إنني حال سماع زئيرها الكريه ابتسمت من سخرية العبث الذي نمارسه بعلم أو بغير علم، فصافرات الإنذار تطلق لقرب وقوع الخطر حتى يتم إنذار الناس بذلك لاتخاذ احتياطات الحماية ومنها اللجوء لأقرب ملاذ آمن وهي في هذه الحالة الملاجئ العامة أو الخاصة والتي من المفترض أن يتوفر فيها الغذاء والدواء والاحساس بالأمن. فهل يوجد لدينا مثل تلك الملاجئ؟ بالطبع الجميع يعرف بأنه لا يوجد لدينا ملاجئ عامة، لهذا أسألكم بالله من أجل ماذا إذاً تطلق صفارات الإنذار، وماذا نعمل في حالة معرفتنا بقرب وقوع الخطر وإلى أين نلجأ والملتجأ لله عز وجل؟

عبد الله الكعيد
الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٤

* * *

لماذا لا نرد على قطر

▪ دأب بعض الإخوة القطريين على التعريض بنا كلما سئلوا عن الاتفاقية الأمنية التي وقعوها أخيرا مع أميركا، وكلما عوتبوا من أجل ذلك يقولون إنه ليس لديهم ما يخفونه ولذلك فهم يعلنون ما يفعلونه أما، غيرهم (ويقصدوننا بدلالة بعض الإيحاءات الأخرى وحديثهم عن الدول الصغيرة والكبيرة) فيفعلون ولا يعلنون، وهم بهذا يقصدون القول إن ما يفعلونه فضيلة وما يفعله غيرهم رذيلة لأنهم يعلنون وغيرهم يتسترون. لماذا يظل من يعنيهم الأمر عندنا في المملكة صامتين ولا يردون على ذلك الغمز واللمز الذي دأب عليه وزير الخارجية القطري... صحيح أنه لا يذكر المملكة صراحة ولكن كل الذين يسمعونه يدركون من خلال ما يقوله أنه يقصدنا بالدرجة الأولى.

عبد الله الفوزان
الوطن ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

إعلام بائس وسياسة (إدفع) بالتي هي أحسن

▪ أتفق مع الكثير بأن الاثنتين وعشرين وزارة إعلام لم تؤت أكلها لا في زمن الخصب ولا في زمن الجدب. سمعت عن صحافة في بعض البلدان الآسيوية الفقيرة تتلقى عوناً نقدياً من وزارة أو وزارتي إعلام عربية. وهو شيء مقطوع أو "عادة" كما تقول مفردات عرب الجزيرة. وسواء جاءت تلك الصحافة بالمطلوب أو لم تأت – فالموضوع ماشي. وفي الستينيات من القرن الماضي أثرت شخصيات لبنانية من بيع الحكي. وبدلاً من أن نسعى لإنشاء وسائل إعلامية تخاطب القوم هناك، صرفنا أموالا فلكية لإنشاء صحافة وإذاعة وتلفاز ينطلق من أوروبا ليخاطب المستمع والمشاهد العربي هنا.. داخل الوطن.. ليتسلى بها.. كأنه طفل مدلل لا يتحمل أهله بكاءه.

عبد العزيز الذكير
الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

الثقة لا تتجزأ

▪ حين نولي فرداً ما مسؤوليات جسيمة وخطيرة ثم ننزع منه في ذات الوقت أبسط قواعد الثقة، أليس في هذا تناقض عجيب؟ ما أود قوله اليوم هو التناقض في التعليمات الصادرة بشأن سفر الضباط والأفراد العاملين بالقطاعات الأمنية والعسكرية الأخرى حيث يحظر النظام سفر أولئك "الرجال" للخارج إلا بإذن وبنص يحدد الجهة التي يرغب بالسفر إليها ولا يسمح له السفر كمحطة أولى لغير تلك التي نص عليها قرار الإجازة ولا أعلم الحكمة في ذلك؟.

عبد الله الكعيد
الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٢

* * *

الفروق والحقوق: زوجة بريال واحد

▪ هناك خيط رفيع يباعد بين حقوق المرأة في الإسلام وحقوق المرأة الممارسة على أرض الواقع. المفروض مناقشة الثاني لا الاول أي الواقع وليس غيره.. فهو الذي يضعه الآخرون تحت المجهر وليس غيره ونحن نراه ولا نطبقه!! أو نصر أن لا نراه ونرى غيره!! وكذلك حقوق الإنسان بينها في الإسلام وبين الواقع المعاش خيط رفيع والمفروض أن تتم مناقشة هذا الفصل وتسمية الاشياء بمسمياتها الحقيقية.. فما لا نختلف عليه أو فيه هو كمال الحقوق التي أوجدها الإسلام ووفرها لكل الأطراف، لكن الاختلاف الذي يجب أن يُناقش بوضوح هو الواقع الفعلي وكيف يتم التعايش بتلك الحقوق؟! تنشر الصحف المحلية في كثير من

الأحيان أنباء عن أب قام بتزويج ابنته بريال واحد فقط. وسؤالي من الذي أعطاكم هذا الحق؟! بأي حق ينوب كائناً من كان على تحديد مهر حتى لو ابنته بريال واحد؟! الملاحظ فيما تنشره الصحف أن الآباء يقومون بتحديد المهر الذي يريدون ويعلنون التنزيلات المنافسة بين فرد وآخر أو مجموعة وآخرين.. والبنات من واجبهن الانقياد للسعر المحدد بريال واحد في زمن بلغ فيه سعر تيس من التيوس ثلاثمائة ألف ووجد من يشتريه! والوانيت ابو غمارة واحدة سعره فوق المائة ألف ولم يعلن أحد من أصحاب الشأن التنزيلات عليه!

جهير المساعيد

الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢١

* * *

مواطن درجة أولى وحزين

▪ الذين يرون المواطن الخليجي العادي نجماً بين المواطنين العرب، أطمئنهم أن هذا النجم حزين. لقد ظل الآخرون يصفون الخليجيين جميعاً بصفة مواطن من الدرجة الأولى خرج إليهم مطوقاً بآبار النفط. تمشي أقدامه على ثرى من الذهب! وما من أحد كان يصدق أن في أرض الجزيرة العربية مواطناً خليجياً جائعاً أو محروماً أو فقيراً أو معدماً.. كلنا في نظرهم مرفهون من الدرجة الأولى نهبط على مواطني الدرجة الثانية والأخيرة من الجنسيات الأخرى الذين يتراكمون أسفل السلم النحاسي والخشبي دون أن يمروا بسلم المواطن الخليجي السلم الذهبي أو الماسي!

جهير المساعيد

الرياض ٢٠٠٢١٢/٢٣

* * *

ثورة "الحثالة!"

▪ لا شك عندي ان زميلنا مشعل السديري لم يكن محيطا بالمقال الذي أثار زوبعة دامية حطمت مسابقة ملكات جمال العالم على رؤوس منظميها واضطرتهم الى نقلها من نيجيريا الى بريطانيا! والمقال الذي كتبته كاتبة مسيحية تنتقد اعتراضات المسلمين على تنظيم المسابقة في بلادهم اعتبره زميلنا تافها احتوى على فقرة أثارت حفيظة المسلمين اعتبرهم السديري من (حثالة الرجال ومجانينهم)! ولو كان مشعل محيطا بالمقال لما تجرأ على وصف من يثور دمه لكرامة نبيه بالحثالة او المجنون ولا تجرأ على وصف مقالة تحط من قدر نبيه بأنها مقالة تافهة لا تعني شيئا.

خالد السليمان

عكاظ ٢٠٠٢/١٢/٢٦

* * *

الأطلسيون يريدون ديمقراطية منقوصة

▪ الأطلسيون يريدوننا صورة مشوّهة للغساسنة والمناذرة.. يريدوننا دكتاتوريين عندما نكون ديمقراطيين وتسلطيين إذا تنامت لدينا المؤسسات الدستورية، ويريدون فصل الشعوب عن الحكومات وجعلنا متباعدين ومتقاربين حسب مصالحهم، فعندما تكون الشعوب العربية والإسلامية تنادي بالدستور والمؤسسات التشريعية والمجالس الاستشارية يزيد الأطلسيون من تصلب الحكومات بل تدعم الحكومات المتفردة والسلطوية.. (الأطلسيون) ينادون الآن بضرورة ان تتحول المنطقة العربية والإسلامية إلى الديمقراطية في حين أنهم دعموا الحكومات العسكرية والحزب الواحد والحاكم المتفرد لأكثر من قرن من الزمان دعماً لوجستياً وعسكرياً واستخباراتياً. انتقلت اللعبة من أوراق في مكاتب الاستخبارات الغربية إلى بنود سرية وعلنية على أرض الواقع، فتغازل الشعوب بالديمقراطية والإصلاح السياسي والاداري وتغازل الحاكم بتشابك الأيدي معاً لمحاربة التطرف والجماعات الإرهابية.

عبد العزيز الجار الله

الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٥

* * *

رحم الله صالح العزاز

▪ كان صالح يغذينا بالكتب والدراسات والأبحاث ودواوين الشعر والقصائد المهربة.. كنا نتبادل الممنوعات المعرفية والفكرية: الدواوين والكتب ولم نكن نعرف تحديداً في ذلك الزمن (الطافر) بالمتغيرات المحلية والدولية الاقتصادي منها والسياسي أن صالح العزاز أحد مصادر الوعي والمحرّض لقراءاتنا في تلك المرحلة العمرية ونحن طلاب في المراحل الأولى على مقاعد الجامعة فكان بنجوميته المبكرة محرضاً لنا للوعي ورافضاً للمألوف وكاسراً لحاجز النمطية البليدة.. واستمر بتغذيته يمدنا بما لا يتوافق مع مزاج الرقيب ونحن في الأساس لم نكن نقرأ ما يفسحه الرقيب أو ما يتوفر على رفوف مكتباتنا. تكشف لنا أن العزاز صاحب الوجه "الصبوحي" وصاحب العينين القلقتين كان أحد روافد الوعي في حينا وانه مر بتجارب صعبة وعاش حياة قاسية فيها الكثير من المرارة والإحباط.

عبد العزيز الجار الله

الرياض ٢٠٠٢/١٢/١٨

* * *

لماذا يتمرد المواطن؟
تركي الحمد

▪ ظاهرة الاضطرابات السياسية قد يكون سببها اقتصادي، أو ثقافي متعلق بمعنى مفاهيم معينة. الأهم من الأسباب العميقة للاضطراب السياسي هو تلك الأمور أو المتغيرات أو العوامل أو المستجدات التي "تعجل" العملية، أو تسارع في انفجارها، وتحدد حجمها، أي تمرد عابر أو هو ثورة شاملة. هنالك عدة معجلات أهمها: الهزيمة العسكرية، الأزمة الاقتصادية، العنف الحكومي أو الرسمي، تمزق النخب، الإصلاح السياسي، والمحاكاة.

الدولة يفترض أن تستخدم العنف لضبط المجتمع وتنظيمه، ولكن عندما يتجاوز هذا العنف درجة معينة، يصبح عنفاً غير شرعي، وتتساوى الدولة في ذلك مع بقية مصادر العنف الأخرى، ويصبح المنافس الأقوى في ممارسة العنف، هو المالك للشرعية السياسية في النهاية. وعندما يقل عنف الدولة عن درجة معينة، فإنها تفقد شرعيتها بنفس القدر السابق، إذ تبدو والحالة هذه وكأنها غير قادرة ولا مؤهلة لضبط المجتمع وتنظيمه.

ولكن كيف يكون الإصلاح السياسي وغيره من معجلات عدم الاستقرار، مع أنه هو المطلوب والمرفوع شعاراً من قبل فئات مختلفة، بعضها معارض، والبعض الآخر يود الإصلاح من الداخل؟ التوقيت مهم هنا وليس مجرد العملية. على الدولة أن تحدد بدقة أيضاً النقطة التي عندها يتوجب الإصلاح، وإلا فإنه لن يكون مجدياً بعد ذلك.

الشرق الأوسط

٢٠٠٢/١٢/١٥

* * *

تفكيك وزارة المعارف

▪ إن أبرز ما نحتاجه، بالذات في التعليم العام قبل الجامعي، هو أن نبدأ في (تفكيك) وزارة المعارف، فهذه الوزارة أصبحت (مثقلة) بالكثير من الجوانب التي لا تتيح لها التفرغ لمهمتها الأساسية، والهدف من تفكيك الوزارة موضوعي ومنطقي وهو: يفترض أن لا تكون الوزارة هي الخصم والحكم في عملها بالذات في المناهج مثلاً، فالواقع الجديد والتحديات القادمة تستدعي أن تتفرغ الوزارة للتنفيذ وتترك قضايا التفكير والبحث والتطوير لمؤسسات خاصة وعامة خارج الوزارة، ويضاف إلى ذلك ضرورة قصر مهمتها على التعليم دون الجامعي. إن (إدارة التعليم) هي محور التطوير لقطاع التعليم وهو الذي يجب أن نتصارح حوله، لأن التعليم هو رأس المال الذي لا يحتمل (التضحية) به إطلاقاً، والآن نعرف أهميته لمستقبلنا في هذه الأجواء الدولية الجديدة التي نرى في بوادرها ما يخيف.. ولا يسر!!

عبد الوهاب الفائز

الرياض ٢٠٠٢/١٢/٢٤

* * *

من يعتذر للمواطن؟

▪ خطر على بالي حالات الاخفاق الاداري المختلفة التي نعاني منها في بلادنا بمختلف صورها وغياب المكاشفة عن الاسباب واعلان الخلل واسلوب العلاج وعقاب المتسبب منعا للتكرار. فبدءا من السياسة المأساوية للزراعة والمياه التي دمرت المخزون الاستراتيجي للمياه الجوفية الصالحة للشرب، الى الاسلوب الذي اتبعته وزارة المالية في التعامل مع المقاولين المتعاقدين مع الدولة بعدم الوضوح والشفافية معهم وبناء خطط العمل على اوهام ووعود ومواعيد سداد لا تنفذ .. ولا يخفي ايضا ذكر (أم المهازل) الصرف الصحي بالمنطقة الغربية والمسؤولين عنها الذين عبثوا بمصالح الناس وتسببوا في الضرر البليغ للعامة. أستغرب متعجبا لماذا لا يبادر المخطئ هنا في الاعتذار عما فعل؟ هل لأن المواطن لا قيمة له؟ أم لان الخطأ أصبح معتادا؟

حسن شبكشي

عكاظ ٢٠٠٢/١٢/٢٤

* * *

السيد علوي بن عباس المالكي

هو السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز بن عباس بن محمد المالكي الحسيني الإدريسي. وبيت السيد علوي المالكي بمكة المكرمة، بيت سيادة وشرف وعلم وفضل منذ مئات السنين. فالسيد عباس وأبوه وجده وأبو جده ومن فوقه كل منهم عالم فاضل، حافظ لكتاب الله، ومنهم المدرّس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام، نالوا الفضل والتكريم بالعلم والعمل والنسب النبوي الشريف.

ولد السيد علوي بن عباس المالكي في بيت المالكي، المعروف بمكة المكرمة بـ (باب السلام) سنة ١٣٢٨هـ، ونشأ بها في كنف والده فربّاه أحسن تربية، فبدأ بحفظ القرآن الكريم فأتمّه وهو في العاشرة من عمره، وصلى به التراويح إماماً بالمسجد الحرام كعادة أهل مكة في ذلك. ثم التحق بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة، وكان أساتذتها إذ ذاك من أجلّ العلماء في المسجد الحرام، وانتظم في سلك الطلبة، ولازم شيوخ المدرسة، وبرع واستحق أن يقوم بالتدريس في نفس المدرسة قبل التخرّج، فكان هو وجملة من الطلاب المهرة الأذكياء يقومون بالتدريس للفصول الأولى مع تلقي العلم في الفصول العالية، فكان تلميذاً ومدرساً في آن واحد، وذلك كله مع الإنخراط في سلك الطلاب بالمسجد الحرام، فشاركهم في حلقاتهم وزاحمهم ودخل معهم، وأخذ العلم من المنهلين العظيمين: المدرسة والمسجد، وأخذ عن جملة من العلماء الكرام، منهم والده السيد عباس الذي رباه وعلمه، فأخذ عنه أكثر علومه وقرأ عليه في المسجد الحرام والبيت وتخرج عليه.

وأخذ عن محدث الحرمين في عصره بلا نزاع الشيخ عمر حمدان المحرسي، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ محمد علي بن حسين المالكي، والشيخ جمال المالكي، وشيخ القراء أحمد التيجي، والشيخ عبد الله حمدوه، والشيخ حسن السعيد السناري، والشيخ محمد سويد الدمشقي، والشيخ محمود العطار الدمشقي، والشيخ عيسى رواس، والشيخ سالم شفي، والشيخ أحمد بن عبد الله ناضرين، والشيخ محمد العربي التباني، وغيرهم كثير.

وروى عن جملة من كبار علماء المسلمين، منهم الإمام المحدّث محمد عبد الحي الكتاني، والشريف عبد الحفيظ الفاسي، والشيخ محمد زاهد الكوثري، والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، والشيخ محمد بخيت المطيعي، وروى عن كثير من غيرهم.

وقد ذكر مشايخه وترجم لهم وذكر أسانيده ورواياته إبنه البار فضيلة الدكتور السيد محمد بن علوي المالكي الحسني في مؤلف خاص سمّاه: (العقود اللؤلؤية بالأسانيد العلوية، وإتحاف ذوي الهمم العليّة). كما فعل في اخبار جده السيد عباس وأسانيده وتراجم شيوخه وأسانيدهم في جزء خاص إسمه: (نور النبراس في التعريف بأسانيد ومرويات الجد السيد عباس).

أما وظائفه العلمية ونشاطه الإجتماعي، فقد تخرج رحمه الله من مدرسة الفلاح سنة ١٣٤٦ هـ فتولى التدريس فيها سنة ١٣٤٧هـ، وأجيز بالتدريس في المسجد الحرام أيضاً في نفس السنة، وقد أعطى وقته كله وصرف نفيس عمره للتدريس بالمسجد الحرام، وكانت له خلوة (غرفة صغيرة) في باب السلام وأخرى في رباط السليمانية الكائن بـ (باب الدريبة) سابقاً في الحرم الشريف يسكنها جملة من كبار الطلاب، منهم الشيخ عبد الله اللحجي، والفقيه الأستاذ سعد عبده وغيرهما. وكان رحمه الله يقضي أوقاته الخاصة بين هاتين الخلوتين لتعليم هؤلاء الطلاب الكرام المجاورين، كان معهم جملة من شباب مكة (هم الآن وزراء وكتّاب وشعراء أفاضل) يُطلق عليهم أهل الخلوة، لازموه وأخذوا عنه، واستفادوا من علومه وتخرجوا به.

وكان رحمه الله مشتغلاً بالتعليم والتدريس ليله ونهاره. وقد أحصى بعض طلاب العلم دروسه في آخر حياته فإذا بها أكثر من ثلاثين درساً ما بين درس خاص وعام، مع مواظبته على الحضور الى مدرسة الفلاح وإلقاء الدروس العلمية، والإشراف على التربية الدينية والأخلاقية فيها. أما دروسه العامة التي كان يجتمع فيها مئات الطلاب والمستفيدين من العامة والخاصة فكانت خمسة دروس. ثلاثة بعد المغرب، ودرس بعد العشاء، ودرس بعد العصر، وله درس سنوي بدأه سنة ١٣٧٠ هـ الى سنة وفاته في شهر رمضان المبارك ١٣٩١هـ. وكان قبل ذلك يذهب الى المدينة ويصوم بها ويُلقي بها دروسه، وهذا كله كان يقوم رحمه الله به مع قيامه بأعمال جليلة بكل همّة وقوّة وإخلاص وصدق ومحبّة للخير، فقد كان عضواً في اللجنة العليا لتوسعة المسجد الحرام، وكان عضوا في لجنة تحديد أعلام الحرم المكي الشريف، ولجنة الإشراف والإختبار للمطوفين بالحرم، ولجنة الإصلاح بين الناس. وكان له حديثان إسبوعيان في الإذاعة السعودية وصوت الإسلام، وحديث الجمعة والأعياد. وكانت له محاضرة سنوية في ندوة المحاضرات برابطة العالم الإسلامي.

تعرض رحمه الله لكثير من المعاناة من المتطرفين الوهابيين، ومن سياسات الدولة التي كثفت ضغوطها على علماء ومشايخ الحجاز وسحب الصلاحيات منهم لصالح علماء نجد. وتوفي رحمه الله بمكة المكرمة، وشيّعه الألوف من أهل مكة والمقيمين والقادمين من الأطراف، وحضر جنازته علماء مكة المكرمة ووقفوا لتقبّل العزاء، والحق أن وفاته كان حدثاً مشهوراً حيث امتلأ الشارع من باب المسجد الحرام الى مقبرة المعلا ولم يشهد مثل ذلك من قبل. رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته.

من مؤلفاته: العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم؛ والمنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف؛ والإبانة في أحكام الكهانة؛ ورسالة في إبطال نسبة القول بوحدة الوجود لأئمة التصوّف؛ ورسالة في الإلهام؛ ورسالة في أحكام التصوير؛ ونفحات الإسلام من محاضرات البلد الحرام (جمعها إبنه فضيلة السيد محمد بن علوي المالكي الحسني)؛ وشرح بلوغ المرام: إبانة الأحكام في شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني؛ وفيض الخبير في أصول التفسير؛ ونيل المرام على عمدة الأحكام (بالإشتراك مع حسن نوري)؛ وفتح القريب على تهذيب الترغيب والترهيب؛ ومجموع فتاوى ورسائل السيد علوي الماكي (جمع ابنه السيد محمد بن علوي المالكي)؛ وديوان شعر (جمع إبنه السيد محمد).

مصادر:

- المالكي، السيد محمد بن علوي الحسني: نفحات الإسلام من البلد الحرام، المقدمّة ص ٦-١٣.
- أبو سليمان، محمود سعيد: تشنيف الأسماع، ص ٣٨٤.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٥٠.
- كحالة، عمر رضا: مستدرك معجم المؤلفين، ص ٤٦٨.
- المغربي، محمد علي: أعلام الحجاز، ج٢، ص ٢٧٥.
- ابن سلم، أحمد سعيد: موسوعة الأدباء والكتاب، ج١، ص ٢٤٦.
- معجم الكتاب والمؤلفين، ج١، ص ١٣٢، طبعة مزيدة ومنقحة، ج١، ص ٣١٠.

السعودية: صفحة مفتوحة للنقد

■ تسع رصاصات فقط!

يعجب المرء أحياناً من مدى الإحباط الذي يشعر به المواطن بسبب سوء الأوضاع السياسية والإقتصادية.. وقد يزداد هذا الإحباط إذا ما تأدلج (سلفياً) حيث تصل خيبة الأمل من أقطاب النظام ورموزه الى الذروة. سأل أحدهم في منتدى سعودي للحوار (الساحات): إذا ما أعطيت عشر رصاصات فقط وقيل لك: إبدأ بأشد أعدائك، فمن هم سعداء الحظ بتلك الرصاصات العشر؟ فكر قبل الجواب، ولا تستعجل. يمكنك الإستعانة بصديق أو بالجمهور!

أجاب أحدهم: لآل سعود ٩ رصاصات، وواحدة تخترق رأسي أمريكي ويهودي في نفس اللحظة!

وأجاب آخرون: سنعطيها لأبي عبد الله (أسامة بن لادن) ليتصرف بها حسب تصوره!

وقسم ثالث قال بأنه سيوجّهها للأعداء الداخليين، أنظمة، علمانيين، وروافض!

العنف في المملكة عبّر عن نفسه على أرض الواقع قبل أن يُتداول على الشبكة العنكبوتية، وما يطرح يجب أن يؤخذ كمؤشر للمستقبل.

■ في نواقض الإيمان: قبول القرارات الدولية

"إن قبول أحد كائنا من كان للقرارات التي تفرضها هيئة الأمم، على المسلمين إنما هو خضوع لحكم عبدة الصليب واليهود.. حتى لو لم يكونوا كذلك، بل كانوا كفارا من غير هؤلاء، لما جاز للمسلمين أن يحتكموا إليهم، ولا أن يتخذوهم مرجعا لهم في أحكام القوانين الدولية من السلم والحرب، وتعيين الحقوق، وفصل النزاعات، بل ذلك من التحاكم إلى الطواغيت الذي ينقض أصل الإسلام. فمن أقرّ بسلطان أحكام الطاغوت، الذي وضعه الكفار على المسلمين، فقد نقض أصل التوحيد الذي جاءت به الرسل، وخرج من الملّة، ومن اتخذهم أولياء يتحاكم إليهم، ويحكم قراراتهم في شؤون المسلمين، فقد نقض الإيمان كله".

حامد بن عبدالله العلي ـ أحد زعماء السلفية في الكويت

■ عريضة جداً أيها الأمير:

دفاع عن الإسلام أم عن آل سعود

الضغط الدولي الحالي هو على الاسلام، وهو يستهدف الإسلام شئنا الاعتراف بذلك أم لم نشأ، وليس على البنوك.. لذا فهو يستهدف كل المؤسسات الإسلامية والجمعيات الخيرية ويشمل كل ناحية تضع الاسلام على لافتتها، وكل ما هو إسلامي مستهدف، وأنت الآن مطلوب منك أن تترك الصلاة والزكاة، وأن تضع مناهج تعليمية بمواصفات يفرضونها هم، وأن لا يكون لها علاقة بالدين، وأن تلبس نساؤنا مثلما يريدون هم، أما أن تلتزم بدينك، فهذا غير مسموح به. كانوا من قبل يفعلون هذا ولكن على استحياء وبطرق ملتوية وغير مباشرة، والآن بعد ١١ سبتمبر، أصبحوا يقولون هذا ويفعلونه مباشرة وبلا مواربة وبشكل واضح وصريح. إفتح الإنترنت وطالع ما يكتب فيه، واليوم طالعت بالصدفة ووجدت هناك مزاعم بأن المملكة موضوعة كدولة لا تكافح الإرهاب. إنهم الآن لا يستهدفون السعودية كحكومة فقط، ولكن السعودية كمجتمع بالدرجة الأولى.

محمد الفيصل، ٢٠٠٢/١٢/١٨

■ مافيا: حاجتنا لها الآن فحسب

العائلة المالكة السعودية هي مجرد نسخة شرق أوسطية من المافيا وهي عبارة عن مجموعة من قطاع الطرق السفاحين والتي استولت على المنطقة التي تسيطر عليها من خلال الخوف والتهديد والعنف. لم يكن تحالفنا معهم خلال حرب الخليج أكثر من مجرد مناسبة جمعتنا معهم لاحتياجنا إلى قاعدة عسكرية لإدارة عملياتنا ولاحتياجهم إلى حمايتنا. حسنا إذا لم يقوموا بمساعدتنا في الوقت الحاضر فان احتياجنا لهم سينتهي.

شان باتريك، نيويورك بوست، ٢٠٠٢/١٢/٧

■ عصابة من كبار السنّ

إلتهم حكّام السعودية الثروة النفطية للبلد وأتخموا أنفسهم منها.. القسوة والوحشية أبقت هذا النظام المتزلزل صامدا بوجه التيار المتطرف المتصاعد في المملكة. لقد بذر آل سعود المليارات من الدولارات على أنفسهم في وقت كان فيه معدل دخل الفرد عشرين ألف دولاراً، أما الآن فقد تدنى الى سبعة آلاف دولار فقط، الأمر الذي جعل دخل الفرد السعودي من أسرع معدلات الدخل في العالم إنكماشاً وانخفاضاً. حقاً إن الأمراء الحاكمين في السعودية، ومعظمهم في السبعين من العمر، لا يزالون يجثمون على ثلاثة أرباع احتياطي النفط العالمي، ولكنهم اليوم في وضع مهلك وخطير، كما أن مواجهتهم للتهديد الأخطر وهو إمساكهم بالسلطة يوحي بأنهم عصابة من كبار السن لا تدري ماذا تفعل.

جون سويني، الأوبزيرفر، ٢٠٠٢/١١/٢٤

■ رد فعل: لا نقبل سياسة الفرض

الولايات المتحدة الأمريكية دولة صديقة، والنصح والتناصح بين دولتين صديقتين غير مستغرب ولا نفور منه إذا كان في إطار النصح والتناصح. أما إذا كان رغبة في فرض أساليب لا تتقبلها مجتمعاتنا فستكون الصورة معاكسة وردود الفعل سيئة. لا نسمع إلا الأشياء الإيجابية من الإدارة الأمريكية، و لا نلمس من الإدارة أي تشكيك، وهي معارضة لما يصدر من الأوساط الإعلامية أو بعض أعضاء الكونجرس.

سعود الفيصل يرد على مشروع باول بشأن دمقرطة الشرق الأوسط ٢٠٠٢/١٢/٢٥

سرقة مخطط المطار

د. عبد الله الحامد

١

يـمـنـى نـفسـه (حـمـدٌ) بـدارِ
ويـرقبُ يـومَ تـوزيـع الـمـطـارِ
يـخطط كـالـمهندس رسمَ بيتٍ
ويـوقظ لـيلـه جـمـرُ انـتـظـارِ
يُـمـنّـي زوجـه بـبـريـق حـلـمٍ
فيصفعُ لـيلَـها ضوءُ الـنهارِ
يـقـولُ غـداً لـنـاظـرهِ قـريبٌ
أقـرُّ بـفـلـةٍ تـؤوي صـغـاري
لـقـد وعـدَ الأمـيـرُ وكـلّ وعـدٍ
مـن الأمـراءِ مضـمـون الـقـرارِ
تـنـبّـهْ يـا حـمـيـدُ من الأماني
لـقـد طـارَ الـمـطـارُ إلـى الـكبـارِ
لـقـد صـفـرَ الـقـطـارُ وأنتَ لاهٍ
فـلـمْ تـركبْ وهلْ لكَ منْ قطارِ؟

٢

ولـو حـلّـقتَ كـ (الـملأ الأعـالـي)
أشـدْتَ عـلـى (الـعـلـيـا) خـير دارٍ
لأهـلِ الـشـأنِ مـركـزُ كـلّ أرض
وأوسـطـهـا رقـى لـدهـان (قـاري)
لأهـلِ الـعـلـمِ تُـوهبُ كلُّ أرضٍ
فـكـلّ مـثـقّـفٍ مـنـهـم عـقـاري
لأهـلِ الـجـامـعـاتِ بـهـا بـيوتٌ
وفـي (الـحـمراءِ) أيضاً خيرُ دارٍ
ولـو كـنتَ الأمـيـرَ فـقـد تـبـاري
على أزهى الشواطئ والـحواري
تشـيـدُ هـنـاكَ كمْ نصبٍ تـجاري
عـلـى الـحـرمـين يـعلـو كـالـسوار
تـقـطّـعُ مـا تشـاءُ مـنَ الأراضـي
وتشـبكُ مـا تشـاءُ مـن الـدراري
ولـو أصـبحـتَ في الأعلامِ بوقاً
فـفـي حـيّ (الـصحـافةِ) كم قرارٍ
عـلـيّـا الأرض تُـعطى لـلأعـالـي
ولـلـصـعـلـوكِ أطـرافُ الـبـراري
وإن لا فـلـيـنـمْ تـحتَ (الـكبـاري)
كذاكَ الضبُّ يسكنُ في وجارِ

٣

أرى الـقـانـونَ أعـورَ فـي بـلادي
يـمـيـلُ عـن الـيـمـيـنِ إلـى الـيسـارِ
فـكـمْ ذبـحَ الـعـدالـةَ من مُـحـامٍ
وكَـمْ دَفَـنَ الـعـدالـةَ مـن مُـداري
بـكَـفّـيـهِ يـطـيـشُ لسـانُ وزنٍ
وفـي شـفـتـيـهِ كـمْ قَـرأَ (الـبُـخاري)
كـعشّ عـنـاكـبٍ يـطـويـهِ صـقـرٌ
ويـعـتـقـلُ الـفـراشَ مـن الـذراري
إذا صـفـواتـنـا نَـهَـبوا الصـفـايـا
فـلـنْ يـبـقـى لـنـا غـيـرُ الـقـفـارِ

٤

فـهـل عـدنـا لـعصـرِ الـغـابِ هـذي
طباعُ الوحشِ في غابِ الصحاري
فـفـيـهـا الـذئبُ يـنـهشُ كلّ لـحـمٍ
بـأنـيـابٍ وأظـفـارٍ طـرارِ
وتـلـك ثـعـالبٌ بـالـفـخّ تـجـري
بـظـلّ الأُسْـدِ تَـخْـتَـتِـلُ الـحـبـاري
فـكـمْ مـنْ مِـرْفَـقٍ فـي وسطِ حـيٍّ
تَـمَـزّقَ بـيـنَ بـيّـاعٍ وَشَـارِ
جـعـلـنـا الـواسـطـات لـنـا شـفـاءً
دواءُ الـواوِ يـا لكَ مـنْ دَمَـارِ
بـهِ مـفـتـاحُ تـرقـيـةٍ ونـقـلٍ
ومسـتشـفـىً وتـوظـيـفُ الـجـواري
ويـا لكِ رشـوةٌ كـرشـاءِ بـئـرٍ
لِـمَـنْ مَـدَّ الـرشـاءَ الـنـبـع جـارٍ
فـإنّ الـدّهـنَ لـيّـنَ كـلّ سَـيْـرٍ
يُـلـيّـنُ لـنـا الـحـديـدَ بـدون نـارٍ
فـمـنْ يـرغبْ خـلاصاً وسطَ غـابٍ
يُـشـاركُ نـافـذاً ربّ اقـتـدارٍ
فـكـمْ أرضٍ وكـمْ قـرضٍ وشَـيْـكٍ
هـبـطـنَ بـكـفّـهِ مـثـل الـدراري

٥

ولـيُّ الأمـرِ هـلْ تـدري بـداءٍ
يـعـيثُ بـدارنـا أمْ غـيـر دارِ
أرى الـحـمـلانَ فـي غـابٍ فـراهـا
قـطـيـعُ الـوحشِ فـي وضَحِ الـنـهـارِ
نـواطيـرُ الـكـرومِ يـعـيـشـون فـيـهـا
رعـاة الـحـقـلِ صـاروا كـالـضـواري
فـحـط سدّ الـحـمـى قـبـل انـهـيـار
يـخـرّب دارنـا غـبُّ انـفـجـارِ

٦

رأيتُ الأمسَ – لا في الحلمِ – نعشاً
عـلـى الأكـتـافِ كُـلّـلَ بـالـوقـارِ
سـألتُ فـقـيـلَ هـذا الـعـدلُ ولّـى
تَـرَحّـم مـثـلـنـا والـدمـعُ جـارِ
وصـلّ عـلـى الـنـبـي بـرفـعِ صـوتٍ
وصـلّ عـلـى الـعـدالـةِ فـي سـرار
فـقـلـتُ أريـدُ أن ألـقـاهُ قـالـوا
سـنـجـعـلُ قـبـرَهُ أقـصـى مـزارِ
أهـذا الـعـدلُ فـي الأمـوات يُـنـعـى
وكـلّ الـسـاكـتـيـنَ لـهُ مـواري
ويـحـفـرُ قـبـرَهُ مـنّـا صَـمـوتٌ
ويـحـثـو الـتُّـرْبَ رامٍ أو مُـجـارِ
ولـو أنّـا تـنـاديـنـا جـمـيـعـاً
لـيـحـيـا الـعـدلُ هبَّ مِنَ احـتـضـارِ

٧

بـنـا الـشـيطـانُ أخـرس حـينَ نُـغـضي
ولـولا الـخـرس مـا نـطقَ احـتـكـاري
فـإن يـكـتـب كـتـابُ الـجـورِ نـطـقٌ
فـإنّ الـصـمـتَ لـلأقـلامِ بـارِ
وداءُ الـصـمـتِ يـهـدمُ كـلّ دارٍ
فـتـذروهـا عـلـى الـسّـفـحِ الـذواري
وقـولُ الـحـقّ يـبـنـي كـلّ صَـرْحٍ
ويـرفـعُ فـوقـهُ إكـلـيـلَ غـارِ
ومـا نـيـلُ الـحـقـوق بـلا حُـلـوقٍ
ومـا تـنـمـو الـحـلـوقُ بـلا جـهـارِ
ومـا كـانَ الـجـهـارُ بـلا اصـطـبـارِ
يـضـيءُ بـه الإلـهُ فـؤادَ سـارِ
لـكـلّ دوره فـي أمـنِ فُـلْـكٍ
مـنَ الأمـواجِ فـي لُـجَـجِ الـبـحـار

الحجاز - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.alhijazi.org/

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات





كيف يحقق إنقسام السكان وحدة السلطة السعودية

في تقريرها الصادر هذا العام (2002) كتبت شركة بي إف سي (Petroleum Financing Company) بأن ليس هناك ما يمكن وصفه بـ (مجتمع سعودي) وانما الصحيح قوله هو مجتمعات متعددة. ويرى التقرير بأن الانقسامات الداخلية على قاعدة مذهبية (سنة وشيعة) او مناطقية (نجد وحجاز وربما بدو وحضر) أو قبلية تحقق ضمانات أكيدة حيال أي ثورة وطنية، وأن أسوأ التحديات التي تواجه السلطة حسب التقرير ستكون في الغالب ذات طابع محلي أي مناطقي.

ينبّه التقرير الى قضية على درجة كبيرة من التعقيد وهي ان انتظام المناطق والجماعات في وحدة سياسية موحدة هي المملكة العربية السعودية لم ينتج عن انصهار جماعي اختياري بل نشأ على أساس استتباع قهري والحاق قسري لهذه المناطق والجماعات.

وحتى قيام الدولة على أساس غلبوي في بدايات تكوينها لا يدحض الحاجة لاحقاً الى اعادة صهر ودمج في بنية الدولة الجديدة، تطوي مرحلة القهر والاستتباع وتوفر قناعات جديدة للملحقين الجدد بجدوى الانتماء لهذه الدولة.

تركي الحمد:
السعودية معتقلة وتواجه أزمة وجود

مقالة الكاتب والمفكر السعودي الدكتور تركي الحمد في الشرق الاوسط في الثالث من ديسمبر الجاري تضمنت جزئياً على الأقل لغة تبريرية لما اعتبر خروجاً غير مألوف عن النسق المعتاد لأحاديث الامير نايف ضد الأخوان بما يعزز ما ذهب اليه الكاتب حين أراد تحميل الاخوان الازمة التي تعيشها المملكة هذه الايام و(أنها مسؤولة عن عنق الزجاجة الذي تجد السعودية نفسها فيه الآن) وهي أزمة (تفوق في شدتها أكثر الأزمات السابقة التي مرت بها البلاد) حسب الدكتور الحمد. فعبارات كهذه تميل الى تعضيد موقف الامير نايف من جماعة الاخوان.

ولكن ما يقف خلف هذا الموقف هو الأهم. فالدكتور الحمد يستعرض صورة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة السعودية، فالوضع الاقتصادي يبدو ضعيفاً والاداء السياسي والاداري يعاني من بطء في الحركة والمرونة (ومن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أصبحت السعودية محط أنظار العالم في كل تفصيل من تفاصيل حياتها).

معوقات الديمقراطية في المملكة العربية السعودية

الحجاز في أول الكلام

قد يؤكد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

متشددون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الأثنين الموافق 2002/8/12م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (766-825م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.



حلم لازال يراود البعض:

Done   Internet

الحجاز على الانترنت http://www.alhijazi.org
للمراسلة : editor@alhijazi.org